الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة "بوزريعة"
العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري
قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة جامعية مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم

تخصص: لسانيات النص

بعنوان

تطبيقات النظرية النصية على النصوص اللغوية العربية الحديثة والمعاصرة

إعداد الطالبة:
بوعمراني نسرين

إشراف:
د. أحمد بلحوت

أعضاء لجنة المناقشة

د.ة نبيلة عباس	أ.محاضر صنف-أ-	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	رئيسا
د. أحمد بلحوت	أ.محاضر صنف-أ-	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	مشرفا ومقررا
د.ة نصيرة غماري	أ.محاضر صنف-أ-	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا
د. موسى جمال	أ.محاضر صنف-أ-	جامعة الجزائر"2"	عضوا
د. سعيد بوخاوش	أ.محاضر صنف-أ-	جامعة البليدة"2"	عضوا

السنة الجامعية:2019م-2020م/1440هـ-1441هـ

كلمة شكر

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا

ثم جزيل الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور أحمد بلحوت جزاه الله عني كل خير هو وكل من أسهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل

الإهداء

إلى والداي حفظهما الله

إلى زوجي وسندي محمد

إلى أولادي عبد الرحمن، لينة، نهى وريم

إلى كل عائلتي كل باسمه وجميل وسمه

إلى كل امرأة ضحت لتكون بعون الله تعالى

زوجة وأما وأستاذة وباحثة...

مقدمـــــة

أسست الدراسات اللسانية توجهاتها على التراث النحوي، وكانت نتيجة ذلك أن حُصرت في الجملة لا تتعداها، حتى اصطدمت بقصور النحو القائم على حدودها عن استيعاب كثير من متعلقات اللغة، مما استدعى الانعتاق من قيود الجملة والبحث عن فضاء أرحب يمنحنا نظرة أشمل وأوسع، يتسم بكونه قادرا على استيعاب مسائل اللغة ويتجانس مع وظيفتها الأبرز وهي التواص. بناء على ذلك تطورت هذه الدراسات حول النصوص مطالبة بأن ينقل الدرس اللساني من شكله النسقي اللغوي إلى شكله التواصلي؛ وذلك من خلال ربط الخطاب بالمقام.

والمتتبع للمشهد اللساني يجد أنه قد شهد أربع تطورات فكرية مثلت المراحل الأساسية الكبرى التحويلية له؛ أولها هي مرحلة البنية، وقد كان لها الفضل في إخراج الدرس اللساني من مأزق الدراسات التاريخية وغيرها من الدراسات المقارنة التي سادت القرن التاسع عشر. حمل لواء هذه الثورة " دي سوسير" الذي نادى بفكرة النظام والنسقية من خلال منهج علمي، يبدأ وينتهي عند حدود البنية اللغوية.

غير أن بحوث " دي سوسير" ومن اتّبع منهجه في الدراسات اللغوية، اقتصر على حدود الظاهرة الشكلية وبطريقة نمطية، دون أن يعطي أي اعتبار للتأثيرات غير اللغوية، مما دفع بعض اللسانيين إلى التأكيد على أهمية الجانب الدلالي في فهم الظاهرة اللغوية وتفسيرها التفسير الأدق، لينفتح المجال لمرحلة ثانية هي المرحلة الدلالية التي حمل لواءها "تشومسكي".

وإذا كان "لسوسير" وأتباعه الفضل في صبغ الدرس اللساني بالصبغة العلمية، والتعامل مع اللغة على أنها ظاهرة علمية قابلة للتحليل، فإن الفضل يرجع "لتشومسكي" في جعلها قابلة للتفسير والتعليل.

ورغم ما كان لهذه الثورات من فضل في إخراج الدرس اللغوي من مطب الدراسة التاريخية، إلا أنها أغفلت جانبا هاما هو تفعيل الظاهرة اللغوية في شكل ممارسة فعلية؛ إذ

حصـرت المرحلتـان المـذكورتان اللغـة فـي شـكل تجريـدي محـض؛ "فسوسـير" خـص اللغـة بالدراسة لذاتها وبذاتها بعيدا عن سياقاتها ومحيطها باعتبارهما نطاقا خارجا عن اللغة، أما "تشومسكي" فقد حصـر موضـوعه علـى فكـرة القـدرة لا الأداء، الأمـر الـذي جعـل اللغـويين يحـاولون إعـادة الاعتبـار لجانـب الأداء والاسـتعمال، بـربط اللغـة بسـياقها وواقعهـا الاتصـالي، وقد لقبت هذه الثورة بالتداولية.

تعتبر هذه المراحل محركا مطورا للبحوث اللسانية، وهي بشكل أو بآخر مهدت لظهور أكبر تحول في عالم اللسانيات، أخرج الدراسة اللسانية من حدود الجملة إلى مجال أفسح (عبر جملي). وهي آخر التطورات التي حطمت أسوارا أحكمت سيطرتها قرونا من الزمن، وتُوجت بظهور المرحلة الرابعة الموسومة بالمرحلة النصية للبحث عن وحدة أكبر من الجملة، تمثل المادة الأساسية للبحث اللساني.

إن بلوغ الدرس اللساني المستوى التواصلي كان إيذانا بتلك النقلة؛ فقد بدأت الإشارات إلى أن التواصل إنما يتم عن طريق النصوص لا الجمل، لتتعالى أصوات بعض اللسانيين منادية بوجوب الانتقال من حدود الجملة إلى النص، واعتبار هذا الأخير أكبر وحدة دلالية قابلة للوصف، فكان أن ظهر البحث اللساني النصي.

لـم يواكـب العـرب النقلـة اللسـانية الغربيـة فـي أول مراحلهـا فتـأخر انتقـال النظريـة إلـى ثمانينيـات القـرن الماضـي، حيـث توالـت الكتابـات التمهيديـة محاولـة نقـل النظريـة ومجـاراة التغيـرات الثوريـة علـى السـاحة اللسـانية نسـخا حينـا وتطبيقـا حينـا آخـر، فيمـا انكـب بعـض الدارسين علـى مقارنـة نتائجهـا بنتاجـات الفكـر اللغـوي العربـي التراثـي، فـي محاولـة لإثبـات أسبقية العرب إلى تلك المفاهيم الرئيسة في اللسانيات النصية.

لقـد كـان لهـذا الحـراك المتسـارع أثـره طبعـا علـى الباحـث العربـي الـذي تلقـف هـذه الدراسات، فارتسمت بذلك ملامح نشاط لساني عربي منبثق من جهود لسانيين عرب مهتمين بتحيين هذا العلم، ولقد أقام البحث دعائمه على فكرة مركزية.

أثر الدرس اللساني الغربي في مسار وتشكل الكتابة اللسانية النصية العربية، باعتبار أن تفاعل الفكر اللغوي العربي الحديث مع مناهج لسانية غربية أمر لا مناص منه أمام مد العولمة الجارف. وتحقيقا لهذا التوصيف سعى البحث إلى تتبع واستقراء أعمال لغوية تنظيرية، وأخرى تطبيقية عربية للمتخصصين في الدراسات اللغوية مستفيدين من مستجدات المشهد اللساني، خاصة منها الرسائل الجامعية والبحوث المحكمة التي تسنى لنا الاطلاع عليها، وكذا من خلال الدراسات الحرة الأخرى.

وقد أخذ بعين الاعتبار أن سياق توصيف المنجز اللساني العربي، يستدعي منهجية ترتكز على واقع انتقال النظرية من مصادرها إلى العالم العربي ثم تلقيه لها، وهذا قبل معاينة الواقع المنجز على الساحة اللسانية العربية، والانفتاح على سائر توجهاته الفكرية، ويمهد لكل ذلك بأخذ نظرة ولو وجيزة عن المصدر الذي استقى منه العرب هذا العلم؛ أي تلك النظريات التي أثرت على الفكر اللساني العربي الحديث بالعودة إلى لسانيات النص الغربية، ثم أخذ نظرة وجيزة عن أسسها مؤسسيها ومرتكزاتها.

اهتم البحث بالجانب التطبيقي لنظرية النص عند العرب خاصة فيما تعلق بالتعليم، كما توقف البحث عند إشكالية تطبيق لسانيات النص على النص القرآني، ففيما رحب بعض الباحثين بها إذ وجدوا فيها منفذا لإظهار الترابط المعجز للنص القرآني، أظهر البعض الآخر نفورا منها لأسباب مختلفة أهمها قداسة النص القرآني واختلافه عن النصوص البشرية وتعاليه عن سبل التحليل البشرية، فيما اكتفى آخرون بالتحفظ نظرا لعدم جدوى هذه الدراسات ما دام إعجاز النص القرآني أمرا مفروغا منه.

<u>الإشكاليـــــــة:</u>

ومن الطبيعي في ظل عولمة الفكر أن يكون لموجة الحداثة التي مست المشهد اللساني أثر على الباحث اللساني العربي، الذي تلقفها درسا وترجمة وتفعيلا، وارتسمت ملامح نشاط لساني عربي منبثق من جهود اللسانيين العرب المهتمين بمستجدات علم اللسان.

لكـــن:

هل انتقلت النظرية انتقالا سلسا من منبتها الغربي إلى الحضارة العربية؟. وهل توافرت السبل الكافية لضمان انتقال سليم لها ثم استنباتها في بيئة مستقبلة؟. ثم ما هي الإشكالات التي عرقلت انتقالها؟.

إلى أي مدى تفاعل اللسانيون العرب مع نظرية النص؟. وهل توافق العرب على اختلاف مشاربهم حول مصطلحات النظرية ومفاهيمها؟. وهل تمكنوا من تفعيل النظرية اللسانية على اللغة العربية؟. وهل شملت الدراسات كل جوانب النظرية أم طغت حقول على أخرى؟. هل تمكن الباحث اللساني العربي أن يضع بصمته في هذا المجال بحيث يتسنى لنا الحديث عن لسانيات نصية عربية؟. وهل تخطينا مرحلة التبني إلى مرحلة البناء والتأصيل؟.

الهـــدف:

إن الهدف المرجو من هذه الدراسات ومثيلاتها هو رسم مسار لسير الدراسات النصية العربية نشأة وتطورا، بحثا وتأليفا وترجمة. ومثل هكذا أعمال تسعى لبناء سجل تاريخي تصنيفي تصوري لمسار علم عند أمة، ولا بد لنا دائما من وقفة تجمع شتات الدراسات والأعمال التي جادت بها عقول الباحثين لتوثيقها أولا، ولفهم نظرتهم للموضوع والوقوف على نقاط القوة والضعف في أعماله، وهذا للخروج بتصور واضح لمسار العلوم.

أما انتقاء لسانيات النص دونا عن غيرها من النظريات، فلكونها من مستجدات الدرس للساني العالمي والعربي بشكل خاص، ولما بلغته من تأثير جلي على الساحة الفكرية بعمومها وعلى المجال اللغوي بشكل خاص؛ باعتبارها محورا تدور في فلكه جل نظريات التحليل القائم على النص والمجاوز لحدود الجملة، إذ على أساسه تبنى علائقية بين الكلمات المتجاورة، لتبلغ هذه العلائقية أوجها ببلوغها مستوى النص بكليته، أين يغدو النص بنية كلية كبرى ولبس مجرد رصف للكلمات.

يسعى البحث إلى الكشف عن ظهور نظرية النص في الفكر العربي الحديث، والمكانة التي احتلها، وتفاعل البحث في الوطن العربي معها؛ فهما وتطبيقا، سعيا إلى توصيف المنجز اللساني العربي الحالي، وآفاقها المستقبلية لبناء مشروع نظرية لسانية حديثة.

وقد حاول البحث أن ينحو منحا نقديا يتجاوز العرض والتصنيف، محاولا الوقوف على أسباب القصور ومواضع الخلل، متبعا في ذلك منهجا وصفيا نقديا.

ولأن المعرفة تبنى بناء تراكميا، فقد سعى البحث إلى الإفادة من كل الدراسات التي سبق إليها أساتذة أفاضل أمثال الدكتور حافظ إسماعيل العلوي في دراسته الموسومة: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، التي وإن لم يخص فيها الحديث عن اللسانيات النصية، إلا أنه أسهب في البحث عن طبيعة التلقي العربي للسانيات عموما، وهو وضع يتعلق بنحو طبيعي مع الوضع العام للسانيات النص. كما وقف البحث على مقالة قيمة لنفس الباحث الموسومة "عندما تسافر النظريات"، والذي اتخذ من النظرية النصية نموذجا له وهذا العمل يمكن اعتباره سجلا تاريخيا وتصنيفيا، يتتبع فيه صاحبه تطور البحث اللساني النصي عند العرب دراسةً وتأليفا وترجمةً. غير أن هذا العمل على الرّغم من قيمته العلمية والتاريخية التي لا يمكن إنكارها، إلا أنه عمل موجز يمكن اعتباره تمهيدا لعمل أدق وأشمل وأوسع.

ومن الأعمال التي سبقت هذا البحث أيضا رسالة دكتوراه تقدم بها د. ياسين بوراس بعنوان <<البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر>>، وكما هو واضح من العنوان فإن البحث يشترك مع هذه الدراسة في كونه حصرا للأعمال اللسانية المعاصرة، غير أنه يختلف عنها في كونه يحصر جغرافية البحث في المغرب العربي، ويحصر المادة البحثية في اللسانيات العامة بعيدا عن لسانيات النص.

المنـهجيـــــة:

وقد احتمل بحثنا فصولا ثلاثا، سبقت بمقدمة وأُلحقت بخاتمة تُجمل نتائج البحث، وقد أردفت المقدمة بمدخل عُني بإرهاصات هذا العلم، نشأته، أعلامه...

وقد أوكلت مهمة التعريف بهذا العلم؛ أسسه ومركزاته إلى الفصل الأول، وقد تضمن مبحثين؛ الأول يعرف بعلم النص ومتعلقاته، فيما خصص الثاني لمرتكزاته التأسيسية.

فيما نهض الفصل الثاني بمهمة الكشف عن طبيعة تلقي البحث في الوطن العربي لهذا الوافد الجديد ومبلغ تأثره به، وقد حاول البحث أن يبرز كم العوائق التي شكلت حاجزا أمام تلقيه، وقد خصص المبحث الثاني للكتابات النصية وعلى رأسها الكتابة التمهيدية.

أما ثالث تلك الأثافي وآخرها، فقد خصص للنظر في تطبيقات هذا العلم على النصوص اللغوية العربية. وقد توقفنا عند ثلاثة أنماط منها هي: القرآن الكريم، النصوص الشعرية والنصوص التعليمية.

لتتختم الدراسة بإجمال لأهم النتائج المتوصل إليها، وإننا بعد ذلك وقبله لا ندعي أننا قد أحطنا بهذا الموضوع خبرا، لكننا نرجو أن يكون لبنة لأعمال أخرى تسعى لتوصيف المنتوج اللساني العربي.

أخيرا أدين بعظيم الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور أحمد بلحوت حفظه الله، الذي منّ علي بإشرافه على أطروحتي، التي أغناها بملحوظاته وتوجيهاته السديدة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأدام عليه نعمة الصحة والعافية ولكل من ساهم في هذا العمل.

والحمد لله رب العالمين

مدخـــــــل

تمركزت الدراسات اللسانية إلى وقت غير بعيد حول الجملة بحثا وتنظيرًا، ومع أن البحث اللساني عرف تغيرات وتطورات عديدة قادته من نظرية إلى أخرى، إلا أنها جميعا اتفقت على مركزية الجملة كونها أكبر وحدة دلالية قابلة للدراسة، حتى اصطدم النقاش بإشكالية وصل المعنى بسياقه وربط أبعاد الظاهرة اللغوية، ليظهر جليا عجز الجملة عن مواكبة هذا الفكر الجديد، وأظهر البحث في العلاقات الداخلية المتشابكة للنص حاجة ماسة إلى تناول اللغة تناولا ألسنيا يتعدى حدود الجملة.

ظهرت الحاجة ملحة حينذاك لبحث مقاربة أكفأ تعالج قضايا اللغة، وهكذا ظهرت لسانيات النص التي أخرجت البحث اللساني من ضيق الجملة إلى سعة النص، وسدت الثغرات التي عانت منها النظريات السابقة، وبينت إخفاق علم اللغة النظري والنحو التقليدي في الكشف عن خصوصية الأثر وتفاعله الداخلي؛ حيث رامت الجهود اللغوية في هذا المنهج اللساني النصي إلى تحقيق العلاقات القائمة في النص ودراسة التنظيم والترتيب الداخلي له، والتنبه إلى الروابط التي يسهل على المنتج والمتلقي معا إدراكها.

ولولا هذه النقلة لبقي الدرس اللساني يراوح مكانه، متخذا من الجملة ميدانا لحركته؛ فمنذ ظهور اللسانيات التاريخية والمقارنة التي سادت القرن التاسع عشر مرورا بلسانيات "سوسير" (Saussure)التي بزغت مع بدايات القرن العشرين وانتهاءً باللسانيات التوليدية التي أقام صرحها تشومسكي(Chomsky) وقدم أول نماذجها في منتصف هذا القرن لم يتخط الدرس اللساني حدود الجملة، جاعلا إياها أكبر وحدة للتحليل. فبظهور كتاب دروس اللسانيات العامة لصاحبه دي سوسير(de Saussure) ، ظهرت مفاهيم لسانية حديثة تغير مفهوم الجملة من خلالها، وزاد ارتباطها بالنظام الذي تنتمي إليه، وعن طريق التحليل يمكننا الوصول إلى العناصر المكونة لهذا النظام من كلمات وجمل. فالجملة بالنسبة لسوسير هي مجال البحث، وعلى نهجه سارت دراسات لمدارس، كالمدرسة السلوكية بزعامة بلومفيلد(Bloomfield) الذي رفض أي دراسة لأبنية تتعدى الجملة، باعتبارها عنصر الكلام

الأساسي. "فبالجمل يتبادل المتكلمان الحديث بينهما وبالجمل حصلنا لغتنا، وبالجمل نتكلم، وبالجمل نفكر أيضا. كما أن الصورة اللفظية يمكن أن تكون في غاية التعقيد، والجمل تقبل لمرونتها أداء أكثر العبارات تنوعا، فهي عنصر مطاط، وبعض الجمل تتكون من كلمة واحدة: " تعالى، لا، أسفاه، صه..."، وكل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنا كاملا مكتفيا بنفسه"[1].

حتى اللسانيات التوليدية التي سبقت بقليل ظهور علم النص، لم تهتم بأي مكون خارج الجملة، واتجهت هذه المدرسة إلى دراسة الجملة من خلال البحث في كفاءة المتكلم، ومقدرته على توليد أو إنتاج عدد لا حصر له من الجمل انطلاقا من عناصر لغوية محددة. ومن ثم عرف النحو عندها بأنه توليدي تحويلي، يسعى لإجراء التحولات المختلفة في الجمل وليس في النصوص، وإنما الغاية الكبرى للنحو التوليدي هي وضع قواعد كلية لوصف أكبر عدد ممكن من معطيات اللغات الطبيعية الفعلية منها والممكنة التحقيق. فضلا عن ذلك نجد أن أهم المبادئ والاعتبارات التي قامت عليها تلك النظريات تكاد تقصي النص إقصاءً؛ "فسوسير" – مثلا– حين فرق بين اللغة بوصفها وضعا تصطلح عليه الجماعة، ويشترك في استعمالها جميع أفرادها، والكلام بوصفه تنفيذا فرديا للغة، وحدد بناءً على هذا موضوع اللسانيات باللغة، وأخرج الكلام من منهج دراسته. فإن هذا يعني بالضرورة أن لا مكان للنص في هذه النظرية؛ لأن النص أوضح صورة يتجلى فيها الاستعمال الفعلي الفردي للغة.

وبشكل عام كانت الجملة إلى منتصف الستينيات أعلى وحدة قابلة للوصف اللساني، سواء على المستوى الصرفي ، التركيبي أو على المستوى الدلالي. وعادة ما كان الوصف يأخذ كل جملة على حدة، أو يأخذ متوالية من الجمل منظورا إليها بوصفها مركبا جمليا. ويتجلى الموقف الأساسي لاقتصار الدرس اللساني على الجملة في تعريف

[1] جوزيف فندريس: فن تدريس اللغة" تعريب عبد الحميد الدواخيلي ومحمد القصاص" ، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة نخبة لبنان باريس، ديسمبر 1950م، ص101.

بلومفيلد(Bloomfield) للجملة تعريفا شكليا صارما بقوله: هي "مركب لا يكون في قول ما، جزءا من مركب أكبر منه"[1]، أو هي "شكل لغوي مستقل لا يدخل –عن طريق أي تركيب نحوي– في شكل لغوي أكبر منه"[2]، وهذا يعني أن الجملة عند بلومفيلد(Bloomfield) أكبر وحدة لغوية، وهو ما يفضي بالضرورة إلى نفي وجود وحدات لغوية أكبر منها بما في ذلك النص.

إن اللسانيين الذين اعتمدوا على الجملة في دراستهم قد أبعدوا العوامل الاجتماعية والتواصلية، ولم ينظروا إلى السياق اللغوي في علاقته بأحوال الخطاب، ومقتضيات التواصل اللغوي وملابساته المختلفة، ليس لأنهم غير واعين به، وإنما لأنهم رأوا من الناحية المنهجية أنه لا يدخل في مقتضيات دراساتهم وأبحاثهم في تحليل اللغة[3].

ثم بدأ الوضع يجنح نحو التغيير بالتدرج بدءا من النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي والنصف الأول من سبعينياته؛ حيث مالت الدراسات اللغوية إلى التمرد على الجملة والتحرر من قيودها، لتنفتح لها آفاق جديدة تخرجها من بوتقة الجملة إلى النص، ليظهر اتجاه يدعو إلى دراسة الوحدات اللغوية الأكبر من الجملة والمقصود النص، "فالانشغال السابق بالجملة التوضيحية المنعزلة عن مواقف النصوص الاتصالية يتحول إلى اهتمام جديد بحدوث التجليات الطبيعية للغة أي النص"[4]. وحتى مع كون هذه الدعوات لم تجد آذانا صاغية في بداياتها الأولى، إلا أنها تظل الأساس الذي بنيت بعده باقي المحاولات لتأسيس علم قائم بذاته، تعددت مسمياته بين: علم نص، لسانيات نص، نحو نص..، لكن

---

[1] محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية" تأسيس نحو النص"، جامعة منوبة كلية الآداب المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1،2000 م، ص 37.

[2] هاينه مان و فهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود،الرياض،1999م، ص 19.

[3] ينظر: بشير ابرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص (بحث)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، ع 412، 2004م، ص16.

[4] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص171.

على العموم يمكن اعتبار لسانيات النص تسمية واسعة تصدق على أية دراسة ترى في النص موضوعها الأول والوحيد والأساسي، وتعمل على إخراجه من النظرة الجزئية إلى الكلية، ومن الطابع النظري إلى الطابع العملي الفعلي، وينقل الكفاية من شكلها النحوي إلى الشكل التواصلي، مستغلة كل الأشكال الخطابية المتنوعة التي يتقدمها النص.

إلا أنها لم تجد مسيرتها الطبيعية إلا في ظل اللسانيات المؤسَّسة تداوليا التي مهدت لهـــا أعمـــال: "مالينوفســـكي(Malinovski)، بـــوهلر(Bohler)، فيـــرث(Firth)، مـاثزيوس(Mathesios)، ياكبسـون(Jackobson)، مـوريس(Moriss)، أوسـتن*(Austin)* سيرل(Searle)، هايم(Haim) وآخرين؛ فمن الصعب أن يُقارب النص وتُحدد طبيعته، وتوصف خصائصه في إطار نظري يعرض عن البعد التداولي للغة[1].

وانتقلت لسانيات النص بذلك إلى إطار بنية كلية ذات مضمون أشمل، تجعل من الظواهر التركيبية للنص التي تتجاوز إطار الجملة موضوعا لها ومجالا لبحثها، فالانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص هو انتقال في المنهج والهدف والطريقة والأداة. مما يجعله التحول الأهم في تاريخ البحث اللغوي، وهو في ذات الوقت أمر متوقع الحدوث ومنتظر؛ لأن الدراسة المتمركزة حول الجملة بلغت ذروتها ومنتهاها في نفس الوقت، وأكدت على أنها لا يمكن أن تقود الدرس اللساني لما هو أبعد أو أفيد.

غير أن بلوغ مرحلة الانتقال في المنهج والطريقة والهدف لم يكن من أول ظهور لسانيات النص، بل مرت النقلة بمراحل يمكن تقسيمها إلى مراحل ثلاث؛ اكتفت الأولى بالتوسع من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص دون استحداث أدوات مناسبة لهذه النقلة، ولم يتم التفصيل في نحو مناسب للنص إلا في مرحلة ثانية، أما الثالثة فعرفت نضوج هذا العلم وتعدد مشاربه وزوايا نظر الباحثين فيه.

[1] ينظر: إبراهيم الكعاك: الاتساق في اللغة العربية (بحث دبلوم عالي) في ضوء اللسانيات العربية القديمة والأنحاء الوظيفية المعاصرة (بحث دبلوم عالي)، جامعة محمد الخامس–كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991م، ص5.

تزامنت الدعوات المبكرة للسانيات النص مع الحقبة التواصلية، وهي حقبة حاولت إخراج اللسانيات من طابعها التجريدي المحض إلى طابع واقعي وظيفي، أين تمت الإشارة لأهمية الجانب التواصلي للغة (التداولي). إذ يرى أصحاب هذا التوجه "أن الصفة المميزة للنص هي وقوعه في الاتصال"[1]، "وأن الكلمات ليس لها معان، وإنما لها استعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك، كما أن معنى الكلمة يكمن في استعمالها"[2].

يمكن إعادة الإشارات الأولى الداعية إلى هذا التوجه إلى هملسليف(Hjelmslev) الذي قدم في عام 1943 كتابا ضمنه إشارة إلى أهمية دراسة النص؛ وذلك بتمييزه بين علاقات التتابع وعلاقات الاستبدال، ودعوته إلى مناقشة صنوف العلاقات المتنوعة والممكنة التي يمكن أن تتأصل في اللغة، باعتبار أن اللغة في نظره مجموعة من العلاقات.

غير أن آراء "هملسليف"(Hjelmslev) هذه لم تحظ باهتمام الباحثين بل على خلاف ذلك كانت محط انتقاد الكثير منهم لغموضها وعدم قابليتها للتطبيق بما تحويه من مصطلحات بالغة التعقيد.

من الدراسات الهامة التي تلت هذه المحاولة، دراسة فيرث العالم اللغوي الانجليزي الذي أشار إلى أهمية النظر إلى عملية الكلام في سياق الموقف؛ إذ يعد فيرث من اللغويين الذين أبرزوا دور السياق في فهم اللغة؛ إذ اعتبر أنّ عملية التحليل الدلالي تتم على وفق سياق منبثق من الأحداث فيتداخل مع سياقات مختلفة تنتمي في مجموعها إلى سياق عام يوصف بالسياق الثقافي، وهو الإطار العام الذي بداخله يتحقق أحداث المواقف اللغوية، ما دام أن استعمال اللغة عند فيرث ما هو إلا شكل من أشكال الحياة الإنسانية، ومما لا شك فيه أن هذه الدراسات أقرب ما تكون إلى ما قدمته الدراسات اللغوية النصية المعاصرة.

---

[1] روبرت دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص 172.

[2] فولفانج هاينة مان، ديتر فيهنفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص18.

وقد تلت هاتين المرحلتين محاولة تعد من أشهر المحاولات لصاحبها "زيلغ سابيسي هاريس"(Hariss)، والتي جاءت أربعين سنة بعد بحث اللغوية الأمريكية "نيلز"(Niels) في أطروحة الدكتوراه سنة 1912 م، التي يعتبر البعض أن دراساتها تحمل إرهاصات نصية.

وتعتبر جهود هاريس في بحثه الموسوم "تحليل الخطاب" (L'analyse du discours) عام 1952م محطة هامة في تجاوز لسانيات الجملة، " بدأت مرحلة جديدة في اللسانيات عبر دراستيه في تحليل الخطاب، اللتان قدم فيهما تحليلا لنصوص أدخل عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين"[1]؛ إذ حينها "لم يكن أول لساني حديث يعتبر الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب، بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه بتقديم أو تحليل منهجي لنصوص بعينها[2]. وهو بذلك يتجاوز الجملة إلى النص، بعد أن كان هذا الأخير مجرد مظهر من مظاهر الاستعمال اللغوي غير القابل للتحديد، وإن أبرز ما في عمله مقدمته التي يعلن فيها عن إمكانية تحليل الخطاب، انطلاقا من نوعين من القضايا المترابطة ببعضها. أولهما هو توسيع مجال اللسانيات الوصفية إلى خارج حدود الجملة الواحدة، والثانية تمس العلاقات بين الثقافة واللغة، أي بين السلوك غير اللغوي والسلوك اللغوي.

وإن أكثر ما يدفع الباحثين إلى تجاوز الجملة، هو إدراكهم أن الإنسان إنما يعبر بنصوص متماسكة مترابطة ذات معنى، وهذا ما يفصح عنه هاريس(Hariss) حين يقول: "اللغة لا تأتي في شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من المنطوق المكون من كلمة واحدة، حتى المؤلف المكون من عشرة مجلدات من الحوار الفردي، حتى

[1] سعد مصلوح الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية: عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992م، ص 407.

[2] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م، ص ص18-19.

المناظرة العامة"[1]، محاولا تجاوز الوصف البنيوي الذي لا يقف عند حدود الجملة، وقد كان لزاما تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات الوصفية والسلوكية:

1- البحث في إطار الجمل فحسب.

2- الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي.

ولكن محاولة هاريس (Haris) لم تلق اهتمام علماء عصره لعجزها عن توليد نتائج فعالة، وتعذر تحليل كل ما هو فوق مرتبة الجملة تحليلا شكليا صرفا وهذا ما اعترف به هاريس (Haris) نفسه، باعتبار ما فوق الجملة مسألة أسلوبية متعلقة بعلم الدلالة لا بعلم النحو.

لا شك في أنّ محاولة "هاريس" (Haris) هي لبنة في طريق التغيير والتحرر من قيود الجملة، لكنها لم تُحدث تغييرا يمكن أن يوصف بالجذري للأسس النظرية التقليدية، لاعتمادها على توسيع مجال قواعد الجملة ليلامس حدود النص، على اعتبار أن خصائص النص لا تختلف عن خصائص النحو الجملى، وإنما هي مجرد توسعة لها، فكان النحو المخصص له يعتمد على توسعة مجال النحو التقليدي.

وفي سنة 1968 ظهرت أبحاث "هالداي ورقية حسن"Halliday، R.Hassa ، حول الاتساق النصي في اللغة الانجليزية، بدءا بأبحاث ثلاث لرقية حسن. عرفت فيها الباحثة مفاهيم مفتاحية في علم النص: الاتساق، النص، الربط..، كما تناولت بالبحث وسائل الاتساق المختلفة. قامت الباحثة بعد ذلك بإتمام بحثها بالاشتراك مع "هالداي"Halliday لينتجا ثلاث فصول جديدة، جمعت البحوث كلها في كتاب نشر سنة 1976م في لندن، في فصول ثمانية بإشراف "هاليداي" Halliday الذي قام بمراجعة جميع فصوله الستة، مضيفا إليها فصلين، قام هو بكتابتهما حتى يستوي الكتاب بفصوله الثمانية. في الفصل السابع الذي عنون بـ (معنى الاتساق) أعاد هاليداي صياغة المفاهيم التي ذكرتها رقية حسن في الفصل

[1] فولفانج هاينة مان، ديتر فيهنفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص21.

الأول، أما الفصل الأخير (تحليل الاتساق)، فكان دراسة تطبيقية لسبعة نصوص اعتمادا على مفهوم الرابط، أي نوع العلاقة بين العنصر الاتساقي والعنصر المفترض[1].

ومن العلامات الفارقة في تأسيس هذا العلم، وبروز المرحلة الجديدة منه أعمال مجموعة من الباحثين الألمان، وذلك سنة 1968 بإشراف "فايرنينش(Weinrich) وهارتمان(Hartmann) وغيرهما، أين انعقد أول مؤتمر لمناقشة علم لغة النص في كونستانس بإشراف هارتمان(Hartmann) " الذي أنشأ بعد ذلك مركزا جديدا للبحث اللغوي النصي، وحددت محاضراته المهمة معاييره ومهامه في اثني عشر مبحثا. هذا وقد شهدت ظهور مشاريع كثيرة تدور في مجملها حول النصية، ويعد مشروع بيتوفي(Betovi) أكثرها طموحا. إذ تمكن من استنباط قواعد البنية العميقة للنصوص، كما قدم محاولات حديثة وثرية لها سمات خاصة، وقد اتسمت نظريته بالتوسع والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنحو التحويلي ومكونات أخرى دلالية وتداولية"[2].

تطورت الجهود السابقة عل يد فان داي(T.A. Van.Dijk) ، الذي ما لبث أن أعاد بلورتها في كتابه النص والسياق، وفيه وظفت لسانيات النص الكثير من المفاهيم التي شكلت محور الدراسة بالنسبة لها. وقد عمل فان دايك بعد ذلك على إبراز دور المتلقي. كما سعى إلى صياغة نموذج تحليل للنص، بإدخال عناصر من المنطق الحديث وعلم النفس التجريبي، في إطار أسس اتصالية وتداولية، وتمكن بذلك من التفريق بين البنية الكبرى والبنية الصغرى مقدما تصورا واضحا عن البناء الكلي الممتد للنصوص، قدم فان دايك بهذه الجهود عدة نماذج نصية اعتمدت في أغلبها على عناصر لغوية.

---

[1] ينظر: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (cohésion in English) لهاليداي ورقية حسن (مخطوط رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر-كلية الآداب واللغات، 2005-2006م، ص ص67 - 68.

[2] سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص ص95-96.

ولقد صُنف النموذج الذي قدمه "هاليداي ورقية حسن" (Halliday,R.Hussan) ومن سار مسارهما، بجانب النماذج التي قدمتها المدرسة الألمانية التقليدية مع "هايدولف"(Haidolf)، والمدرسة الأميركية مع بايك(Baik)، وهذه النماذج بمجملها صنفت ضمن المرحلة الثانية في نشأة لسانيات النص، وهي المرحلة التي كان هدف البحث فيها وضع أسس لسانيات ما وراء الجملة؛ إذ تم الحديث بشكل مباشر عن الكلام والنص والخطاب، فضلا عن ربط النص بالمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي. غير أن مفهوم النص في هذه المرحلة لم يتعد كونه متتالية من الجمل، أو وحدة أكبر من الجملة.

ومع بداية السبعينيات بدأت المرحلة الثالثة من عمر اللسانيات النصية، وهي مرحلة ما زالت آثارها قائمة إلى اليوم، اتجه فيها البحث نحو نظريات بديلة للتصورات السابقة في مقاربة النصوص[1]. وانفتحت لسانيات النص في هذه المرحلة على حقول معرفية جمة، وبدأت تدعو لعلم نص مؤسس بعيدا عن نحو الجملة، فمع استمرار البحث لوضع قواعد محددة لما فوق الجملة، اتضح لفريق من العلماء اجتمعوا لهذا الغرض في إحدى الجامعات الألمانية. كان من بينهم فان دايك (T.A.Van.Dijk)، الذي يعتبره بعض الدارسين صاحب البداية الحقيقية للدراسات النصية، لوعيه وإدراكه أن "الفرق بين علم قواعد الجملة وعلم قواعد النص أكبر شأناً مما كان يعتقد قبلا"[(2)].

وتعتبر أعمال فان دايك (T.A.Van.Dijk) سببا في استقلال الدراسات النصية كعلم مستقل إذ يقول: "لقد توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبا عند حدود وصف الجملة، وأما في علم النص فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام، ونستعمل وصف الجمل باعتباره أداة لوصف النصوص وما دمنا نتبع من المكونات المعتادة للقواعد ونستعمل النصوص المعتادة

[1] ينظر: دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص166.

[2] إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999م، ص49.

لوصف الجملة، فإننا نستطيع أن نتكلم عن قواعد للنص..[1]، كما أنه سعى في أعماله إلى إقامة لسانيات نصية تدرس البنية النصية ومظاهر التماسك في النصوص، آخذا بعين الاعتبار «الأبعاد البنيوية والسياقية» [2].

ويسعى "فان دايك"(T.A.Van.Dijk) إلى (صياغة نموذج تحليل النص لإقامة تصور متكامل حول نحو النص، مستعينا بمعايير النحو الإضافة، الترتيب...)، لمعالجة الأشكال النحوية وذلك منذ 1972م. حيث ظهر كتابه بعض مظاهر أنحاء النص، وظل كذلك حتى 1977م مع كتابه النص والسياق وحتى كتاباته الأخيرة، وقد أشرك القرائن التواصلية والسياق مع العناصر النحوية. إذ يرى عدم جدوى العناصر النحوية إذا اعتمد عليها منفردة في فهم النص، ولا يمكن الاستغناء عن عناصر السياق والتداول لفهم النص وتفسيره.

تندرج أعمال فان دايك (T.A.Van.Dijk) ضمن إطار التقليد الألماني والنرويجي في مجال اللسانيات النصية الذي تطور إبان الستينيات والسبعينيات، وتعد مقاربته مقاربة معرفية لكون تفكيره قد انصب على القدرات التي من خلالها تتعرف الذوات إلى النصوص المقبولة، أي النصوص سليمة البناء من حيث تنظيمها الصوري مقارنة بتسلسلات أخرى لا تتمتع بهذه الصفة. ويستند نحو النص عند فان دايك (T.A.Van.Dijk) إلى مسلمتين رئيسيتين: (مشابهة النص للجملة / ووجود نحو نصي توليدي)[3].

ونجده يصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بكل مستوياتها المختلفة ما دام للقارئ القدرة على إنتاجها وفهمها وتفسيرها، في إطار نظرية دلالية وتداولية نحوية

---

[1] ينظر: فان دايك: النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص، ت منذر العياشي ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 2004، ص147.

[2] فان دايك: النص والسياق، ص15.

[3] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص315.

الأساس. وكل ذلك سعيا منه لبلوغ نظرية كلية للنص تعالج كل جوانبه، فكانت في البداية نظرات جزئية أخذت في التلاحم شيئا فشيئا ثم تضاعفت عند مكونات النظرية النصية لديه، حتى تمكن من عقد نموذجه التحليلي للنص إلى حد استحال معه فهمه، دون معرفة جيدة بقواعد المنطق والأسس الفلسفية أو المعرفية والتداولية للنص[1].

وهكذا دخلت اللسانيات حقبة جديدة، يمكن أن تسمى (الحقبة التواصلية)، وهي حقبة تحول النماذج اللسانية من لسانيات يكاد يقتصر اتجاهها على النظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي)، إلى لسانيات تركز على الجانب التواصلي والوظيفي، حيث صار الاستعمال الفعلي للعلامات اللغوية في أحداث تواصلية محققة يقترب بشكل قوي من واجهة الاهتمام، وأصبح يُطالب بإدخال الأقوال اللغوية في مركبات وسياقات شاملة للنشاط التواصلي[2]. ويرى أصحاب هذا الاتجاه "أن معنى الكلمة يكمن في استخدامها، أو كما يقول الفيلسوف الألماني "فتجنشتاين (Vetenshtein): "لا تبحث عن كلمة، بل ابحث عن استعمالها"[3].

أما ما حدث في هذا التوجه من تطورات، فقد ساقه إلى تداولية معاصرة لم تطبق على جملة مفردة، بل تم اختبارها في جوانب نصية ذات اتجاهات مختلفة. ليظهر فيما بعد الاتجاه الإدراكي الإجرائي بدافع كثرة الرجوع إلى علم النفس الإدراكي، لإيضاح عدد من القضايا اللغوية؛ شرح كيفية إنتاج النصوص وكيفية فهمها. ونماذج النص الإجرائية يجب أن تراعي كمية كبيرة من العمليات النفسية عند نشأة النص ومعالجته، وبذلك تثبت بأي الطرق

[1] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص307.

[2] ينظر: هاينه من و فهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص18.

[3] سعيد حسن البحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص38.

ينظم صانع الحدث، بواسطة مجموعة محددة من مضامين الوعي والإجراءات لأنواع مختلفة من الممارسات[1].

وهذا ما قدمه كل من ديبوجراند(R.de Beaugrand) وديسلر(Dissler) سنة 1981م، إذ اعتبرا أن المعايير التي تنبغي اعتمادها في تحليل النصوص أربعة: لغوي، اجتماعي، نفسي، ذهني، مع معايير نصية سبعة.

ويؤكد "دي بوجراند (R.de Beaugrand) أن هذه المعايير ليست جديدة، لكن "علاجها حتى هذه اللحظة جاء مفرقا ومدمجا، وأن الوظيفة التي تؤديها هذه معايير هي اكتشاف نصية النصوص من عدمها.

ومع كون دي بوجراند (R.de Beaugrand) وديسلر(Dissler) علمين من أعلام علم النص، "وضعا الأسس العامة لنظرية علم لغة النص، أو ما يعرف بنحو النص"[2] إلا أن بعض الباحثين يرى أن "الإعداد النظري الأكثر اكتمالا في اللسانيات حول مفهوم النص، يعود إلى سويسرا مع جان مشال آدم (J.M.Adam) ،الذي تعد أعماله العديدة والمتطورة مرجعا في اللسانيات النصية"[3].

باختصار يمكن القول أن علم النص قد مر بمراحل ثلاث:

- **المرحلة الأولى:** تضمنت إشارات وتلميحات تدعوا إلى تجاوز حدود الجملة إلى فضاء أوسع وتكشف عن جوانب العجز في الجملة.

[1] ينظر: إلهام أبو غزالة وآخرون: مدخل إلى علم لغة النص، ص81.

[2] أحمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1،2001م، ص11.

[3] ماري آن بافو جورج إلياس برفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية ، تر: محمد راضي المنظمة العربية للترجمة، مارس 2012 م، ط1، ص 312.

- **المرحلـة الثانيـة:** تبلورت فيها ملامح علم لغة النص لكمه كان ينظر إليه بمنظار التوسعة، أي باعتبار أن علم النص ليس إلا فضار أوسع بنيويا من الجملة، لذلك وجدناه يستخدم أدواته في الوصف.
- **المرحلـة الثالثـة:** تطور فيها علم النص وتوضّحت العديد من جوانبه، وبرزت مرتكزاته وظهرت آليات تحليلية خاصة به، وانفتحت لسانيات النص على حقول معرفية متعددة واستفادت منها، لكنها في نفس الوقت استقلت كعلم له ملامحه المميزة.

الفصل الأول

المفاهيم التطور والمرتكزات

المبحث الأول: المفهوم ودواعي التأسيس

المبحث الثاني: مرتكزات لسانيات النص

المبحث الأول: المفهوم ودواعـي التأسيس

لقد وقف الدرس اللساني البنيوي العربي عند حدود الجملة، وعكف على تبيان مكوناتها والنظام الذي يحكمها، وعلى ذلك قامت النظريات اللسانية بمختلف توجهاتها، وبها شُغل اللسانيون الأمريكان منذ بلوم فيلد، كما فعلت مدرسة "تشومسكي"م/1928م (Chomsky) في الكفاءة اللغوية التي توصف توليديا في إطار القدرة على نمذجة عدد لا متناه من الجمل.

واستمر النظر في حدود الجملة لا يجاوزها حتى بشر أمثال "هاريس (1952 Hariss)، "وبيتوفي" (Bitovie) بإرهاصات علم جديد هو علم اللغة النصي؛ ذلك أن الدعوة إلى الاهتمام بالبعد النصي في الدرس اللغوي ليست وليدة الأمس القريب. فقد تنبه الكثير من المتخصصين في اللسانيات بعجزها عن مواكبة التطور العلمي، وعدم قدرتها على الانفتاح على جوانب كثيرة من العناصر اللغوية من أمثال باختين (M. Bakhtine1895) الذي صرح أن "اللسانيات لم تحاول أبدا سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى، كالملفوظات الطويلة ودراستها، هي أيضا دراسة لسانية باعتبارها ظواهر لغوية..، من نحو الكتل اللغوية الكبرى لا يزال ينتظر التأسيس. فاللسانيات لم تتقدم علميا إلى حد الآن بعد من الجملة المركبة التي تعد أطول ظاهرة لغوية طالتها الدراسات العلمية..، بإمكان اللسانيات إيصال التحليل إلى أبعد من هذا المستوى، حتى وإن اقتضى ذلك الاستعانة بوجهات نظر أخرى غريبة عن اللسانيات»[1].

يعترف "باختين"(M.Bakhtine) بعجز اللسانيات المتوقفة عند حدود الجملة عن استيعاب كل العناصر اللغوية، وعجزها كذلك عن الاستجابة لطموحات اللسانيين، ويعتبر كذلك أن أي خطوة تتعدى سقف الجملة هي تقدم علمي، ويتوقع أن مثل هذه الخطوة

[1] الصبيحي: مدخل إلى علم النص، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2008م، ص61.

ستحتاج إلى روافد قد تكون غريبة عن اللسانيات، ولكنه في ذات الوقت يلح على ضرورتها لافتقار الدراسات، حينذاك القدرة على استيعاب الكثير من الظواهر اللغوية التي لا يمكن الاستغناء عنها ولا إنكار وجودها[1].

كما أشار المتخصصون في علم اللغة إلى عجز الجملة عن استفاء كل مسائل الوصف اللغوي، مذكرين بأن «اللغة لا تأتي في شكل كلمات أو جمل مفردة، بل ترد في شكل نص متماسك، بدءا من القول ذي الكل الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة بدءا من المنولوج وانتهاء بمناظرة جماعية مطوّلة». وهذا ما يجعلنا نجزم أن « الجملة ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية، بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل..، وينبغي إذن أن نتجاوز إطار الجملة لنهتم بأنواع النسيج النصي يحدثه المتكلمون أثناء ممارساتهم الكلامية»[2].

وأكد "هاريس"(Hariss /1952م) على ضرورة تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية؛ أولها اقتصار الدراسات على العلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة، والثانية إغفال دور السياق الاجتماعي، ليكون البديل المقترح هو وضع الجملة في حيز وحدة أكبر وأوسع هي النصوص، ثم «الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النص»[3]. لتُنقل محورية البحث إلى درجة أعلى مما كان عليه، لتتجاوز محورية الجملة لما شملته هذه الأخيرة من نقائص.

---

[1] ينظر: سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن كتاب لأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا مجموعة بحوث مهداة إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية تحرير وديع طه النجم وعبده بدوي، جامعة الكويت كلية الآداب 1990م، ص207.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2000م ، ص168.

[3] نعمان بو قرة: نحو النص ومبادئه واتجاهاته، مجلة علامات في النقد، ماي2007م، مج16، ع61، ص8.

تقول "د. خولة طالب الابراهيمي"(مبادئ في اللسانيات 2000م) في وصف النقلة من نحو الجملة إلى نحو النص: "إن الاتجاه إلى النص يعتبر فتحا جديدا في تاريخ اللسانيات الحديثة بالنظر لكونه التحول الأخير، لأنه أخرجها نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية، التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنيوي الدلالي التداولي"[1].

والمتأمل في كلام الباحثة، يستنتج عجز وقصور الدراسات التي ترتكز على الجملة كوحدة لغوية كبرى عن مجاراة الجوانب المختلفة من الظواهر اللغوية، نظرا لعدم اهتمامها بأنظمة اللغة في سياقات الاتصال في ظل تركيزها على دراسة الوحدة اللغوية دراسة بنائية وصفية، والتعويل عليها في استنباط الأحكام النحوية بعيدا عن الجانب الوظيفي التداولي التواصلي. وقد أبدى أكثر من باحث عدم رضاه عن ضيق ومحدودية مجال الدراسة اللغوية المتسمة بالتقطيع والتجزئة، ودعوا إلى توسيع منظور تلك الدراسات، "وكلها تتفق حول ضرورة مجاوزة الجملة في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع، بل وأخصب في مجاوزة العمل الفني؛ وهو الفضاء النصي»[2]، لتشمل بذلك دائرة النصوص، لكن هذا لا يعني أننا نعتمد المعنى المتداول بين الناس للنص، بل ينبغي أن ندرج في مفهومنا للنص أنواع الأفعال التبليغية التي تتخذ من اللغة وسيلة لها"[3].

جاءت لسانيات النص كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، وتوسعت في دراسة مكوناتها وأجزائها، مركزة على الجانب الوصفي غافلة عن الجوانب الأخرى الدلالية والتداولية، فليس من المجدي الاكتفاء بالوصف الظاهري لمفردات وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة، نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات

[1] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص167.

[2] رشيد عمران: مقاربة في مفهوم النص والتماسك النصي.www.aljabriabed.net

[3] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات، ص ص 167-168.

ومقامات متنوعة، هذا ما جعل الدراسات النصية لا تكتفي بمجاوزة الجملة، بل تعدتها إلى دائرة أوسع هي السياق وتأثيره في فهم النص وفي عملية تكوينه. متأثرة في ذلك بعلم الاتصال والدراسات التداولية التي نظرت إلى اللغة باعتبارها «أداة تعبير في المجتمعات، وأصبحت النصوص اللغوية تبعا لذلك تتمتع بكونها مؤلفة لتنجز أشياء في المجتمعات، وليست مجرد نصوص لغوية منعزلة أو منطوية على داخلها كما كان سائدا عند أصحاب المدرسة البنيوية التي مثلها رولان بارث (م؛R.Barthes1915) في بداية أبحاثه»[1].

إن تحليل النصوص يطمح إلى تأويل النص، وفعل التأويل لا يتم بشكل اعتباطي ولا يقف عند حدود جملة واحدة ما دامت مرتبطة بما سبقها وما يليها من جمل، إذ يستحيل تأويل مجمل النص بالنظر إلى تأويل جزء منه، كما أننا إذا أردنا شرح نص ما فإن شرحنا له لا يتم من خلال شرح جمله المتتالية، بل بشرح مجمل النص. وهذا ما جعل اللسانيين يسلمون بوجود وحدة لسانية أعلى من الجملة هي النص أو الخطاب، لأننا ببساطة عندما نتكلم لا نتكلم بجمل متفرقة، بل بنصوص مكتملة المعنى. إذن لا وجود للجملة في الاستعمال الواقعي للغة، وإن استعملت فبعد ترقيتها لمستوى النص وتعلقها بالسياق. النص إذن كلٌ وليس مجرد تتابع جملي أو إسنادي، ومعنى النص يتحدد من خلال تضافر للمكونات والسياقات وكل جزء منه يحيل إليه.

وهكذا ومع تطور الأبحاث المهتمة بالنص في مجالات مختلفة، اكتسب علم النص شرعيته في الدرس اللغوي، وأصبح يخطو لتأسيس منهج متفرد يعتمد على تخصصات مختلفة في الدراسة.

[1] خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2013 م، ص13.

1. التعريف والمهام:

لقد عرفت لسانيات النص تعددا في المصطلح، وهذا حال كل علم حديث النشأة متخلق من أمشاج متداخلة ومتباينة الأصول، إنه ينتمي لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف. ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين، إلا بقدر ضئيل جدا على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى[1]. ومن مصطلحات لسانيات النص التي تعج بها مؤلفات النصانيين: لسانيات النص، علم اللغة النصي، علم لغة النص، ونحو النص، الألسنية النصية.

وتعتبر لسانيات النص فرعا علميا بكرا وحقلا جديدا بين الحقول المعرفية الأخرى، وقد انتهج ليكون بديلا للسانيات سبقته فيكمل ما عجزت عنه، وينتقل بالدراسات اللسانية من محورية الجملة إلى النص، لتجعل منه الوحدة اللغوية الكبرى الأكثر استقلالية، باعتبار" أن العنصر الحاسم في تكوين النص هو الذي يقوم به في عملية الاتصال الإنساني، لذا فان علم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب، وإنما يحاول النفوذ إلى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية، ومن عمليات عقلية كان النص حصيلة لتفاعلها جميعا"[2].

لقد أصبحت لسانيات النص علما جامعا لمجالات واهتمامات معرفية مختلفة؛ إذ أنها في توجهها الجديد تتوخى مبدأ التكامل بين معارف، لها شرعية الحضور في دراسة النص مما جعلها تحتل مكانة علمية لكثير من التساؤلات التي تطرحها إشكالية النص؛ إذ يمكن له "أن يقدم تفسيرا مقنعا لكثير من الظواهر التي توصف بالشذوذ في قواعد اللغة

[1] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص 115.

[2] إلهام أبو غزالة وآخرون: مدخل إلى علم لغة النص، صفحة التصدير.

ويمكن أن تعين على تفسيرها تفسيرا مقنعا»[1] ، وهذا ما جعل المختصين يصفون علم النص بكونه مدخلا متعدد الاختصاصات، مما جعل « اللسانيات النصية يمكنها اليوم أن تحدد كمجموع نظري يستطيع أن يستوعب مثل هذا الإرث المعرفي»[2] .فهو «لا يتعلق على نفسه في محاولة معالجة النصوص، وإنما يأخذ في حسابه دائما مكتسبات العلوم الأخرى التي تهتم بالاتصال الإنساني، كعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس المعرفي والذكاء الصناعي وغيرها..، هو العلم الذي يهتم بوصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلقة، ويشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة»[3]. و بعبارة أخرى هو العلم الذي يبحث في خصوصية نص ما ويكشف طبيعته وعلاقته بالواقع، عن طريق التحليل اللغوي لمكونات الجملة وما وراءها والفقرة ثم النص بتمامه، وهو واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا هو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي[4].

وقد استطاع هذا العلم أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيرا إبداعيا [5] ، إذا تتمثل مهمة لسانيات النص في وصف العلاقات الداخلية الأفقية والعمودية، وكذا العلاقات الخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، ومحاولة شرح المظاهر العديدة للأشكال التواصلية للغة. وهو يراعي في وصفه عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجا في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها. وبعبارة موجزة

[1] سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص 143.

[2] Jean-Michel Adam La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours Paris : Armand Colin, collection "Cursus", 2005, p 105.

[3] مصطفى قطب: دراسة نصية لصور التماسك النصي،، دكتوراه دار العلوم، ص 59 بتصرف.

[4] ينظر:أحمد عفيفي: نحو النص–اتجاه جديد في الدرس النحو، زهراء الشرق، القاهرة،، ط1، 2001م، ص31.

[5] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ج 1 ، ص 99.

قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة، إذا التزم حد الجملة.[1] يقول اللغوي الألماني "روك"(Rook):«أخذت اللسانيات النصية بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال شيئا فشيئا مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة، ولا يمكن اليوم أن نعدها مكملا ضروريا للأوصاف اللغوية التي اعتادت أن تقف عند الجملة معتبرة إياها أكبر وحدة للتحليل، بل تحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة تعتمد المعنى المتداول بين الناس للنص، بل ينبغي أن يدرج في مفهومنا للنص كل أنواع الأفعال التبليغية التي تتخذ اللغة وسيلة لها»[2]. لا تقف اللسانيات النصية عند حدود الجملة لكنها لا تستبعدها، لهذا تعرف اللسانيات النصية "على أنها فرع من علوم اللسان، التي مهمتها التنظير ووصف مختلف الحقول التنظيمية التي تمارس على مستوى الجملة وصولا إلى النص، والتي تعمل على جعله مترابطا"[3].

ويستنتج مما سبق أن لسانيات النص لها قواعدها التي لم توجد في علوم سابقة لها، بل قواعد وضعت خصيصا لها باعتبارها علما جديدا من أجل تشكيل نص يتمتع بكونه وحدة كلية كبرى للتحليل، فقد كون علماء النص لهدا العلم معالم واضحة تأسيسية وتنظيمية تمكننا من التمييز بين النص واللانص، وتعنيان بدراسته من حيث جوانب ثلاث: الجودة، الفاعلية والملاءمة. وليست اللسانيات النصية كما يعتقد مكملا للسانيات الجملة أو توسعا لمجالاتها ليشمل مستوى أعلى وبنفس وسائل الدراسة والتحليل، وإنما هي «إعادة بناء اللسانيات من منطلق جديد، موضوعه الوحدة الطبيعية للتعامل اللغوي بين المتكلمين ألا وهي النص»[4].

---

[1] ينظر :المرجع السابق، ص 35.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص ص167-168.

[3] Denis Vigier. Linguistique textuelle et enseignement du FLES. Le Français dans le monde. Recherches et applications, Paris : Français dans le monde, 2012 P3

[4] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص5.

وقد عُني علم اللغة النصي في دراسته نحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، منها علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف والجمل المفسرة والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية وغيرها من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا، إلا من خلال وحدة النص الكلية [1]. التي ينظر إليها على أنها وحدة دلالية تشكل بنية النص، مع التركيز على وسائل الربط التي تحقق التماسك والاتساق لهذه البنية. ويصف الخطابي هذه الدراسة بقوله: «يسلك الواصف المحلل طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحلية الإحالية؛ قبلية وبعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال على أن النص / الخطاب (المعطى اللغوي بصورة عامة) يشكل كلا »[2].

يرى "دي بوجراند (R.de Beaugrand) أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية، من حيث هو عامل ناتج عن إجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص «سواء قصر أو طال، اتخذ شكلا واحدا أو عدة أشكال، انحدر من مجال معرفي واحد أو عدة مجالات، ألفه شخص عادي أو ذو موهبة خاصة إلى غير ذلك من أشكال التمييز. وذلك أنّ مهمة علم النص تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعددة لأشكال التواصل واستخدام اللغة كما يتم تحليلها في العلوم المختلفة»[3].

[1] ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ج 1، ص131.

[2] المرجع نفسه: ص 131.

[3] المرجع نفسه: ص 131.

وهكذا يكون تميز لسانيات النص في اتساع مجال الرؤية، بأنها تنطلق من دلالات عامة تتجاوز الجمل إلى وحدات نصية كبرى، لأن هدفها تحديد الوسائل التي مكنت من ربط الجمل وشكلت منها وحدة دلالية متلاحمة الأجزاء.

ينطلق علماء النص في نظريتهم النحوية النصية من أن التواصل في المجتمع يتحقق عن طريق نصوص إنجازيه داخل مقامات وسياقات، وهو خاضع لنظم متفق عليها بين أفراد الجماعات اللغوية الواحدة، "ومن ثم فإن هدف النحو هو إعادة بناء هذه القواعد النسقية نظريا، مما يقتضي صياغة المستويات والمقولات والوحدات وأصناف القواعد والقيود الضرورية لوصف البنية المجردة للأقوال صوتيا"[1] . والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه علم النص: "صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح ومن تزويدنا بوصف لمختلف الأبنية النصية، والمقصود بذلك تحديد كل الأبنية الشكلية المجردة لمختلف أنواع النصوص.

مما يمكننا في النهاية من الحصول على عدد من البُنى تغطي كل الفئات النصية، وبذلك يصبح علم النص علما توليديا يقدم نماذج لإنتاج الخطابات بكل أنواعها[2]، ليتم تمام النقلة من نحو توليدي قائم على أساس الجملة إلى النمذجة في علم النص، بإخضاعه إلى القواعد التوليدية.

غير أن فرضية تحليل كل الأشكال النصية المتداولة وتحديد شروطها وخصائصها صعبة التحقيق، مما جعل "دي بوجراند" يقر بأنّه: "لا يمكن للسانيات النص أن تعمل على تهيئة

[1] محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006م، ص28.

[2] ينظر: الأزهر الزناد: نسيج النص"بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص18.

نحو تجريدي لتوليد النصوص الممكنة واستبعاد كل ما ليس نصا، فمجال التوليد أوسع من أن يحاط به ويطرد اتساعه على الدوام»[1]. إن مفهوم ما ليس نصا ليس ذا خطر، لأن وروده يؤدي في العادة إلى عدم قبوله أو إلى عدم القدرة على الاتصال، أما العمل الأهم للسانيات النص، فهو بالأحرى دراسة مفهوم النصية من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص.

2. المنـــهج:

تعمل لسانيات النصية على تفكيك النصوص ثم إعادة تركيبها، وتعتمد عملية التفكيك على تحليل جزئيات النص؛ مقاطع وفقرات ومتواليات مكونة للوحدة الكلية للنص، وتأتي عملية تقطيع المركبات النصية أو الخطابية إلى ملفوظات ومقاطع وفقرات وفق معايير التقطيع النصي..، ليتم بعد ذلك تحديد تماسك الجملة انطلاقا من الجملة الثانية حتى آخر جملة في النص أو الخطاب. وإنما يتم ذلك برصد الباحث لكل القرائن اللغوية الدالة على اتساق النص وكذا العوامل المساهمة في انسجامه ثم رصد معالم التناصية، وخلفيات المعرفة سواء الواعية منها أو غير الواعية، و من ثم فهم بنيته اللغوية ضمن سياقات التواصلية المحيطة به وربطها بالسياق الذهني. وذلك يضمن ربط النص بمنتجه ومتلقيه وسياقاته والنصوص المتعلقة به وخلفياته، ويحرص على قياس درجة الإبلاغية فيه. وهذا ما يسميه دي بوجراند بالمعايير النصية التي تثبت للنص نصيت. كما يعمل المحلل النصي على تصنيف النص وتنميطه وتجنيسه بالنظر إلى مؤشرات وخصائص مميزة. وبذلك تتضح وظائف النصوص في إطار نظامها بالتركيز على الاتساق والانسجام، والمقصدية والإبلاغ والسياق والمقبولية.

يبحث التحليل النصي عن العناصر الجوهرية والثانوية؛ الموضوع، العنوان، الجمل المحورية، والكلمات المحورية، التي قد تكون منطلق التحليل وعلى المحلل أن يولي اهتمامه

[1] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص281.

كل عنصر من عناصر النص وكل ظاهرة فيه لأنه يشكل جزءا من الدلالية الكلية[1]، وإنما يُتوصل إلى الدلالة الكلية بتجميع هذه الدلالات الجزئية.

إن تفعيل نحو النص في وصف البنية الكلية للنصوص يعتمد على توافر شروط يحصرها الأستاذ **سعد مصلوح** في خمس نقاط[2]:

1-استبدال الغاية التشخيصية الوصفية بالغاية المعيارية؛

2-الانتقال من المعالجة النظامية إلى نمط المعالجة الذرية التفتيتية؛

3-اعتماد هرمية العلاقة بين مستويات التحليل اللساني والمكونات التركيبية للنص؛

4-التخلي عن ثنائية الشكل والمضمون؛

5-الاهتمام بالحيز المقامي والثقافي المحيط بالنص باعتباره جزءا لا ينفصل عن النص.

ولا تتوقف جهود المحلل النصي عند نطاق أو حيز النص منفصلا عن بيئته وسياقه، بل يهدف في تحليله النصي إلى معالجة النصوص بعمليات ديناميكية للغة المستعملة للتواصل في ضوء علاقتها بالسياق، وقد أكد كل من براون ويول Braun et Yaultعلى «ضرورة دراسة اللغة في العلاقة بين المتحدث والسامع، والكاتب والقارئ والعالم المحيط أو السياق»[3].

[1] ينظر: براون ويول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ص337.

[2] ينظر: سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، ص 420، وينظر: عبد السلام السيد حامد: نحو النص عند سعد مصلوح، ص540.

[3] المرجع نفسه، ص540

3. التوجـــهات:

1.3. توجه لغوي:

علم النص القائم على أساس النظام اللغوي، المعتمد على المدرسة البنيوية والتوليدية، تتمركز حول دراسة ظاهرة التماسك النصي في بنيته السطحية أو ما يعرف بالاتساق، والملاحظ أنه حلقة شديدة الالتصاق بنحو الجملة وذلك لانحصار عمله وجهوده على البنية السطحية للنصوص. والنتيجة الأهم لهذا التصور «هو أن مفهوم التماسك النصي المركزي بالنسبة لعلم اللغة النص قد فهم فهما نحويا محضا، فهو لا يسم في هذا الاتجاه البحثي اللغوي النصي إلا العلاقات النحوية الدلالية بين الجمل أو بين عناصر لغوية..، في جمل متعاقبة»[1]، يعرف النص ضمن هذا التوجه باعتباره "تتابع متماسك من الجمل"[2]، والملاحظ أن الجمل في هذا التصور معلم رئيسي.

2.3. توجه تواصلي:

علم النص القائم على أساس نظرية التواصل، معتمد على المنهج التداولي وليد المدرستين الألمانية والهولندية، ما يعرف باللسانيات التواصلية.

يعيب هذا التوجه على التوجه الأول كونه «يظهر مجال موضوعه بمظهر مثالي للغاية من حيث أنه يعالج النصوص بوصفها موضوعات مستقلة ثابتة، ولا يراعي بشكل كاف أن النصوص متضمنة دائما في سياق التواصل، وأنها توجد دائما في عملية تواصل معينة يمثل فيها المتكلم والسامع والمؤلف والقارئ، بشروطهم وعلاقاتهم الاجتماعية والموقفية

[1] كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص "مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج"، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005م، ص37.

[2] المرجع نفسه، ص37.

أهم العوامل»[1] . يجمع "كلاوس برينكر"(Brinker1938) بين التوجهين لصياغة تعريف متكامل للنص فيعتبره «تتابع محدود من علامات لغوية متماسكة في ذاتها وتشير بوصفها كلا إلى وظيفة تواصلية مدركة»[2]. والملاحظ التركيز على خصائص أهمها: التتابع، التماسك والكلية، والتأكيد على الوظيفة التواصلية للغة.

4. لسانيات النص و لسانيات الخطاب:

يمكن القول أن كل بحث يتجاوز الجملة إلى النص، يندرج ضمن لسانيات النص أو لسانيات الخطاب. ووقد خصص كل من ماري آن بافو (Marie-Anne Paveau) وجورج إليا سرفاتي (George-Elia Serfati) في مؤلفهما " النظريات اللسانية الكبرى2003 م"[3] الفصل العاشر للحديث عن ما سمياه اللسانيات الخطابية Linguistique discursive، معتبرين أنه يندرج تحت هذا العنوان «كلا من اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، ودلالة النصوص المؤسسة جميعا على الاهتمام بالبعد عبر الجملي، والتي يحدد الباحثان إطارها المكاني والزماني باعتبار أنها ظاهرة أمريكية في الأصل. فاللسانيات الأوروبية تشكلت مبدئيا بناء على المسلمة السويسرية المحتفية باللغة، والتي كانت نتيجتها إلى حدود السبعينات إبعاد النصوص والخطابات، أي الوحدات الأكبر من الجملة»[4].

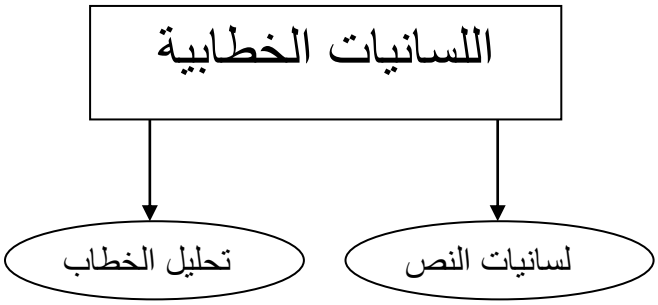

[1] المرجع السابق، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرايعية، ت.محمد الراضي المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط1، 2012م، ص311.

[4] المرجع نفسه، ص311.

يعد الباحثان اللسانيات النصية تخصصا من تخصصات علوم اللغة، وهي تبنى على موروثات متعددة باعتبار أن العلم تراكمي وأن العلوم لا تتخلق من فراغ، إنما هي حلقات مترابطة يكمل بعضها بعضا أو تنبؤ بعضها ببعض ومن الموروثات التي مهدت لبناء لسانيات نصية:

أ- **الفرضيات البنيوية:** "المتضمنة لفكرة أن الوحدات الأكبر من الجملة، تخضع لتنظيم مماثل لتنظيم الجمل وتعود صياغة هذه الفرضيات إلى ريكور (P.Ricoeur1913)"[1].

ب- **السميائيات الأدبية:** "حيث يتم الانتقال كذلك على موضوع تتجاوز أبعاده إطار الجملة؛ أنه النص"[2].

ج- **اللسانيات النصية:** وهي تتبنى إنجازات البلاغة القديمة والكلاسيكية الجديدة، "بلاغة برمان الجديدة مدمجة ذلك كله في مسارات ومناولات جديدة"[3].

د- **اللسانيات الاجتماعية:** لـ: **لابوف م؛Labov) 1927** م، الذي يشتغل على المحلي الشفهي بشكل خاص، وكذا علم الاجتماع عند **غوفمان (Goffman) 1922م** حول المحادثة "[4].

والملاحظ أن الباحثان ينظران إلى المبحث على النحو التالي:

[1] المرجع السابق، ص312.

[2] المرجع نفسه، ص312.

[3] المرجع نفسه ،ص312.

[4] المرجع نفسه، ص331.

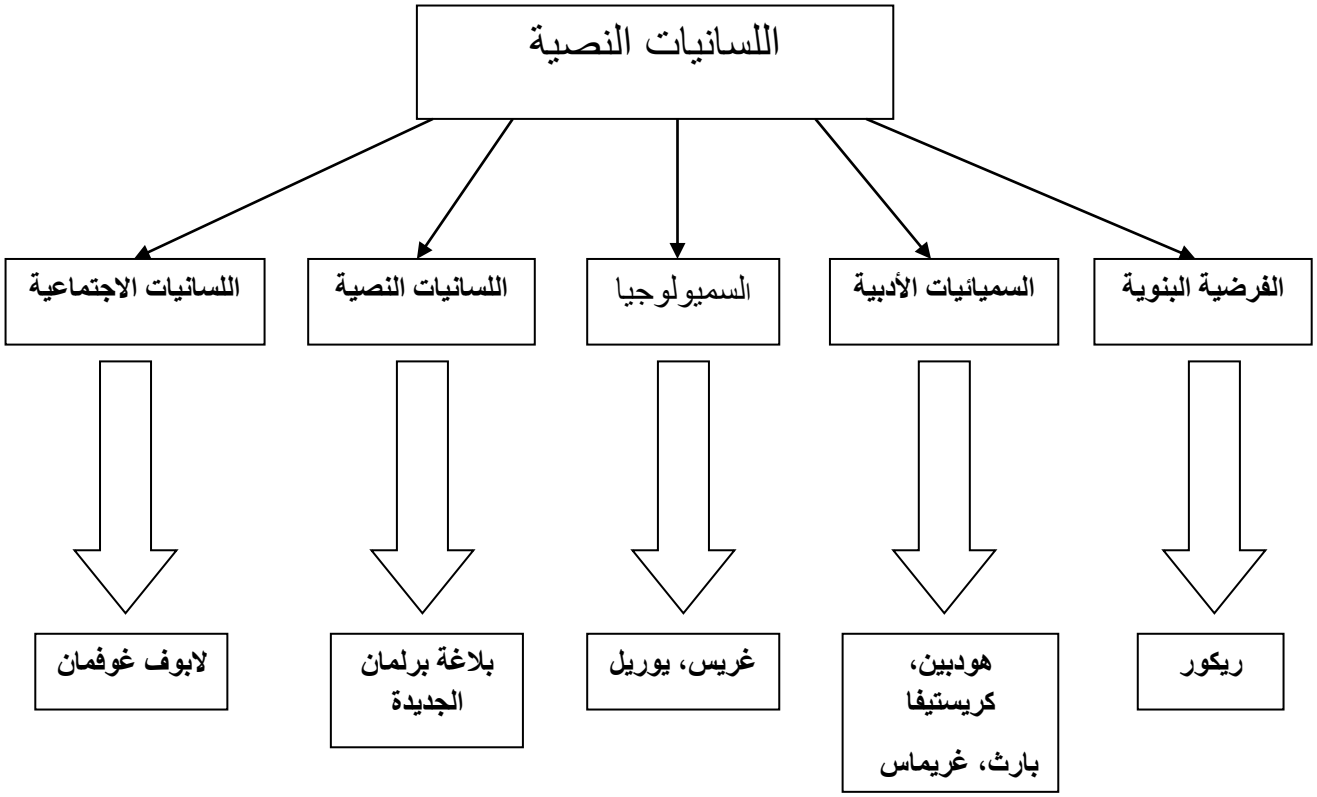

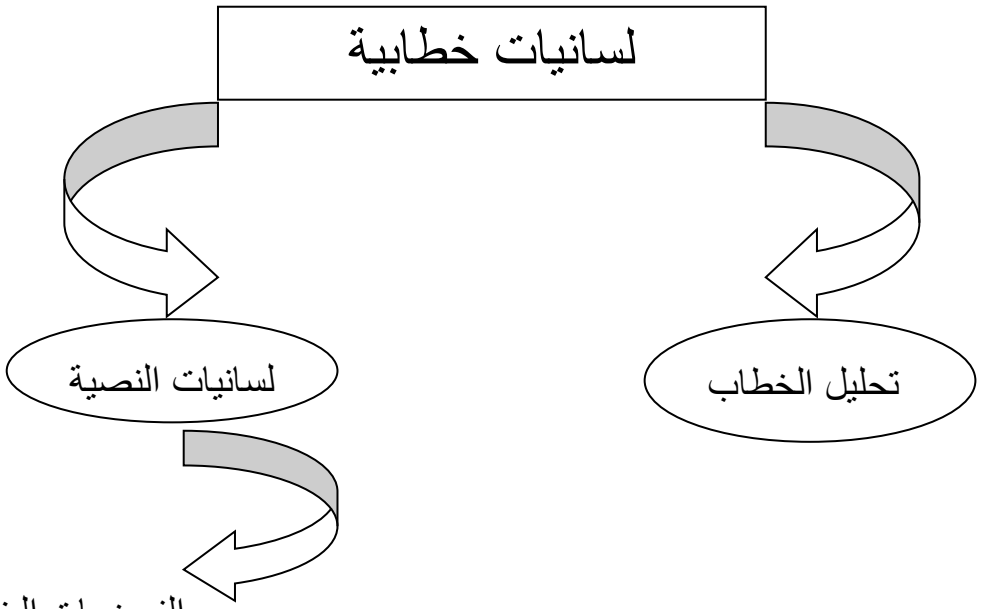

- الفرضيات البنوية.
- الفرضيات السميائي.
- اللسانيات النصية.
- اللسانيات الاجتماعية.

فإذا وسعنا المجال إلى اللسانيات الخطابية تشكل المخطط التالي:

فتتكرر بذلك المفاهيم التالية:

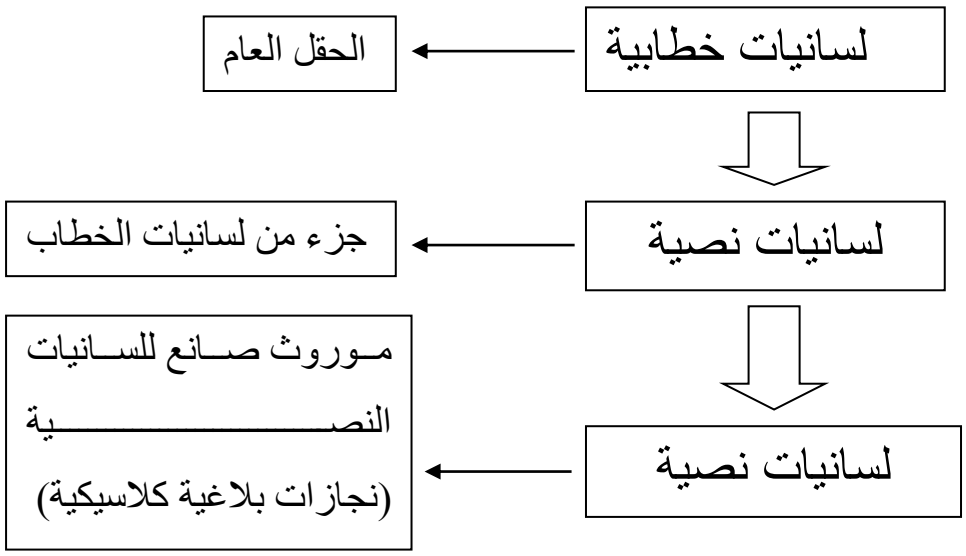

وقد يكون للترجمة يدٌ في هذا الخلط لاعتبار أنها لم تميز بين هذه المصبات، ونقترح التمييز بين اللسانيات النصية ولسانيات النص بالنظر إلى أن اللسانيات النصية linguistique textuelle منضوية ضمن حقل أكبر هو لسانيات النص linguistique de texte، الذي يضم توجهات مختلفة تصب كلها في بوتقة تجاوز الجملة إلى النص. اللسانيات النصية هي ذلك المنهج العلمي الموضوعي الذي يجعل من النص محل اهتمام ودراسة، في حين تتوسع لسانيات الخطاب"linguistique de discours " لتشمل النصوص بسياقاتها؛ إذ أن "دراسة بينية النص بإرجاعها إلى ظروف إنتاجها يعني تصوره بوصفه خطابا"[1]، ويتشكل ما يعرف بتحليل الخطاب الذي يمكن عده ترجمة لمصطلح العبارة التي صاغها هاريس «analyse de discours ». ويمكن بذلك تعريف تحليل الخطاب بوصفه "التخصص الذي يدرس الإنتاجات اللفظية في إطار ظروف إنتاجها، وهذه الأخيرة

[1] ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، ص328.

ينظر إليها باعتبارها أجزاء لا تتجزأ من المعنى ومن طريقة تشكل الخطاب»[1] ويمكن على هذا الأساس التمييز بين تحليل الخطاب واللسانيات النصية " التي موضوعها العمليات الداخلية للنص ويتميز عن التحليل الأدبي الذي، وإن كان يهتم بالسياق لا يرتكز إلى مسلمة التمفصل اللغوي/ الاجتماعي"[2].

- ❖ لسانيات النص: منهج علمي يهتم بدراسة العمليات الداخلية للنص.
- ❖ تحليل الخطاب: دراسة الإنتاجات التلفظية في إطار ظروف إنتاجها. الاجتماعية، باعتبارها أجزاء لا تتجزأ من المعنى ومن طريقة تشكل الخطاب.
- ❖ التحليل الأدبي: دراسة النصوص الفنية وإبراز خصائصها المميزة.

المساحة المشتركة بين هذه الميادين هي" النص"، باعتباره مجال اهتمامها جميعا لكن:

- ✓ تحليل الخطاب ينظر إلى النص محتوى في ظروف إنتاجه؛ من النص إلى خارجه.
- ✓ التحليل الأدبي يخص بالدراسة النصوص الفنية.
- ✓ لسانيات النصية تنظر إلى النص باعتباره شبكة من العلاقات الداخلية، وأن النص في مستوى النصية "حدث تواصلي، تفاعلي تجسده شبكة منتظمة بين

[1] المرجع السابق، ص329.

[2] المرجع نفسه، ص 329.

مكوناته المتفاعلة والمتداخلة، فموضوع النصية هو النص كنظام متواصل متفاعل بالمفهوم النورولوجي"[1]. تمثل اللغة في هذا المفهوم المعطيات والسندات التي تستمد منها، "فاللغة في النص هي مكون سند يتصف بالمظهر المادي"[2]. وتتلخص مهامه في:

- حمل كل مظاهر النشاط التفاعلي التواصلي؛
- اختزال المعلومات عن مضمون هذا النشاط[3].

"معالجة المعطيات البنيوية التداولية والمعرفية في النص تحت ضوء الترابط التواصلي، التفاعلي باتباع منهج تجريبي"[4] هو ما يتم في إطار اللسانيات النصية. إذن الخلفية في اللسانيات النصية، هي النص في حد ذاته. علما أن الخلفيات تتعدد بحسب المناهج كما يوضحه المخطط التالي:

[1] وقائع ندوة، بيانات قاعدية في مفهوم النصية مداخلة للأستاذ الدكتور أحمد بلحوت، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2013م.

[2] المرجع نفسه.

[3] ينظر :المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

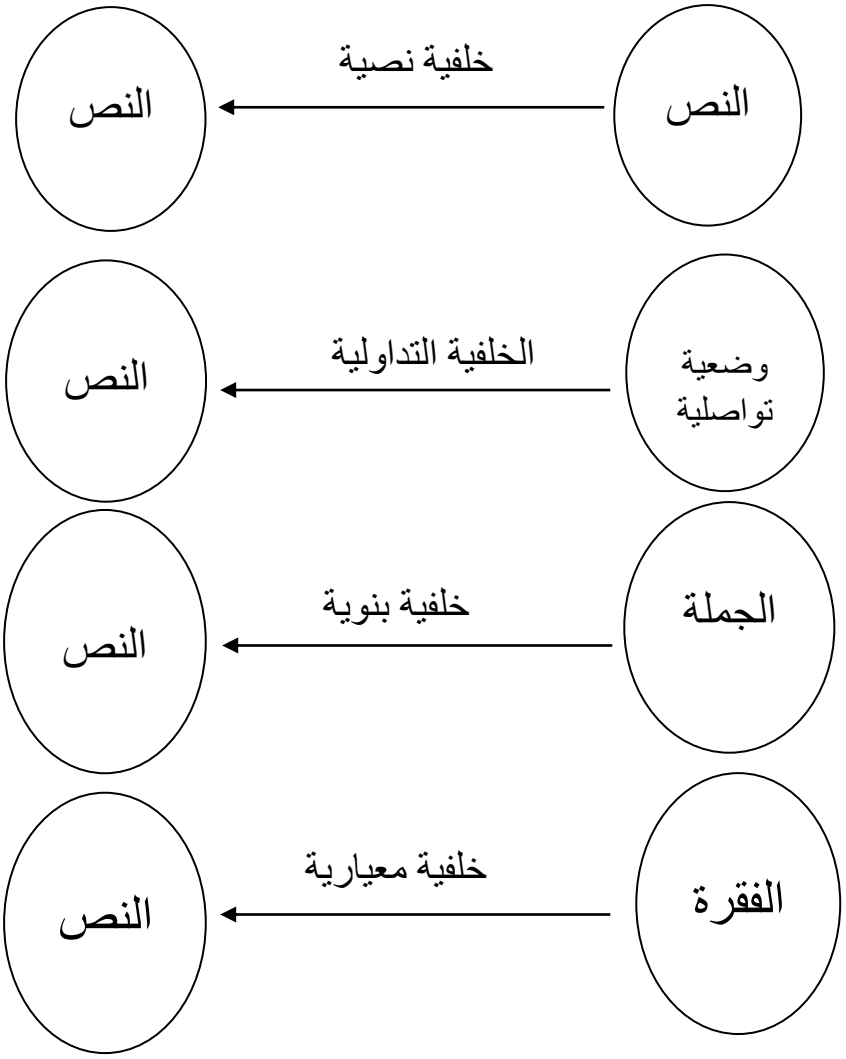

اعتبار النصية" منهجا تجريبيا "، أما كلمة منهج فمن نهج الأمر، أبانه وأوضحه، ونهج الطريق: سلكه، وانتهج الرجل: طلب المنهج؛ أي الطريق الواضح[1].

والمنهج اصطلاحا حسب أشهر التعاريف وأكثرها تواردا في الدراسات الجادة، هو طائفة من القواعد المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم[2]. واعتبار النصية "منهجا تجريبيا؛ أي "التأكيد على المنطلقات العلمية لهذا المنهج التي تتعامل بموضوعية مع تكوين مادي علما أن اللغة هي مكون يتصف بالمظهر المادي.

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب: ج2 دار صادر بيروت، د.ط، د.ت، ص ص383- 384.

[2] ينظر: عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية القاهرة، 1963م، ص3.

معالجة المعطيات يتم عبر الكشف عن العلاقات المتفاعلة المتداخلة والمنتظمة في النصوص التي تشكل شبكة متفاعلة منتظمة، وهي معالجة بنيوية لكونها تتعامل مع النص في تشكله البنيوي المادي وباعتباره نظاما مستقلا. فأما النظام: من نظم أي رتب والنظم التأليف، وتنظم الأمر: استقام [1].

والنظام أو النسق مجموعة من العناصر (بالمعنى الرياضي لمصطلح مجموعة) تسهم متضافرة في إقامة هذا النظام، ولا يمكن وصف وتصنيف هذه العناصر إلا بالكشف عن مكوناتها البسيطة وتحديد العلاقات والروابط التي توجد بين هذه الأخيرة من جهة، وبين العناصر والمجموعات داخل النظام من جهة أخرى. وعملية الكشف والتحديد تمر عبر عمليات التجزئة فالتحليل ثم التركيب، مع إمكانية الانتقال من جزء إلى الكل والعكس ومن البسيط إلى المعقد والعكس[2].

وأما التمظهر البنيوي فباعتبار النص بنية، والبنية اصطلاحا: نظام يشتغل حسب مجموعة من القواعد المضبوطة، واشتغالها هذا يحفظها من التلف ويضمن تطورها ويغنيها عن الاحتياج إلى الاستعانة بعناصر خارجية. فالبنية منغلقة على نفسها مكتفية بالعناصر المكونة لها، وهي بهذا المعنى نظام يتصف بالكلية والتحويلية والضبط الداخلي، فالبنية مختلفة تمام الاختلاف عن الركام الذي هو عبارة عن عناصر مشتتة مستقل بعضها عن البعض الآخر، لا جامع بينها..، وبهذا المعنى تكون البنية هي مجموع العلاقات التي تربط العناصر المؤلفة للبنية نفسها[3]. وفي ذات السياق ترى "**خولة طالب الابراهيمي**" أن البحث عن بنية الشيء تتمثل في «البحث عن العناصر التي يتركب منها وعن المقياس الذي ركبت

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج12 ، ص 578 – ص579.

[2] ينظر: عبد العزيز خليلي: اللسانيات العامة واللسانيات العربية، مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية، منشورات دراسات، الدار البيضاء، ط1، 1991م، ص 9.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

هذه العناصر على أساسه»[1] ، مع التأكيد على أن تدرس اللغة لذاتها وبذاتها بعيدا عن متعلقاتها من خارج حدود الن، فهم هذه الشبكة وتصورها في شكل مخططات يعتبر معالجة للنص. وأما كونها معالجة تداولية، فلأن النص معطى في إطار تواصلي تفاعلي، ومعرفية لكونها تستمد كثيرا من مفاهيمها من اللسانيات المعرفية التي تلخص المعالجة في شكل شبكة مفاهمية.

البنية النصية إذن بنية معقدة ذات أبعاد أفقية وتدرج هرمي، ونحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو وعلم الدلالة وعلم التداولية، الذي اختص علم اللغة النص بالقدرة على استيعابه، إذ أنه علم يجمع شتات الجزئيات المبعثرة في فروع معرفية مختلفة في إطار نظرية متكاملة، ويتقيد الباحثون فيه بالخواص الاتصالية التركيبية التي تجمع بين نصوص معينة وينصب اهتمامه على تحليل المضمون [2].

ليكون النص بناء على هذه المفاهيم كلها "شبكة من العلاقات الناتجة عن تضافر نظمه بمستوياته المختلفة"[3] ، في موقف وفي إطار تواصلي. لذلك يقبل أن نساوي بين المعنى الكلي للنص ومجموع معانيه الجزئية التي تكونها المتواليات الجملية، فلا تنجم الدلالة الكلية للنص إلا باعتباره بنية كبرى شاملة؛ "فالنص ينتج معناه إذن بحركة جدلية أو تفاعل مستمر بين أجزائه، وليس ذلك الانتقال المعهود والمنظم من الجزء إلى الكل»[4]، بعبارة أخرى:

ج1+ج2+ج3+ج4+.... (≠) لا تساوي نص.

[1] خولة طالب الابراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 16.

[2] ينظر: سعيد البحيري: علم لغة النص، ص125 .

[3] المرجع نفسه، ص 85.

[4] المرجع نفسه، ص 85.

خلاصـــــــة:

عنيت اللسانيات منذ ظهورها بالجملة دراسة وتحليلا وتفكيكا وبناء، حتى أنهكت هذا الدرس اللساني بحثا وتنقيبا، وأنهكها تشبعا وتفصيلا، حينها تفطن بعض الباحثين إلى ضرورة تحويل مجال الاهتمام لبعد جديد عبر جملي؛ أي توجيه البحث إلى وحدات أكبر من الجملة، وإذا كانت اللسانيات التقليدية تشكلت حديثا بناء على توجيهات ومسلمات سوسورية حفلت باللغة لذاتها وبذاتها، وأغرقت اللسانيات في الجملة عناصرها مكوناتها طرق تحليلها..، إلى حدود السبعينيات في محاولات لتحطيم أسوار اللسانيات الجملية بمعاول. أهمها محاولة وصل جسور علاقات بين اللغة والثقافة أو السياق، وقد أسهم في ذلك لسانيون أمثال "هاريس (Hariss) بيك لونكاكر (Lungacker) بتوفي (Betovie) هالداي (Halliday) ".

غير أن الملاحظ لمسيرة هذا التوجه سيدرك أن أصحابه لم يستطيعوا أن ينفكوا عن اللسانيات التقليدية، فاستعانوا بها واستعملوها لدراسة البعد اللساني الجديد وهو النص؛ أي استخدموا المناهج اللسانية القديمة المعروفة وطبقوها على بحثهم الجديد مع إدخال عناصر جديدة، هي في الحقيقة السبب الداعي للانتقال كالثقافة أو المجتمع أو السياق. مما جعل لسانيات النص تتبنى موروثات علمية لسانية متعددة كالبنيوية التي تعتبر أساسا في دراسة الجملة، والتي تحول العمل بها للتأقلم مع فكرة أن الوحدات الأكبر من الجملة تخضع لنفس التنظيم الجملي، وكذلك التوليدية التي تؤمن بإمكانية توليد عدد لا حصر له من الجمل، وقد حول هذا المرتكز إلى توليد عدد لا حصر له من النصوص.

لسانيات النص برزت الحاجة إليها نظرا للفجوات في النحو التقليدي لا مناص لسدها، إلا بتجاوز أطر الجملة إلى أفق أوسع يمثله النص. لكن هذه النقلة لم تجد في بدايتها أدوات تفعلها إلا تلك التي سبق أن وُظفت في نحو الجملة، فأخضع هذا البعد العبر جملي إلى الموروث القديم، فأُلبس لباسا بنيويا تارة ووظيفيا تارة أخرى وتوليديا عند البعض الآخر.

وإن كان من بين هذه المناهج التي ذكرناها أو غيرها مما لم يذكر، منهج يمكن أن يوصف بالاستقلالية آو التخصص والقرب من النص، باعتبار أنه يبدأ وينتهي داخل النص فهو اللسانيات المبنية على النصية؛ ذلك المنهج العلمي التجريبي الذي يسعى لمعالجة المعطيات البنيوية والتداولية والمعرفية في النص على ضوء الترابط والتواصل والتفاعل.

المبحث الثاني: مرتكزات لسانيات النص

تعتمد لسانيات النص على أسس ومرتكزات تصنع حيثياتها، أهمها انعتاقها من قيود الجملة وحدودها واتساعها، لتلامس أفق **النص** الذي يعتبر مجال دراستها للبحث عن معايير **نصيتها**، وما يجعل النص نصا بدءا **بترابط** أجزائه، وقد استوجب هذا التوسع اعتماد نحو يتعدى نتائج النحو الجملي التقليدي، يتناسب ومستجدات النقلة اصطلح على تسميته **بنحو النص**.

1. المرتكز الأول" النص":

هدف النص ومركزه في علم اللغة النصي هو" النص"، مهما تغيرت مسميات هذا العلم المتعدد الاختصاصات المتشابك الأوصال، إلا أنه يظل متمحورا في فلك النص لا يجاوزه ولا ينحرف عن مساره. فهو مهما توسعت أطرافه يظل أهل الاختصاص يجتمعون عند فكرة النص، سواء كان علم النص أو علم اللغة النصي أو علم لغة النص أو لسانيات النص فهذا المصطلح الجوهري لا يغيب عنه.

1.1.إشكالية تعريف النص:

وعلى الرغم من أن النص قد أصبح الحجر الأساس الذي ترتكز عليه العديد من العلوم اللغوية، إلا أن إمكانية الظفر بمفهوم جامع مانع له يعد ضربا من المستحيل في خضم هذا العدد الهائل من التعريفات، مما أكسبه صفة يقول عنها د. **عبد اللطيف البدادي**" زئبقية"[1]؛ إذ أصبح يستعمل استعمالات مختلفة ومتباينة ومتضاربة بتضارب الحقول المعرفية والمنطلقات الابستيمولوجية التي ينطلق منها كل دارس، نظرا للاستعمال الضيق والمطلق

[1] ينظر: عبد اللطيف البدادي: النص وبعض إشكالاته النظرية من خلال كتاب مدخل إلى علم لغة النص. www.maghress.com

لمفهومه[1]. ومن الإشكاليات المطروحة: إشكالية التعريف، المعايير، الأشكال الحدود وعلاقته بالجمل...

إن رسم حدود للنص تبقى إشكالية في حد ذاتها، إذ فيما يتساءل البعض عن إمكانية إدراج المشافهة وتحليلها نصيا، نجد البعض الآخر يتوسع في مفهوم النص والنصية ليشمل عناصر غير لغوية معتبرا "أن النص لا يمكن حصره باللغة، وإنما هو وحدة ثقافية ذات المعنى المتكامل والأشكال المختلفة، فقد تكون رسما أو عملا فنيا أو مؤلفا موسيقيا أو بناية ذات صفة معمارية..[2]، ومقارنة بسيطة لمثل هذا التعريف مع من ينظر إلى النص على أنه المكتوب كما هو الحال عند الظاهرتين لا يتأسس حتى يكتب. وفي ذلك يقول **بول ريكور**((P.Ricoeur)):" لنطلق كلمة النص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة وهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ذاته ومقوم له"[3]، ومثل هذا كفيلة بإظهار التباين في وجهات النظر، ويكفي لبيان الاختلاف في التصورات سواء من حيث الطبيعة النصية المنهجية أو من حيث الوسائل المرتبطة بها، أو حتى من حيث الوظيفة المنوطة به.

وقد حاول الكثيرون تفحص هذه المنطلقات وحصرها، وهذا ما فعله هاينة مان وفولفالج في كتابهما: مدخل إلى علم لغة النص، حيث وجدا أنها تنحصر في ثلاث منطلقات رئيسة هي على التوالي:

- منطلق مرتبط بمنتج النص.
- منطلق مرتبط بمتلقيه.
- منطلق مرتبط بالنسق اللغوي للنص ذاته.

[1] ينظر:المرجع السابق، ص8.

[2] ينظر: النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، موسوعة النظريات الأدبية،ع 18، ص669.

[3] النص والتأويل، ص37.

ويتتبع أحد الباحثين التعريف الاصطلاحي للنصوص، فيجده يعاني من مشاكل جمة يحصرها فيما يلي[1]:

- ✓ الكم الهائل من التعريفات الخاصة بالنص، "فهذا يعني أنه لا يوجد تعريف جامع مانع لغيره من التعريفات"[2]، بل نجد تعريفات بعدد المناهج إن لم نقل بعدد النقاد واللغويين؛
- ✓ أغلب هذه التعريفات تمثل وجهات نظر خاصة بالأدباء والدارسين، وقد لا يمثل الواحد منهم مدرسة أدبية أو نقدية مميزة؛
- ✓ كثرة تغيير تعريف النص عند الناقد الواحد، بحسب المراحل الأدبية التي يمر بها؛
- ✓ تحمل بعض التعريفات بين طياتها الكثير من التعقيد؛
- ✓ ارتباط بعض تعريفات النص بالمرجعيات الفكرية والتراكمات المعرفية التي تحاول تعميم تصوراتها الخاصة بالنص.

هناك مرتكزات أساسية في البحث النصي تسهم في تحديد تعريف للنص منها: الاستعمال التأثير التفاعل الاتصال والتضام، الواقع اللغوي والواقع الخارجي، البنية الكبرى والصغرى والسياقات والمقامات والاستراتيجيات، وهذه في حد ذاتها تشكل خصوصيات النص في البحث والتطبيق والتوظيف[3].

إن تعدد التعاريف إذن راجع إلى تعدد الرؤى، وتنوع الحدود التي توضع للنص والزوايا التي ينظر إليه من خلالها. أن حصر النص في زاوية ضيقة وتجريده من منتجه ومتلقيه تولد تعريفا طابعه لغوي محض، والنظر إليه من زاوية الإنتاج تضع المنتج في

---

[1] ينظر: مجيد مطشر عامر: نظرية النص في البحث اللساني الحديث، مجلة ذي الفقار، ع 1، مج5 ، 2009م، ص288

[2] أندري مارتيني: وظيفة الألسن، وديناميتها، سلطان ناصر الدين البحرين الثقافية، ع 22 ، 1999 م، ص 86.

[3] ينظر: فايز الكومي: تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللغوي الحديث، ص205.

الصورة وتبحث عن أثره وتأثيره ولكن تقصي المتلقي والنظام اللغوي، والنظر من زاوية المتلقي فقط تعزل بقية الزوايا.

ثم ماذا عن علاقاته بمكوناته الداخلية وماذا عن الحدود التي تفصل بينه وبين الخطاب؟. وماذا عن السياق بكل أبعاده؟. ثم هل يجب أخذ النص من وسط تواصلي فعلي أم نجرده منه؟. وكيف السبيل بعد كل ذلك إلى تحليل الرموز غير اللغوية؟. أم نجرد النص منها إلى حين التوصل إلى نموذج لتحليل نص يتسع لما هو لغوي وما هو غير لغوي.

بعد كل هذه التساؤلات ننظر إلى بعض التعريفات التي طرحها أهل الاختصاص بتعدد مشاربهم وتوجهاتهم، وبما أن الاختلاف حاصل في الشق الاصطلاحي فإننا سنكتفي به.

2.1. تعريف النص بين المدارس اللسانية المختلفة:

إن تعريف أهل الاختصاص للنص تعدد وتشابك وهو أمر منطقي بالنظر إلى تعدد مشاربهم واختلاف منطلقاتهم. غير أنه يمكن القول أنها تأخذ منحنيين: الأول يصف المكونات اللغوية للنص يمكن الاصطلاح على تسميته منهجا وصفيا، والثاني يأخذ من السمة التواصلية للنصوص مرتكزا له يمكن الاصطلاح على تسميته المنهج التواصلي وهو يشتمل على ثلاث أبعاد رئيسة:

- ✓ كيفية استخدام اللغة؛
- ✓ عملية إنتاج النص؛
- ✓ التفاعل في السياقات الاجتماعية[1].

وثمة اختلاف شديد بين هذه الاتجاهات في تعريف النص إلى حد التناقض أحيانا، ولا نكاد نجد له تعريفا يأخذ به أهل الاختصاص بشكل مطلق؛ لأنها اعتبرت فرعا علميا

[1]. عزة شبل محمد: علم لغة النص، بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، ط2 ،2009م، ص ج.

متداخل الاختصاصات من جهة، كما اعتبرت علما يرتكز على النصوص في ذاتها وعلى أشكالها وقواعدها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة من جهة أخرى، إنها تعريفات تميل كلها إلى خلق حالة منسجمة من النظام والتشاكل والتماثل بين مختلف المستويات التكوينية والصرفية والصوتية والدلالية للنص[1]. وهكذا عُرف النص بالنظر إلى مكوناته أو من زاوية منتجه أو متلقيه، على نحو ما يمثله المخطط التالي:

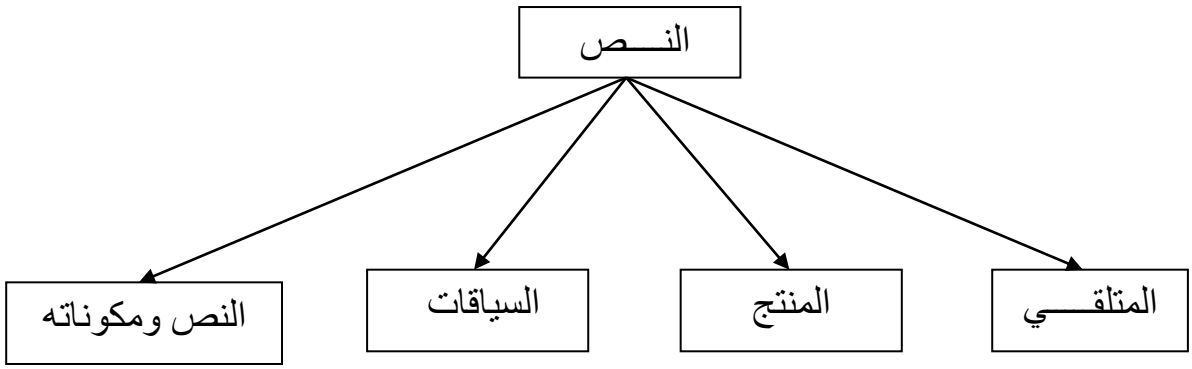

ويمثل مصطلح النص إشكالية معقدة نظرا لتداخله مع عدد من المصطلحات كالخطاب والأثر... وقد حاول اللسانيان الفرنسيان "روبير لافون /م؛ (Robert Laffont) 1923 وفرنسوا أرمادري Francois Almadri" تتبع هذا المصطلح منذ نشأته واستعمالاته في العصور المختلفة فتوقفا عند سوسير واستعرضا جهود "سبيتزر/ 1887 م(Spitzer) وريفاتير/1924(Riffaterre)وكريستيفا/1941(Kristeva)،وجاكوبسن1896(Jackobson، خاصة فيما يتعلق بحديثه عن علاقة النص بالتواصل، كما أوضحا مفهوم هذا النص لدى الدارسين[2]، ولا شك أن مثل هذه الدراسات تعطي فكرة واضحة عن التباين في فهم النص وتعريفه؛ مما يعكس توجهات معرفية ونظرية مختلفة.

[1] ينظر: فاضل ثامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط1، ص45.

[2] ينظر: سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص15.

النص وحدة كبرى شاملة، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة، تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية ويتكون المستوى الثاني من تطورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية ومن ثم يمكن النظر إلى النص من مستوى تركيبي من ناحية ثم من مستوى دلالي. فإذا أخذنا بالاعتبار توصيات "دي بوجراند" الداعية إلى دراسة النصوص ضمن سياق تواصلي احتجنا إلى زاوية ثالثة هي الزاوية التواصلية.

أولا/ تعريف النص من منظور تركيبي:

ينطلق من خلفية بنيوية، وقد طغى على تعريف النص في بداية الاهتمام به، وسبب ذلك أن البنيوية تعد أول نظرية انطلقت جل المحاولات الأولى للدراسة والتنظير العلمي للنص.

اجتهد بعض العلماء في وصف النص بالنظر إلى مكوناته الداخلية (بنيته)؛ أي من خلال مفهومه وتراكيبه فنجد برينكر يجعل من النص "تتابعا مترابطا من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفه جزءا صغيرا ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيا[1]. والتعريف ذاته نستقيه من معجم اللسانيات:" نسمي نصا مجموع الملفوظات اللغوية التي يمكن إخضاعها للتحليل. والنص عند الشكلانيين يعني حشدا تعسفيا من الصنعات تضم هذه الصنعات أو الحيل. كما يسميها شكلوفسكي مجموعة من المستويات: كالصوت

[1] ينظر: كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ترجمة: سعيد حسن البحيري ط1، 2000م، ص27.

والمخيلة والإيقاع والنحو والعروض والقافية والتقنيات السردية، أي كل محزون العناصر الشكلية الأدبية[1].

ومع أن تعريف النص عند البنيويين يختلف باختلاف زوايا النظر للمنهج البنيوي نفسه بين بنيوية تكوينية، إنشائية، وتفكيكية[2]، تجعل من محاولة الحصر أمرا صعبا. غير أن أهم ما يمكن قوله أن النص من منظور بنيوي عام: "بنية لغوية مقفلة، مكتفية بذاتها، في إنتاج المعنى ولا تحيل إلا عليها، إنه طاقة تشتعل دونما حاجة إلى اعتبار سياق النشأة والتقبل"[3]، أو أنه "عالم ذري مغلق على نقسه موجود بذاته"[4]. هذا ولعل أطروحات "رولان بارث 1915(Roland Barthes) حول النص، تعد الانعكاس الصافي للتصور البنيوي عند الباحثين. إذ يرى أن النص هو: "تسيج الكلمات المنظومة في التأليف، والمنسقة بحيث تفرض شكلا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا "[5].

إن أصحاب هذا المنظور يفصلون النص عن سياقاته باعتباره (عالم ذري مغلق)، (بنية لغوية مقفلة)، (مكتفية بذاتها). إذ يقدرون بأنه منفصل عن الحيثيات التي أوجدته وولدته، مكتف بذاته لتوليد المعاني المقصودة. ثم إن أكثر ما يستحق الدراسة في لسانيات النص هو النص في حد ذاته، بوصفه العلامات اللغوية المتتابعة، وأن نصيته منبثقة منه منتهية إليه فهو "القول اللغوي المكتفي بذاته المكتمل في دلالته[6]".

---

[1] ينظر: ايغلتون: نظرية الأدب، ص14.

[2] ينظر: مجيد مطشر عامر: نظرية النص في البحث اللساني الحديث، ص 288.

[3] الطاهر الهمامي: القارئ سلطة أم تسلط، مجلة الموقف الأدبي، ع330 ،1988م، ص157.

[4] المرجع نفسه، ص 21.

[5] رولان بارث: نظرية النص، ص89.

[6] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص223.

ثانيا/ تعريف النص من منظور دلالي:

تظهر خاصية الربط النحوي بقوة في التوجه التركيبي البنيوي، في حين ينحو أصحاب التوجه الدلالي نحوا آخر يتم من خلال التركيز على الترابط الدلالي، فضلا على الترابط النحوي. فليس من المجدي الاكتفاء بالوصف الظاهري لمفردات أو أبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة، نشأت عند استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات مختلفة. باعتبار أن النص تكون حتمي يحدد بعضه بعضا لفهم الكل. والنص تترابط أجزاؤه من جهتي التحديد والالتزام؛ إذ يؤدي الفصل بين الأجزاء إلى عدم وضوح النص، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من العناصر إلى عدم تحقيق الفهم، ويفسر هذا بوضوح من خلال مصطلحي الوحدة الكلية والتماسك الدلالي للنص[1]. فالنص عند هؤلاء ليس وحدة نحوية مثل الجملة بل هو أساس وحدة دلالية، هذا ما يمكنه من تجاوز الجملة، وليس المقصود هنا التجاوز التراكمي للجمل بل التجاوز الدلالي؛ أي أن مجموع جمل ليس شرطا في تكوين نص، لكن تراكم دلالات متسقة منسجمة هو ما يخلق نصا. ولعل الانعكاس الصافي لهده النظرية يتجلى في أفكار أمثال "فان دايك/ van dyke1907 ، وهاليداي ورقية حسن".

عني "هاليداي" (Halliday) في أعماله المتأخرة عناية بالغة بالنص بوصفه واحدا من أهم المفاهيم في نموذجه النحوي، والنص عنده هو الوحدة الأساسية لعلم الدلالة؛ إذ هو بمنزلة الجملة في علم النحو والفونيم في علم الصواته (فونولوجي)، لذلك ينبغي ألا نعد النص توسعا في مدى الرتبة صعودا من الجملة إلى النص، فيصبح وحدة تعلوا الجملة أو "جملة عليا" فهو ليس وحدة تركيبية، بل هو وحدة دلالية لها تركيبها الخاص.

ويرى مصطفى غلفان أن النموذج الذي قدمه "هاليداي ورقية حسن" يمكن أن يوضع بجانب النماذج التي قدمتها المدرسة الألمانية التقليدية مع هايدولفHeidolph) ، والمدرسة الأميركية مع بايك (Baik)، وهذه النماذج بمجملها تنتمي إلى المرحلة الثانية في نشأة

[1] ينظر: زتسيسلاف وأورزنياك: مدخل إلى علم النص" مشكلات بناء النص"، ص 58.

لسانيات النص، وهي المرحلة التي كان هدف البحث فيها وضع أسس لسانيات ما وراء الجملة؛ إذ تم الحديث بشكل مباشر عن الكلام والنص والخطاب بمصطلحات ومفاهيم اللسانيات البنيوية والتوليدية على حد سواء، فضلا عن ربط الخطاب بالمحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي. غير أن مفهوم النص في هذه المرحلة لم يتعد كونه متتالية من الجمل أو وحدة أكبر من الجملة، وسرعان ما كشف هذا الأمر عن عدم جدواه النظري والمنهجي وقصوره الفعلي في الوقوف على حقيقة النص/ الخطاب[1].

ثالثا/ التوجه التداولي:

يستند هذا التوجه إلى النظرية التواصلية التي تقوم على نظرية الفعل الكلامي وترى أنّ "العنصر الحاسم في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني"[2]، ومن ممثلي هذا التوجه "شميث/ 1843 (Schmidt) ، حليتس (Halitz)، سانج(Sanj). والنص في تصور هؤلاء فعل كلامي يحقق التفاعل والاتصال الاجتماعي، لذلك اشترط تحويل الاهتمام المنصب على الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة التواصلية. يحدد النص في هذا التوجه على أنه: فعل لغوي معقد يحاول المتكلم من خلاله أو الكاتب أن ينشئ به للنص علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ[3].

أما شميث (Schmidt) فيعرف النص على ضوء التوجه التداولي بأنه: جزء حدد موضوعيا من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية (إنجازيه)[4]، ويقول في موضع آخر« نسمي النص كل قسم لغوي يتجلى داخل فعل تواصلي يجمعه موضوع واحد، ويقوم بوظيفة تواصلية قابلة للمعرفة»[5]؛ أي أنه يحقق طاقة إنجازية قابلة للمعرفة؛ إذ بفضل الوظيفة

[1] ينظر: اللسانيات وتحليل الخطاب: أية علاقة؟ تساؤلات منهجية (بحث)، ص ص 57-58.

[2] الهام أبو غزلة وآخرون، ص ج.

[3] ينظر :كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، ص 25.

[4] ينظر :حسن البحيري: علم لغة النص، ص99.

[5] المرجع نفسه، ص 99.

الإنجازية وحدها تغدوا مجموعة من الرسائل اللغوية المحكمة القواعد نسقا نصيا متماسكا يعمل بنجاح أثناء التواصل الاجتماعي[1]، والملاحظ أن شميث(Schmidt) يركز على نقطتين: الكلية (وحدة الموضوع)؛ إذ يدخل في سياق النص كل مل يد خل في حيز معناه. والتداولية (أخذ النص من سياق تواصلي فعلي انجازي...). وقد حقق مبدأ دراسة اللغة في الاستعمال نقلة نوعية في البحث اللساني[2]، ذلك أن هذا المبدأ يعني الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها الطبيعي، حيث يستعملها الناس إنتاجا وتلقيا في موقف ما من أجل التواصل والتفاعل.

وعلى ما تحمله هذه التعريفات المقترحة للنص من بتعدد مشاربها وخلفياتها من تنوع، إلا أن المتفحص لها يستطيع أن يستخلص مجموعة من المقومات التي تميز النص:

- ✓ المقوم الأول: الترابط (النسقية)؛
- ✓ المقوم الثاني: الدلالة (ظهور المعنى)؛
- ✓ المقوم الثالث: الاكتمال، الكلية (اكتمال المعنى)؛
- ✓ المقوم الرابع: الإجرائية، التفعيل (الوظيفة التواصلية) .

كما يصر بعض الباحثين على مقوم آخر هو المظهر الكتابي للنص، إذ حاول بعض اللسانيين تجلية مفهوم النص من خلال تمظهره الكتابي. فهو عند بول ريكور(P.Ricoeur) "كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة"[3]، ذلك بأن يأخذ النص شكل متوالية خطية ذات علاقة

[1] ينظر: نزار التحديتي: النص من نظرية زيغفريد شميث، مجلة علامات لغوية، ج11، 2001م، ص 376.
[2] ينظر: خولة طالب لابراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص ص 157 – 158.
[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص297.

مرئية على الورق، "أي تجلي النص في مظهر كتابي يضعنا وجها لوجه أمام السمة اللغوية للنص باعتبار الكتابة جزءا من النظام اللغوي[1].

فالبنية النصية إذن بنية معقدة ذات أبعاد أفقية وتدرج هرمي، تحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو (علم التراكيب) وعلم الدلالة وعلم التداولية، الذي اختص علم النص بالقدرة على استيعابها جميعا.

1. بين النص والخطاب:

إن الفصل بين النص والخطاب إشكالية كبرى، يقف الباحث أمام وجهات نظر متعددة لكل منها زاوية ينظر من خلالها، فمن الباحثين من لا يفصل بينهما، ومنهم من يضم أحدهما إلى الآخر. ويكاد يُجمع أغلب اللغويين على أن النص هو المظهر الشكلي للخطاب، بينما يعني هذا الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص، أي أن تفعيل النصوص في واقع اجتماعي يحولها إلى خطاب. وهذا ما يأخذ به الأزهر الزناد حين يقول: وبعضهم يفرق بين النص وهو كائن فزيائي منجز وخطاب، وهو موطن التفاعل والوجه المتحرك في التعبير والتأويل[2].

فان دايك(Van Daik1943) يميز بين النص والخطاب تمييزا خاصا؛ إذ ينظر إلى الخطاب على أنه "عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة, أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب. وبتعبير آخر فإن الخطاب ملفوظ (أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية..، بينما النص هو الشيء المجرد والافتراضي الناتج عن لغتنا

[1] ينظر: عبد الرحمن أبو علي: عناصر أولية لمقاربة سيميولوجية، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت ع1، 1988م، ص 74.

[2] ينظر:الأزهر الزناد: نسيج النص، ص 15.

العلمية»[1]، ومن هذا الكلام يستنتج الباحث حسين خمري أن « الخطاب يرتبط بالشفوية، في حين تتجلى آثار الاشتغال على اللغة وبواسطة البنيات المجردة في النص»[2].

ذهب بعض الباحثين أمثال "آدم و شارودو/ 1939(Charaudeau) وبنفنست/ 1902 (Benveniste) " إلى أن ما يحدد الخطاب هو الربط القائم بين اللفظ والوضع التواصلي الذي ينجز فيه، وهو ربط غير حاضر في تصور النص، أي إن الخطاب يُحدَّدُ بكونه نتاجا لإدراج النص في سياقه، ذلك لأن مجال الخطاب هو مجال تلتقي فيه الدلالة بالإحالة. ومن ثم يتم ربط الخطاب بالتلفظ وربط التلفظ بالسياق التواصلي، فحُدِّدَ الخطابُ بناءً على ذلك بكونه نتاجا لغويا، يشكل مع شروط إنتاجه السوسيو– أيديولوجية كلا قابلا للوصف[3].

يقيم كل من "كريماس/ 1917 (Greimas) وكورتيس(Kurtis)" تمييزا بين النص والخطاب انطلاقا من صيغة التعبير التي تحدد ماهيتة باعتباره لفظا؛ أي إنتاجا، كما يحدد ماهية الخطاب باعتباره إجراء وتلفظا يخول للنص أن يتحول إلى خطاب[4]. في المنحى نفسه تركز المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب على التلفظ كمعطى يحدد الخطاب من جهة، ويميزه من جهة أخرى عن النص، ربط النص باللفظ وربط الخطاب بالملفوظ أي بشروط إنتاجه، وقد تم ذلك في إطار معادلة صاغها "راستي/ 1945(Rastier)[5]، جاء فيها أن:

اللفظ + ملفوظ (وضع تواصلي) = خطاب.

تبين المعادلة أن الربط القائم بين اللفظ والوضع التواصلي الذي ينجز فيه هو ما يحدد ماهية الخطاب، وهذا الربط غير حاضر في تصور النص، وهذا بالتحديد ما يمثل جوهر الخلاف بينهما.

---

[1] حسين خمري: نظرية النص ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2007م، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص 60

[3] ينظر: الحد بين النص والخطاب (بحث)، ص 39، ولسانيات النص بين النظرية والتطبيق، ص 43.

[4] Griemas A. courtes J 1979 séméiotique dictionnaire raisonné de la théorie de langage 389.

[5] Rastier .F 2009 discours du texte www.revue.texto , rastier – discours. html

"جون ميشال آدام/ J.M.Adam1947" يميز بين الاثنين في شكل معادلة يتوصل من خلالها إلى أن:

النص= خطاب – سياق.

والخطاب = نص+ سياق.

وإذا كانت التوجهات السابقة تركز على البعد المكتوب والمنطوق للغة في فصلها بين النص والخطاب، فإن هذا البعد لا نجده حاضرا عند "كارتر(Carter2006) ومكارتي Mc Carthy"[1]، اللذين يعتبران كل متوالية متلاحمة تشكل نصا سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة، ليكون البعد المحدد للنص هو التلاحم والترابط .

ويذهب "دي بوجراند " إلى أن الخطاب أوسع من النص، لأنه "قد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون خطابا"[2]، وبذلك يكون الخطاب أشمل وأسع من النص لتعلقه بالمقام الذي يرد فيه. فيما يرى "جميل حمداوي" العكس عندما يقول: «وهكذا تتداخل لسانيات النص مع تحليل الخطاب، وإن كان النص أعم وأشمل من الخطاب، ولا سيما في مجال السرد، فالنص يتضمن من جهة الدلالة القصة (الأحداث والشخصيات، والفضاء)»[3]، فيتجلى الاختلاف في وجهات النظر واضحا.

نفس الملاحظة تسجلها "د.ربيعة العربي"* إذ تلاحظ أن مفهوم النص يتداخل مع مفهوم الخطاب في التصورات التي تدرج في بعده التواصلي..، فيصبح أحيانا الخطاب أعم من النص، كما هو الحال عند محمد مفتاح أو النص أعم من الخطاب، كما هو الحال عند سعيد يقطين. أمام هكذا تناقضات في التعريفات ترتفع أصواتٌ تستبعد إقامة التفريق بحسب

[1] Carter .R et Mc Carthy .M 2006 grammar of english, cambridge univercity press . cambridge

[2] البحيري: مدخل إلى علم لغة النص، ص 9.

[3] حميد حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص9.

* أستاذة بكلية الآداب، جامعة أغادير.

التعريف: "كوكورك"(Korcourek.R 2001) مثلا: يرى أن ما يميز بين النص والخطاب ليس هو التعريف الذي يمكن أن يقدم لكل منهما، وإنما هو مجال استخدامهما؛ إذ النص يستخدم بالأساس في مجال الأدب بينما يستخدم مفهوم الخطاب في مجال اللسانيات[1].

أما "محمد الأخضر الصبيحي" فله طريقته الخاصة للتمييز بين المصطلحين إذ يقترح توضيح الصورة بتوسيع المقارنة لتضم علم النص وتحليل الخطاب، فيُعرف الأول بأنه الدراسة اللغوية التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظم بناء مختلف النصوص وتميز النص عن اللانص..، بينما يعرف تحليل الخطاب بأنه دراسة النص في علاقته مع ظروف إنتاجه. «فتلاحظ من التعريفين أن الأول ينغلق على النص في حين أن الثاني ينفتح على السياق، غير أن المتأمل في بحوث اللغويين لا يكاد يجد منهم من لا يشير إلى أهمية السياق في فهم النص. وها هو "دي بوجراند" يُقر بذلك فيقول "إذا كان الحكم على صحة الجملة يتم بالرجوع إلى الأنماط النحوية، فإن التمييز بين ما يعد نصا وبين اللانص يكون بالرجوع إلى السياق الذي ورد فيه النص»[2] ونفس الحرص نجده عند زعماء تحليل الخطاب براون ويول، حين أكدا على أهمية النص بالسياق في كتابهما تحليل الخطاب "يبتغي أن يكون لكل نص هدف وبناء محكم وسياق خاص»[3]. ويتضح من خلال التعريفين أن التطبيق الميداني لتحليل النصوص بتجاهل الفروق إن وجدت بين النص والخطاب، في ظل إصرار علماء النص عن فصل النص عن سياقه. وأدى هذا إلى تقريب المسافات بين التخصصين، فلم يعد مصطلح علم النص أن يكون في واقع الأمر تسمية لنظرية مفردة أو لمنهاج محدد، وإنما يدل على أي عمل في اللغة مخصص للنص باعتباره الهدف الأول للبحث. وتطوّرت مسألة التداخل حتى أصبحت مفاهيم ومصطلحات تحليل

[1] Korcourek.R 2001 éssais de linguistique français et anglais. Edition Pieters Louvaine . paris P122

[2] محمد الاخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص ص 90 -91.

[3] براون ويول: تحليل الخطاب، تر: الزليطي والتركي الرياض منشورات الملك سعود، 1997 م، ص32.

الخطاب تتداخل مع مفاهيم ومصطلحات لسانيات النص، فأخذ هذا من ذاك وتبادلا معًا المفاهيم والمصطلحات، حتى صار الأمر يتداخل على الباحث –المبتدئ– أينسب هذا المصطلح إلى تحليل الخطاب أم إلى لسانيات النص، ومثال ذلك مصطلح :

- **الانسجـــام:** مصطلح بين لسانيات النّص وتحليل الخطاب، فيمكن أن نقول انسجام الخطاب في ميدان تحليل الخطاب، كما يمكن أن نقول انسجام النص في ميدان لسانيات النص.
- **نصانيـــــة:** وهي واحدة من مصطلحات تحليل الخطاب، ولكنها مستعملة أيضا في ميدان اللسانيات النصية.
- **الإستحســان:** وهو مدى استجابة المتلقي لما يتلقاه، وهو من مصطلحات تحليل الخطاب، ولكنه في الوقت نفسه واحد من الشروط المحققة للنص نصيته.
- **القصـــــد:** وهو ما يقصده المرسل من خطابه أو نصه، وهو متعلق بتحليل الخطاب وهو أحد شروط النصانية التي بها تتحقق نصية النص.
- **التنـــــاص:** وهي كذلك مصطلح يتقاطع فيه التخصصين.

ولعلّ السّر وراء هذا التداخل يعود إلى:

أ– انطلاقة لسانيات النص وتحليل الخطاب كانت انطلاقة واحدة مع هاريس عندما حاول تجاوز الجملة إلى ما بعد الجملة.

ب– تداخل بين مفهوم النّص ومفهوم الخطاب، فكثير من الدّارسين لا يفرّقون بين النّص والخطاب.

فلا غرابة إذن أنّ تتداخل مفاهيم ومصطلحات حقلين علميين انطلقا انطلاقة واحدة، وهدفهما في البداية كان واحدًا (تجاوز الجملة إلى ما بعدها)، وتطور هذا التداخل حتى صارت لسانيات النص، واحدة من المداخل والمنهجيات الإجرائية التي تطب في تحليل الخطابات المختلفة (فالمدخل اللساني النّصي) واحد من أهم مداخل تحليل الخطاب.

2. المرتكز الثاني (النصية):

1.2. تعريف النصية :النصية أهم مبحث في لسانيات النص، وقد خصت النص بالدراسة من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ نص، ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها[1].

كل نص يتوفر على جملة من الخصائص التي تجعله نصا يمكن أن يطلق عليها الخصائص "النصية "، وهي ما يميزه عما ليس نصا؛ فهي كل يؤدي إلى فعل تواصلي ناجح. فلكي يوصف أي نص بالنصية وجب أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة[2]. نسمي العوامل المجتمعة التي تحدد النص من اللانص النصية، وهي ما يمثل مرتكزات اللسانيات النصية. يعد دي بوجراند من أوائل الذين أشاروا لهذه المرتكزات في كتابه "النص الخطاب والإجراء"، وقد أورد فيه قوله: "وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النص أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها"[3].

2.2. معـــايير النصية:

1.2.2. السبـــك: "ويترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق إلى اللاحق، بحيث بتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور

[1] ينظر:الأزهر الزناد: نسيج النص، ص18.

[2] ينظر: هالداي ورقية حسن: الاتساق في الانجليزية، ص2.

[3] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص103.

مثل التكرار، الألفاظ الكنائية، والأدوات، الإحالة المشترك، الحذف، والروابط"[1] يتحقق معيار السبك من خلال الوسائل النحوية وفي المستوى السطحي للنص.

2.2.2. الحبك (الانسجام): وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

- ✓ عناصر منطقية كالسببية والعموم والخصوص؛
- ✓ معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف؛
- ✓ السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية؛
- ✓ المعلومات التي يعرضها النص، مع المعرفة السابقة بالعالم [2].

3.2.2. القصـــد: ويتضمن موقف منشئ النص من كون صورة اللغة قصد بها أن تكون نصا بتمتع بالسبك والالتحام، وان مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها. وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العلمية، حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التغاضي عامل من عوامل ضبط النظام، يتوسط بين المرتكزات اللغوية في جملتها، والمطالب السائدة للموقف[3]، ويتضح مما سبق أن هذا المعيار متعلق بمقصد المؤلف والأهداف التي يبتغيها.

4.2.2. القبـــول: ويتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة، ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام. وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك أو حيث لا توجد شراكة في الغايات بين

[1] إلهام أبو عزالة وعلي أحمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص90

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 103.

[3] ينظر:المرجع نفسه، ص103.

المستقيل والمنتج[1]، والواضح من هذا المعيار انه متعلق بمتلقي النص وحكمه على مدى ترابطه.

5.2.2. رعاية الموقف: ويتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراعي الموقف وأن يغيره. وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر المواقف، كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شان أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية، كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أشياء تنتمي إلى عالم آخر: ملحمة جالجامش أو الأوديسا. إن مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين[2].

6.2.2. التنـــاص: يتضمن العلاقات بين ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة، فالجواب في المحادثة أو أي ملخص يذكر بنص ما بعد قراءته مباشرة، يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة، وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة. وتكامل النصوص عامل أكبر في تحديد أنواع النصوص، بحيث تشكل التوقعات بالنسبة إلى طوائف كاملة من الوقائع اللغوية[3]، ومعيار التناص لصيق بالنص بقصد من المؤلف أو بغير قصد فيتقاطع نصه مع نصوص أخرى.

7.2.2. الإعلاميـــة: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الواقع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص ص 103-104.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص104.

الإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع[1].

فضلا على هذه المعايير التأسيسة التي ذكرناها يقترح "دي بوجراند de Beaugrand" معايير أخرى يسميها المعايير تنظيمية، تستعمل لتحديد نوع النص وتقويمه وهي ثلاثة:

أ- **الجـــودة:** وتنجم جودة النص عن استغلاله في الاتصال، مع تحقيق أكبر مردود واقل جهد من قبل المشاركين بحيث تتوافر سهولة معالجة النص.

ب- الفعاليـــة: وفعالية النص هي شدة وقع النص وتأثيره في المتلقي مما يسهم في تحقيق هدف المنتج.

ت- الملاءمـــة: ويقصد بملاءمة النص تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المدروس[2] ، فهي دراسة تطبيقية تنظر إلى تطبيق المعايير النصية المقترحة في النص.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 105.

[2] ينظر: إلهام أبو عزالة وعلي خليل أحمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص12.

3. المرتكز الثالث (نحـو النص) :

1.3. التسميـــة:

بنت اللسانيات توجهاتها على أساس التراث النحوي السابق، وظلت محصورة في ضمن سياقات الجملة لا تتعداها، غير أنها اصطدمت بقصور نحو الجملة عن استيعاب كثير من متعلقات اللغة، فكان لزاما الاعتراف بضرورة توسيع مجالات البحث اللساني ليشمل وحدة ميزتها أنها أوسع وأشمل تجعل من النص أكبر وحدة دلالية قابلة للتحليل، معتمدة على نحو النص، خاصة أن الاتصال لا يتم باستعمال اللغة موقف أدائي حقيقي أي بإنشاء نص ما[1].

ويقابل" نحو النص" في اللغة الأجنبية (Grammaire de texte) استعمله النحاة بهدف الوصف والدراسة اللغوية للأبنية الوصفية، وعند أغلب الدارسين لا يختلف عن لسانيات النص الذي استعمله "محمد خطابي وتمام حسان وبشير ابرير، واستعمل سعيد حسن بحيري وإلهام أبو غزالة وعلي خليل محمد" علم لغة النص ، واستعمل "صلاح فضل، جميل عبد المجيد" علم النص وهو أشمل من نحو النص ولسانيات النص لأنه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النصـوص (إعلانات، إشهار، مقال صحفي وعلمي، وفيلم سينمائي وكل منتوج ثقافي معاصر يتشكل في هيئة نص. فقد استعمل "صبحي إبراهيم وفالح بن شبيب العجمي،" مصطلح علم اللغة النصي)، أما "إبراهيم خليل" فاستعمل نظرية النص، بينما أحمد عفيفي فقد استعمل " نحو النص"[2].

[1] ينظر: تمام حسان: مقدمة ترجمته لكتاب النص الحطاب والإجراء، ص4.

[2] ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: عندما تسافر النظريات–لسانيات النص نموذجا–، مجلة جسور،ع10، يناير 2012 م، ص11.

2.3. مهمة نحو النص:

ارتبط مولد نحو النص بعلماء ثلاث:"فاندايك(Van Dijk)، بتوفي(Betovie)، روبرت دي بوجراندR.de Beaugrand"، ويعد من المصطلحات التي وضعت لنفسها هدفا يتمثل في الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية[1]، يهتم بدراسة النصوص المنطوقة والمكتوبة على حد سواء باعتبارها أكبر وحدة لسانية، وتتلخص مهامه في دراسة العناصر التي تعمل على تماسك النص الشكلية منها الدلالية والتداولية. ويرى فان دايك أن مهمة نحو النص هي "صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف الأبنية[2]، أما "ديسلر ودي بوجراند" فيريا أن أهم دور يؤديه نحو النص هو التمييز بين النص واللانص؛ إذ أن "دراسة مفهوم النصية من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص "[3]. وقد تم بناء على ذلك تحديد معايير سبعة تضمن نصية النصوص: معياران منها متعلقان بالتماسك بنوعيه؛ السبك معيار التماسك النحوي، والحبك معيار التماسك الدلالي وذلك باعتبار "النص وحدة كبرى..، تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي. يتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"[4].

تكمن مهمة نحو النص في "توضيح السمات والخواص الفردية وأشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ودرجات الربط النحوي والترابط الدلالي، وتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء وإعادة إنتاجها

[1] ينظر: أحمد عفيفي: نحو النص، ص31.

[2] ينظر: سعيد حين البحيري: علم لغة النص، ص158.

[3] ديسلر ودي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص95.

[4] حسن البحيري: علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات" ، ص119.

في مرحلة التلقي"[1]. استيعاب كل هذه المهام يؤكد على الاختلاف بين النحويين، وأنّ هذه النقلة من الجملة إلى النص ليست ببساطة النظرة التوسيعية القائمة على افتراض أن النص تتابع جملي؛ ج+ج+ج تساوي نص. فالنص ليس: "مجرد منزلة مختلفة عن منزلة الجملة..، فقد يكون أكثر من كلمة واحدة وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط مثلا علامات الطرق الإعلان والبرقيات ونحوها[2].

2.3. أهمية نحو النص:

تأتي أهمية نحو النص في مجال التحليل اللساني، من حيث احتوائه على نظم النحو التقليدي وأدواته، فكما أن نحو الجملة عالج المعنى في الأمثلة والنماذج اللغوية المنقطعة من نصوصها، من خلال أدواته ليحقق الربط الدلالي في الإسناد، فإن نحو النص يتجاوز ذلك بكثير، إذ انه يستخدم أدوات النص ذاتها ويوظفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتتابعة في النص أو الخطاب[3].

وقد رصد دي بوجراند بعضا من أوجه الخلاف بين النص والجملة، حصرها في كتابه النص والخطاب والإجراء في نقاط جوهرية أهمها:

- ❖ النص نظام فعال، والجملة عناصر من نظام افتراضي؛
- ❖ الجملة كيان قواعيدي، يتحدد على مستوى النحو أما النص فيعرف؛
- ❖ الجملة خاضعة لبنية تجريدية يمكن الاستغناء عنها في النصوص دون المساس بالطاقة الاتصالية للنص، فالصواب النحوي غنما هو تعويض للقرائن السياقية؛

---

[1] المرجع السابق، ص 143.

[2] ينظر: دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص 97.

[3] ينظر: مصطفى النحاس: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار السلاسل، الكويت، ط1، 2001م ، ص9.

- ❖ التمييز بين ما يطابق القواعد النحوية وما لا يطابقها تمييز تقابلي ثنائي، والتمييز بين ما يعد نصا وما لا يعد نصا يتم بدرجة معقدة لا بحسب التقابل الثنائي؛
- ❖ ينبغي للنص أن يتصل بموقف، ويمكن أن ترد الجملة منعزلة عن السياق؛
- ❖ لا يمكن النظر للنص باعتبار أنه مجموعة وحدات صرفية أو رموز فهو تجل لعمل إنساني؛
- ❖ الأعراف الاجتماعية تنطبق وتنعكس على النصوص أكثر من الجمل؛ لذلك فإن الوعي الاجتماعي يعترف بالنص لا بأنظمة القواعد النحوية؛
- ❖ العوامل النفسية أوثق صلة بالنصوص من الجمل؛
- ❖ النصوص يشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل.

لذلك كان لزاما على نحو الجملة أن يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في عين الاعتبار فيما سبق، وأن يتجاوز القواعد التركيبية محاولا بلوغ صياغات كاشفة عن سر ذلك الترابط في الأبنية النصية. "لقد عني الدرس اللساني في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة، علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المجتزأة وحالات الحذف والجملة المفسرة والتحويل إلى ضمير، والتنوعات التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة[1] ".

لقد تحدى علم نحو النص كل الهفوات التي وقع فيها نحو الجملة، حيث ابتعد عن المسحة المعيارية، باحثا عن الخواص الأسلوبية المتعددة، كما أنه تخطى الدلالة ليصل إلى ما يسمى بالترميز الملفوظي داخل التراكيب المختلفة، كاشفا عن مختلف العلاقات القائمة

[1] سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد طه نجم وعبده بدوي 1990، ص 408. ينظر: أحمد عفيفي: نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، جامعة القاهرة، 2001، ص 39.

بين جميع العناصر المؤلفة، بوسائل لغوية تسمح بالترابط الانسجام المؤديتان إلى القصد المراد بين المتواصلين[1].

لقد أحدث نحو النص تغيرا في المنطلقات والأهداف والمنهج المتبع يختلف عن النحو القائم على حدود الجملة، وهذا نظرا للاختلاف الجوهري في المنطلق بين النص والجملة. ولهذا تضافرت تقارير اللسانين من أمثال "بايك (Baik) وهارتمان(Hartman) وجيلسون(Gilson) وساندرز(Sanders) لونجاكر(Loungacker)" وفان ديك وغيرهم، على أن نحو النص بالنسبة لأي لغة بعينها هو أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النحو المصور في حدود الجملة[2].

يمكن اختصار هذه الاختلافات على النحو التالي:

- ✓ موضوع النحو التقليدي هو الجملة لا يجاوزها، أما موضوع نحو النص فهو النص بشموليته؛
- ✓ منهج النحو التقليدي تجريدي، أما منهج النحو النصي فأقرب إلى الواقعية؛
- ✓ غاية كل من النحوين هي الوصف، غير أن الوصف في النحو التقليدي شكلي فيما يميل الوصف في نحو النص إلى التحليل.

باختصار عن نحو النص يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة، ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي ونماذج الهيكلة المتنوعة. إن نحو النص ينطلق من مسلمات انتهى إليها نحو الجملة فنجد فيه حديثا عن القرائن اللغوية الدالة على الترابط من حروف عطف أسماء موصولة وأسماء إشارة وغيرها، رغم ذلك فإن نحو النص يبقى ثورة في التحليل النحوي على كل المستويات المنطلقات والمناهج والغايات [3].

[1] ينظر: سعد مصلوح: قراءة جديدة لتراثنا الأدبي والثقافي، جدة، ط2، 1988م، ص 60.

[2] ينظر: أحمد عفيفي: نحو النص، ص 40.

[3] ينظر: سعيد البحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص 124.

4. المرتكز الرابع (الترابـــط) :

1.4. أهمية الترابط في الدراسات النصية:

لا يصعب على المتأمل لتعريف اللسانيين للنص أن يلاحظ نقطة التقاء يشتركون فيها رغم اختلافاتهم وتعدد مشاربهم، هذه النقطة هي الترابط. فالنص عند فاينريش/ 1927(Weinrich) يكون حتمي تحدد عناصره بعضها بعضا لفهم الكل، فالنص كل تترابط أجزاؤه. ويشير هاليداي ورقية حسن إلى أن النص هو مقطع منطوق أو مكتوب ويشكل كلا متّحدا، ويرى جون لايتر(J.Leiter) أن النص في مجمله عليه أن يتسم بسمات التماسك. ثم إن "أي نص وكل جملة مكونة له تمتلك عوامل مرجعية مفترضة متكررة تضمن انسجام مجمل النص من ناحية، ومن ناحية أخرى تضمن توسعه وحركيته وتطور المعلومة» [1] ، هذه الميكانزمات هي أهم ما يكسب النص نصيته.

وقد عُني علم النص بالظواهر التي تتجاوز الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا إلا من خلال ما سمي بالوحدة الكلية للنص. ومن هذه الظواهر الترابط النصي من أهم المواضيع التي عني بها علم النص الترابط، وهو المرتكز الذي نميز من خلاله النص عن اللانص يقول "هاينة مانHeinaman ديتر فيهفجرDiter Winheinger": " تنطلق تصورات نحو النص من الفرض القائل: أن النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك»[2]. وكغيره من المصطلحات المترجمة، فإن مصطلح الترابط وقع في ترجمته بعض الاختلاف. ترجمه محمد خطابي إلى

[1] Jean-Michel Adam La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discours Paris Armand Colin, collection "Cursus", 2005 P 50.

[2] فولفانج هاينة مان وديتر فيفهجر: مدخل الى علم النص، ص 210.

الاتساق، في حين ترجمه تمام حسان إلى السبك، وترجمته إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد إلى التضام، أما عمر عطاري فترجمه إلى الترابط[1].

يعتمد الترابط على تصورات تجمع بين عناصر نحوية تقليدية وعناصر أخرى تستقى من علوم متداخلة مع النحو في الأصل[2]، وهذا ما يجعل النص"منتوجا مترابطا متسقا ومنسجما، وليس تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية". وندركه بصفته كلا مترابطا بفعل"العلاقات النحوية التركيبية بين القضايا وداخلها، وكذلك باستعمال أساليب الإحالة والعائد المختلفة والروابط"[3]. وأن الترابط يتم عبر مستويين؛ مستوى نحوي وآخر دلالي. يتحقق الأول من خلال أدوات الربط النحوية، وهو ذو طبيعة خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويتحقق الثاني من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، وهو ذو طبيعة دلالية تجريدية يتمظهر من خلال علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل أيضا. هذا باعتبار أن الأول "ربط بين علامات لغوية، والثاني ربط بين تصورات عالم النص"[4].

يمكن تتبع الربط النحوي على المستوى السطحي للنص، إلا أن الثاني (الربط الدلالي) يكمن في بنية عميقة على المستوى العميق للنص، تقدم إيضاحا لطرق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة أو مفككة على السطح. ويرى "فان دايك (Van dijk): أن التماسك يتحدد على مستوى الدلالات حين يتعلق الأمر بالعلاقات القائمة بين التصورات والتطابقات والمقارنات والتشابهات في المجال التصوري، كما يتحدد على مستوى الإحالة أيضا أي ما تحيل إليه الوحدات المادية في متوالية نصية. ومثلما يتجاوز نحو النص نحو

[1] ينظر: جمعان العامدي: المداخلة وإشكالاتها النصية (مخطوط أطروحة دكتراه) جامعة الملك سعود كلية الآداب الرياض 1427 -2006 م، ص 198

[2] ينظر: حسن البحيري: علم لغة النص، ص 122.

[3] خولة طالب الابراهيمي،:مبادئ في اللسانيات، ص169.

[4] المرجع نفسه، ص145.

الجملة، يتجاوز التماسك الدلالي الترابط النحوي؛ إذ يتجاوز التماسك الدلالي الأبنية النحوية السطحية للنصوص ويتصل بمجمل عالمها الدلالي[1].

تؤدي وسائل الترابط دورا هاما في تحقيق نصية النص، فأجزاء النص بدون روابط بينها "ليست نصا حتى لو كانت مأخوذة من كتاب يعلم قواعد اللغة، فهي جمل صحيحة نحويا، لكنها لا تتعلق ببعضها البعض"[2] . فالنص بلا ترابط شتات، باعتبار أن أهم معيار" يحدد هل كانت مجموعة من الجمل تشكل نصا متناسقا هو الترابط النصي لمكونات النص المتشكل منها، مما يسهم في خلق بنية النص الكلية عن طريق العلاقات والروابط"[3]. ويمثل هذا الإجراء منهجا يحدد نصانية النص، إذ أنه إن لم يستوف شروطا معينة تجعل منه نصا مترابطا دلاليا ونحويا ومعجميا، فإنه لا يعد نصا لأنه يفقد مرتكزا من مرتكزات النصانية، ويمكن الحكم عليه بالاختلال وعدم الاتساق. ويتفق جون لابيز(J.Lapitz) مع هذا المفهوم في معرض تعريفه للنص إذ يقول: "إن النص لا بد أن يتسم بسمات التماسك والترابط"[4]. مثله يؤكد كل من هالداي ورقية حسن إذ ذكرا "أن أهم ما يحدد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكل نصا يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل، وفيما بينها مما يخلق بنية النص"[5].

ليس الترابط النصي التداعي الوحيد للروابط، فهي تيسر للمتلقي متابعة حسنة للخطاب وفهمه. "فمستهلك النص المنطوق أو المكتوب يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط وعلامات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يعود إلى ملء الفجوات التي تتخلل

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 124.

[2] خليل إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص، ص 135.

[3] يراون ويول: تحليل الخطاب، ص 288.

[4] جون لايتر: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب (دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية "العراق بغداد، 1987 م، ص218.

[5] ج.ب براون وج يول: تحليل الخطاب نقلا عن الترابط النصي في رواية النداء الخالد، ص 21.

أجزاء النص وتهيأ له حضوره الكلي»[1]، وأي خلل في هذه الآليات على المستوى الأفقي أو العمودي يؤثر سلبا في تلقي النص. إن تفكك البنية النحوية يؤثر على البنية الدلالية، وبالتالي يتعذر تلقي النص تلقيا حسنا، «لأن فهم جملة ما في النص مرهون بمعرفة نوع علاقاتها بالجمل الأخرى. فإذا غمضت هذه العلاقة بسبب غياب أدوات الربط، أو بسبب سوء استخدامها تتعذر معرفة إن كانت جملة ما نتيجة لسابقتها أم سببا لها، تؤكدها أم تنقضها»[2]. وهذا ما يؤكده الأستاذ عفيفي في حديثه عن دور العلاقات اللفظية والمعنوية بقوله: «وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا لان هذه العلاقات مفيدة في تفسير النص، فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر قد يكون ضروريا لتفسير النص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية»[3].

2.4. الترابط عند علماء الغرب:

1.2.4. الترابط عند "فان دايك":

حدد "فان دايك(Van dijk) " مجموعة من المفاهيم التي تعمل على ترابط النص وانسجامه، وقد استرعت فكرة الترابط اهتمامه فتمحورت حولها جل مؤلفاته أخص منها 'النص والسياق، علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات. وقد تجلت معالم هذه الفكرة في تفريعات ثلاث حددها ضمن مؤلفه الأول: النص والسياق وهي: الانسجام، الاتساق، البنية الكبرى.

أ- الانسجام: ويتحقق عبر علاقات مثل الإحالة، تعالق الوقائع والخلفية المعرفية.

[1] خليل إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص، ص 135.

[2] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص88.

[3] أحمد عفيفي: نحو النص، ص 98.

ب- الاتساق: ويوضحه فان دايك على أنه علاقة نصية قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى، أو أنه أيضا: «علاقات المعاني المعجمية والمرجعية وغيرها»[1]. ويرى "فان دايك"(Van dijk) أن ثمة علاقات تساهم في اتساق النص منها: علاقة التطابق، التضمين، الإطار، التطابق الإحالي، تعالق المحمولات العلاقات الذهنية، التذكر الاسترجاع.

ج- البنية الكبرى الشاملة للنصوص: وهو عندما يتحدث عن هذه الأبنية الكبرى للنصوص، لا ينظر إلى عوامل الترابط بين جمل متفرقة، بل يتوسع مجال نظره إلى العلائق الترابطية التي ترتكز على النص بمجمله.

2.2.4. الترابط من منظور "أوجين نايدا "(O.Nayda):

يتعرض الباحث للربط في موضوع له موسوم "بالعلاقات الدلالية بين البنيات النووية"، وقد أحصى الباحث في مؤلفه هذا تسعة عشر نمطا من علاقات الترابط مقسمة إلى قسمين رئيسين، تنقسم بدورها إلى تفريعات متعددة هما:

أ- علاقات الربط: علاقات إضافية وعلاقات ثنائية.

ب- علاقات التبعية أو الاعتماد: وتنقسم إلى علاقة مؤهلة وعلاقة منطقية[2].

وقد توصل الباحث في نهاية بحثه إلى استنتاجات[3] أهمها:

- ✓ العلاقات قابلة للتطبيق في مختلف اللغات؛
- ✓ يتعدد الأسلوب الذي يعبر به عن علاقات دلالية أو أخرى؛
- ✓ تختلف درجة وضوح هذه العلاقات من لغة إلى أخرى؛

[1] فان دايك: النص والسياق، ص137.

[2] أحمد عزت يونس: العلاقات النصبة في لغة القرآن الكريم القاهرة، ط1، 2014م، ص ص 104 -105.

[3] جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ص 147-148.

- ✓ قد تدخل بنية واحدة في أكثر من علاقة مع بنيات عديدة؛
- ✓ قابلية هذه العلاقات للتطبيق على مستويات عديدة من بنية الخطاب: الجمل، الفقرات، أجزاء، فصول، ومجلدات.

لابد من الإشارة أيضا أن كل هده العلاقات موردها النص وان بلوغها لا يتأتى إلا بالنظر إليه.

3.2.4. الترابط عند "براون(Brown) ويول(Yault)":

وقد قدم الباحثان "يول وبراون" في كتابهما " تحليل الخطاب" جملة من العناصر تساهم في بناء تماسك النص[1] وقد لخص محمد خطابي عناصر التحليل النصي بناء على اعتمادهما الوظيفة النقلية والتفاعلية للغة؛ لأن هذه الوظيفة في رأيهما أساس الوظائف الأخرى للغة، كما لا ينفي الباحثان باقي الوظائف[2] والعناصر التي يقدمها الباحثان هي:

أ-**السيـــاق**: نجد فيرث/م؛1890(Firth) ينص على أن " اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنها مزيج من عوامل العادة والعرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع، وكل ذلك يشكل لغة المستقبل. وعندما تتكلم فإنك تصهر كل هذه العوامل في خلق فعلي ملفوظ و نتاج لغتك وشخصيتك هو أسلوبك، والسياق ينقسم إلى قسمين: داخلي و خارجي"[3]. أما السياق الداخلي فهو الذي توجده مكونات التركيب ومعطيات التعبير، فهو موجود في النص بوصفه نصا واحدا متماسكا ومراعاة السياق الخارجي يعني: الإحاطة بالظروف التي أنشئ فيها النص (المرسل، المرسل إليه، الزمان والمكان). فقد يقال نص واحد في سياقين مختلفين، يترتب على ذلك تأويلين مختلفين من هنا تصبح وظيفة السياق وظيفة أساسية يتم من خلالها حصر التأويلات الممكنة للنص.

---

[1] محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص51 – 59.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

[3] صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ص 108.

وأهم عناصر السياق عند "يول وبراون": المرسل، المتلقي، الحضور، الموضوع، المقام، القناة، النظام، الشكل النصي، المفتاح. ويشير الباحثان في صدد هذه الخصائص؛ أن محلل النص هو وحده الذي يحدد عناصر تحليله، فليست كل العناصر بالضرورة متوفرة في جميع النصوص[1].

ب- التأويل المحلي: ووظيفته تقييد البعد التأويلي للنص؛ وذلك باعتماد خصائص السياق التي من شأنها حصر القراءات الممكنة للنص، واستبعاد القراءات التعسفية التي تُفرض على النص وعملية التأويل تمليها تجربتنا السابقة في مواجهة الأحداث، وهو ما يسمى بمبدأ المشابهة التي تندرج ضمن إستراتيجية أوسع منها هي معرفة العالم. فالتأويل المحلي من هنا في مواجهته للنص يعتمد تجاربنا السابقة، كما يعتمد المعلومات الواردة في النص والمعلومات المحيطة بالنص، وبفعل هذه الآلية يتم استبعاد التأويل الذي لا ينسجم مع العناصر التأويلية [2].

ج- مبدأ التشـابه: يعتمد محلل النص على تجاربه السابقة حيث تتواجد عنده خلفية معرفية وتراكمات تحليلية، وهذا العمل فيه محاولة لربط شيء معطى بآخر غير ظاهر، وتسهم التجربة السابقة في اكتشاف الثوابت والمتغيرات النصية التي تقود إلى الوصول للنص وخصائصه النوعية، والتأويل المناسب هو شكل من أشكال إنتاج المعنى المناسب. وبالتالي هو جهد في البحث عن تماسك النص، هذا التماسك الذي يقدم تعليلا مقنعا لوحدات النص المتراتبة واحدة تلوى الأخرى ، والتشابه من الوسائل التي تساعد في تأويل النص وليس هو الوسيلة الوحيدة فقط ذلك أَن التشابه يرد بنسب مختلفة. فالتعابير والمضامين يلحقها

[1] ينظر: محمد الخطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص53-52.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ص 56-57.

بالضرورة اختلافا في النصوص، ولكن وعلى الرغم من ذلك تبقى الخصائص النوعية للجنس التي نادرا ما يلحقها التغيير[1].

د- مبدأ التغريض: يقوم التغريض بالبحث عن العلاقة التي تربط موضوع النص بعنوانه، ذلك أن العنوان وسيلة تعبيرية ممكنة عن الموضوع. فإذا وجد اسم الشخص مغرضا في عنوان النص، فإنه من المتوقع جدا أن يكون هذا الشخص ممثلا لموضوع النص وفحواه.

ينتظم النص في شكل متتاليات من الجمل متدرجة من البداية حتى النهاية، أي أن سمة الخطية من السمات البارزة في النص، فالعناصر اللاحقة لها تعلق بالعناصر السابقة. وبناء على ذلك فإن التأويل القريب هو التأويل الذي لا يلغي خطية النص[2] ، من هنا تبدو أهمية مبدأ التغريض في العملية التأويلية، فلكل نص محور تدور دلالة النص حوله.

4.2.4. الترابط عند "هالداي ورقية حسن":

يذهب كل من "هاليداي ورقية حسن" إلى أن كل متتالية جملية تشكل نصا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات مما يجعل النص "وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يحقق بها النص"[3]، ولا يكون المقطع اللغوي نصا إلا إذا كان موحدا، "إذ أن الاتساق شرط ضروري وكاف للتعرف على ما هو نص وعلى ما ليس بنص"[4]. والنص في رأي هاليدي الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متحدا، ولا عبرة بطوله أو قصره، وهو ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال محور المجاورة، بحيث يتجلى فيه الترابط النحوي على أشده والعناصر التي يتألف

[1] ينظر: المرجع السابق، ص ص 56-57.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص ص59 -61.

[3] محمد الخطابي: لسانيات النص، ص12.

[4] المرجع نفسه، ص 12.

منها لا بد أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تيسر على القارئ أو المتلقي تسّلم الرسالة التي يبثها المتكلم أو الكاتب فيه، ويستوعب محتواه الكلي، ويقتضي هذا الترابط أن يبني المتأخر منه على المتقدم أو العكس، بحيث يكون المظهر الخارجي له مشاكلا مظهره الداخلي، ممثلا في الموضوع وذلك لا يتحقق إلا بالتماسك أو السبك[1].

يعتمد الباحثان مصطلح الاتساق معتبرين أنه « مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص»[2]. ويبرز الاتساق في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا. إذ لا يمكن أن يحيل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول، وعندما يحدث تتحقق علاقة الاتساق، علما أن الاتساق لا يتحقق في المستوى الدلالي فقط، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحوي والمعجمي، وأدوات الاتساق التي يقترحها الباحثان:

أ-**الإحـــالة:** نقسم الإحالة حسب العلاقة الإحالية إلى نوعين كما حددها الباحثان وهما: الإحالة المقامية والإحالة النصية، وهي بدورها تحيل إلى السابق أو اللاحق. وقد وضع الباحثان هذا الرسم يوضح هذا التقسيم: فالإحالة نوعان رئيسيان: مقامية ونصية، وهذه الأخيرة بدورها تنقسم إلى قبلية وبعدية، والإحالة المقامية ترتبط بالسياق الخارجي للنص. أما النوع الثاني وهو الإحالة النصية أو داخل النص ويطلق عليها إحالة اللغة، فهي تعني "العلاقات الإحالية داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى ما تسبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي (يلحق) داخل النص»[3]. كما أن الإحالة النصية تنقسم بدورها إلى قسمين هما[4]:

❖ **الإحالة القبلية:** وهي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة سابقة في النص.

---

[1] حسين جميل: علم النص وأسسه وتجلياته ،عالم الفكر، ع 2 ، ص 145.

[2] – المرجع نفسه، ص145.

[3] -interpreting anaphora in natural langage tesctes david carter, england, 1987, p119.

[4] حسين جميل: علم النص وأسسه وتجلياته، ص ص 31-32.

❖ **الإحالة البعدية:** وهي تستعمل كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى، أو عبارة تستعمل لاحقا في النص".

ب- الإستبـــدال: وهو عملية تتم داخل النص، وهو تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وهو يختلف عن الإحالة في كونه يتم على المستوى النحوي خلافا للإحالة التي تتم على المستوى الدلالي [1].

ج- الحـــذف: حدد الباحثان الحذف على انه علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية، وهو لا يختلف عن الاستبدال إلا أن الأول استبدال صفري[2] .

د- الوصـــل: يختلف الوصل عن كل أنواع علائق الاتساق السابقة، وذلك أنه تحديد للعلاقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم؛ إذ أن النص جمل متتالية متعاقبة خطيا، ولكن تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص. وقد فرع الباحثان هذه العناصر إلى مظهر إضافي، عكسي، سببي، وزمني[3].

هـ- الاتساق المعجمي: يعد آخر مظهر من مظاهر الاتساق إلا أنه مختلف عنها جميعا، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكلية نحوية للربط بين عناصر النص. وينقسم الاتساق المعجمي إلى نوعين: التكرير والتضام[4].

---

[1] ينظر: محمد خطابي: لسانيات النص، ص 19 .

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص24.

5.2.4. الترابط من منظور" دي بوجراند"de Beaugrand :

أولا. أشكال الترابط:

لم يتوقف دي بوجراند عند حدود الجملة التي اعتبرها "حدودا تقليدية ضيقة "، وقد أكد في السياق ذاته أن هذه الحدود بدأت «تتلاشى أمام التفاعل القوي بينها وبين العلوم ذات الصلة بها، وهي علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلي، وتوجب على الباحثين لذلك الانتقال لفضاء النص، الذي يقوم منتجه بتفعيل مخزونه اللغوي الكامن في الذاكرة من أجل أن ينتج نصوصا جديدة وفي أوضاعه التواصلية، وقد اشترط دي بوجراند جملة من الشروط تتحقق بتوافرها نصية النص أو ما يسميه الكفاءة النصية. الترابط أهم عناصرها «فبعد تنظيم كل المستويات اللغوية تبدو اللغة في جملتها في صورة نظام متشابك، تتوقف صلاحيته على تكافل الأنظمة المكونة، ولكل نظام ضوابطه الداخلية ثم ضوابطه الخارجية التي تنظم هذا التكافل مع الأنظمة الأخرى»[1] ، وللترابط عند هذا الباحث ثلاثة مجالات إذ "تتطلب نظرية النصوص بناء على ذلك ثالوثا من المجالات":

- نحويا: ربط رصفي؛
- دلاليا: ربط مفهومي؛
- تداوليا: ربط تخطيطي.

وكل من هذه المجالات يخضع لضوابط تتعلق به أثناء الاتصال، ويمكن ترتيبها بالنظر إلى عمقها «فالترابط المفهومي بصفة عامة أعمق من الترابط الرصفي، والترابط

[1] دي بوجراند وديسلر: النص الخطاب والإجراء، ص183

التخطيطي أعمق من الترابط المفهومي»[1]، لتتكافل هذه المستويات فيما بينها لتشكل نظاما متشابكا.

أ-**الترابط المفهومي:** يمكن تعريفه بأنه: كتلة من التعليمات الموجهة إلى العمليات الإدراكية والاتصالية..، وتتكون هذه المفاهيم بالنظر إلى ثلاث عمليات: الاكتساب، الاختزان الاستخدام، ومن المطلوب أن يجري توحيد غرض هذه العمليات[2].

ب- الترابط الرصفي: يوضح "دي بوجراند"de Beaugrand ما يقصده بالترابط الرصفي فيقول « أريد بالتتابع الرصفي أن أشير إلى كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو الاستماع أن يتم في توال زمني. ونستطيع من جهة النظر إلى التفاصيل أن ندرك التفاصيل اللفظية المركبة من العناصر الصغرى الصوتية والصرفية، إلى تطابق ما اشتملت الأنظمة من الوحدات الصوتية والصرفية على الترتيب»[3].

ولا تنشأ النصوص بمجرد تجميع هذه العناصر فمن الواضح أن «النشاط الرئيسي في استعمال الكبار للغة، ليس مجرد إلصاق بعض هذه العناصر الصغرى إلى بعضها، غير أن اكتساب المفردات والمركبات واستعمالها يستلزم بصورة آلية إنتاجها والتعرف على الأجزاء المكونة له»[4].

ج- الترابط التخطيطي: أعمق مجالات الترابط يتشكل من الأطر، المشروعات والخطط والتعليمات ويميز "دي بوجراند" بين هذه المصطلحات الثلاث باستخدام مثال مبسط على النحو التالي:

---

[1] المرجع السابق، ص 183.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص136.

[3] المرجع نفسه، ص 136.

[4] المرجع نفسه، ص 136.

❖ **الأطـــــر**: يمكن النظر إلى المعلومات أول الأمر من حيث هي عرض معين، يمكن من خلاله تنظيم العناصر بحيث يسهل إتاحة المطلوب من بينها وهذا ما يسميه إطارا، وبتطبيق هذا المفهوم على المثال التقريبي يقول: "الإطار بالنسبة إلى مفهوم البيت مثلا يمكن أن يكون شبكة من المداخل، مثل الإجراء المواد والاستعمالات..، مما يكون البيوت"[1].

❖ **المشـــروع:** الأطر تتشعب من مركز ضبط مفهومي دون الحاجة إلى تحديد الارتباط بالتتابع في التنفيذ، أما إذا وضعت تلك المعلومات في شكل توال وتتابع عندما ترد أثناء التنفيذ يتحول الأمر إلى مشروع، هذا الأخير بالنسبة لمفهوم البيت يمكن أن يصف تعاقب أجزاء البيت، وهكذا "يكون المشروع أكثر ارتباطا من الإطار بالتتابع في رتبة التنفيذ[2]".

❖ **الخطـــة:** يمكن النظر إلى المعلومات من حيث اتصالها بخطة تدفع عنها عناصرها إلى غرض معين أو هدف فالشخص الذي يريد شراء بيت سوف يفكر في خطط لشراء البيت، والأكيد أن خطة شراء البيت تختلف عن خطة سرقت.

❖ **التعليمات (المدونات):** توجيهات مسوقة إلى المشاركين بالنسبة لما ينبغي لهم أن يقولوا أو لا يقولوا [3].

"الأطر والمشروعات أكثر اتصالا بالتنظيم الداخلي للمعلومات، على حين يعكس الخطط والتعليمات حاجات الإنسان إلى تحقيق الأعراض في نشاطه اليومي"[4]. ويمكن للمرء أن

[1] المرجع السابق، ص 353.

[2] المرجع نفسه، ص353.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 354.

[4] المرجع نفسه، ص 354

يقول أن المشروعات توجهها الأغراض، وان المدونات مشروعات توجهها الأغراض وأن المدونات مشروعات بالتعارف الاجتماعي .

ثانيا. عناصر الترابط عند دي بوجراند:De Beaugrand

أ- إعادة اللفظ: وهي التكرار الفعلي للعبارات، ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة بحسب هذا التنوع[1].

ب- التعريـف: وهو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها ثم استعادة هذه الطبيعة، في مقابل حالة ذكرها الأول مرة عند هذه النقطة[2]، حيث يتم اكتشاف موضوع النص ولو بشكل نسبي انطلاقا من أي موضوع فيه ولو على سبيل التقريب.

ج- إتحاد المرجع: استعمال عبارات سطحية واحدة للدلالة على أمر واحد في عالم نص ما[3]، بحيث تتعلق جمل النص وعباراته بمرجعية واحدة يعود ذهن المتلقي إليها وتوحد النص في وجهة واحدة.

د- الإضمار بعد الذكر: وهو نوع من الإحالة المشتركة، يأتي فيه الضمير بعد مرجعية في النص السطحي، وهو ما يعرف في اللغة العربية بعودة الضمير المتصل على متأخر.

هـ- الاضمار لمرجع متصيد: ويقصد به الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا[4]، بشرط إمكانية التعرف عليه من سياق الموقف، وإنما أُطلق عليه لفظ التصيد لكون المتلقي يتصيد المعنى المقصود بمساعدة السياق.

---

[1] دي بوجراند: النص الحطاب الإجراء، ص301

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص301.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 301.

[4] ينظر:المرجع نفسه، ص 301.

و- الحـــذف: يتم عن طريق "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، وأن يوسع وأن يعدل بواسطة العبارات الناقصة[1]، وهذا ما يؤكده التفاعل بين المنتج والمتلقي للنص الذي يوسع ويعدل فيه. وهذا ما ركّز عليه "فولفانج هاينه مانHainaman وديتر فيهفجرWihivger" عند إشارتهما إلى أن إنتاج النص لا يمكن أن يتم بمعزل عن منتج ومتلقي، باعتباره نشاط تفاعلي مرتبط بشريك ويحدث دائما بالنسبة إلى شركاء الاتصال الذين يتصل بهم النشاط اللغوي لمنتج النص يشكل متباين"[2].

ي- الربـــط: وتتعدد فيه وسائل الربط كلها تعمل على "ربط المتواليات السطحية بعضها ببعض، بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص، كالجمع بينها واستبدال البعض بالبعض والتقابل والسببية[3]".

تؤدي هذه الوسائل دورا هاما في تحقيق الكفاءة النصية؛ هي تقدم لنا صورا من الإسهام في الكفاءة منها:

- ✓ضغط البنية السطحية؛
- ✓حذف العناصر السطحية؛
- ✓استبقاء العناصر التي يراد توسيعها، تطويرها، تعديلها، تطويرها أو رفضها؛
- ✓الإشارة إلى المعلومة أو التميز أو الهوية؛
- ✓التوازن المناسب بين التكرار والاختلاف في البنية السطحية على حسب ما تتطلبه اعتبارات الإعلامية [4].

---

[1] المرجع السابق، ص 301.

[2] فولفالج هاينة مان وديتر فيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص، تر سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2004 م، ص99.

[3] المرجع نفسه، ص99.

[4] ينظر: دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص302 .

3.4. زوايا الترابط:

يستعمل مصطلح الترابط للدلالة على الاتساق أو الانسجام أو هما معا، باعتبار أن الوظيفة البارزة لهما هي الربط.

وينظر إلى الترابط عند المحدثين من زوايا متعددة أهما: الزاوية البنيوية والزاوية التداولية، تضم الأولى عناصر أهمها: الإحالة، الاستبدال، التكرار ، في حين تضم الزاوية التداولية السباق والتأويل.

ويمكن كذلك تقسيم علاقات الترابط إلى أفقية وعمودية رأسية، يتتبع النوع الأول العوامل التي تسهم في تماسك الأجزاء المكونة للنص بعضها ببعض، ويقصد بالثاني تماسك القصيدة كلها في إطار واحد محكوم بعلاقات نحوية سياقية، توثق من عرى الترابط بين الجمل بعضها ببعض[1].

1.3.4. الاتساق (الترابط الأفقي): هي تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن اللفظية، وقد سماها دي بوجراند التتابع الرصفي. وقد أورد أن كل إجراء غايته وصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، يظهر فيه الترابط أو التماسك والتتابع بين أجزاء المكونة للنص هو شكل من أشكال السبك[2]، وهذا يعني أن علاقات الترابط الرصفي يترتب على استنباطها إجراءات تبديها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق فيها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي[3].

ويعتمد في تحقيق هذا الرصف على آليات لفظية كأدوات العطف الضمائر الشخصية والإشارية، التكرار، الحذف، الأسماء الموصولة وغير ذلك، مما يسهم في ربط مكونات النص ربطا خطيا تتابعيا.

---

[1] ينظر:أحمد عزت يونس: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص132.

[2] ينظر: دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص103.

[3] ينظر: المرجع نفسه ص136.

وقسم "دي يوجراند" علاقات الربط الرصفي التي تتم عن طريق الأداة، فجعلها أربعة أقسام هي: مطلق الجمع، التخيير، الاستدراك، التفريع.

وتتعلق علاقات الترابط الرصفي عند دي بوجراند بأدوات الربط النحوية كأدوات العطف، التخيير، الاستدراك والتعليل، فيما يعتبر الإحالة والتعريف والتضام ربطا مفهوميا. وقد صنف دي بوجراند هذه العلاقات من بين أهم الوسائل المحققة للكفاءة النصية، بالنظر إلى أن الاتساق والانسجام ينتميان إلى المعايير النصبة. ويحدد دي "بوجراند" وظيفته (أي الربط) فيقول: «إذا كانت إعادة اللفظ والإحالة المشتركة والحذف، تحافظ على بقاء مساحة المعلومات فإن الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات»[1].

ينقسم الربط الرصفي إلى قسمين: أولهما الربط النحوي: ويضم ثمان علاقات هي مطلق الجمع، التخيير، الاستدراك، التفريع، الترتيب، الإحالة، الحذف والروابط الزمنية. وثانيها الربط المعجمي: ويضم أربع علاقات هي: التضام ،التكرار ،الاستبدال والتوازي.

2.3.4.الانسجام (الترابط الرأسي): يعتمد على علاقات مفهومية أو العلاقات النصية المفهومية، حيث لا يوجد روابط لفظية أو علامات لغوية ظاهرة على سطح النص، وقد أطلق عليها "د.تمام حسان" علاقات ملحوظة[2]. قال "فان دايك" عن الدلالة : «لم نقدم سوى أمثلة قليلة عن البنية السطحية للنصوص، إذ يبدو في الواقع أن الخصائص الأكثر تميزا للنصوص توجد أساسا في المستوى الدلالي وكذا المستوى التداولي، وبعبارة أخرى فإن

[1] المرجع السابق، ص346.

[2] ينظر: تمام حسان: العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في نص القرآن، مجلة الدراسات القرآنية مج4 ،2001 م، ص ص187 -188.

المتواليات الجملية توصف أساسا في مستوى الدلالية بين الجمل ويمكن أن تنقسم هذه العلاقات إلى قسمين على الأقل: العلاقات المرجعية والعلاقات المعنوية » [1].

وللربط المفهومي وسائل وصور متعددة أهمها:

البنية الكبرى، التفسير الشخصي، الانسجام بين الإجابة والسؤال، الارتباط السببي، التخصص الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التقابل الكمي.

[1] فان دايك: النص بنياته ووظائفه. ترجمة: محمد العمري، كتاب الرياض، في نظرية الأدب مقالات ودراسات، ع 38، فبراير 1997 م، ص69.

الفصل الثاني

تلقي المجتمع اللساني العربي للنظرية النصية

المبحث الأول: موقف الباحث العربي من لسانيات النص

المبحث الثاني: الكتابة اللسانية النصية العربية

المبحث الأول: موقف الباحث العربي من اللسانيات الحديثة والمعاصرة

1. روافد الفكر لعربي اللساني الحديث والمعاصر:

تعتبر "فاطمة الهاشمي بكوش" أن القرن التاسع قد شكل منعطفا حاسما في تكوين الفكر اللساني العربي الحديث، وظهر وعي بضرورة التغيير لتحسين الأوضاع، وبهذا برز أنموذجان حضاريان هما: أنموذج الحضارة الغربية الذي استوعب بنفوذه كل مظاهر العصر، وأنموذج عربي إسلامي شكل ولا يزال تعبيرا عن الذات وتراثا يحفظ الهوية"[1]. مَثَلَ هذين القطبين المتنافرين إشكالية أنا والآخر، أما التوجه السلفي التراثي فيُحيي الموروث الحضاري العربي الإسلامي "بصيغته القديمة نفسها، أو بصيغة معدلة تعديلا جزئيا"[2]، وآخر يستهويه المسار الحضاري الغربي فيعلن القطيعة مع القطب التراثي.

وقد خضعت اللسانيات عموما ولسانيات النص خصوصا لما خضع له الفكر العربي وانساقت خلف هاذين التوجهين، أحدهما يقوده إلى التراث العربي الخصيب، والثاني طريق إلى المستقبل تخططه أيدي الأمم بما تملكه من علوم ومعارف جمّة كفيلة بأن تجعل الباحث العربي، يعيش حيرة فكرية يسببها تنوع منابع ومصبات العلوم الغربية.

يقف"د.نعمان بوقرة" على تلك الحيرة الفكرية التي يعيشها الباحث العربي اللساني في مجابهته لفكر غربي مترامي الأطراف، ويراهم في ذلك منقسمين إلى طائفتين: "أولهما متحصنة في قلعة التراث اللغوي، وثانيهما مقبلة مستسلمة استسلاما تاما للمناهج اللسانية الغربية تحاول عبثا ولوج عالم الحداثة الفكرية دون أن تستقر على قرار، سقطت في هوة معرفية سحيقة إلى حد كبير، وهي تحاول الخروج عبثا إذ كلما

[1] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 14.

[2] المرجع نفسه: ص11.

اعتقدت في نفسها استكمال آليات التفكير اللساني المحدثة ظهرت آليات وأطروحات جديدة، فالفكر اللغوي الغربي المتجدد والمتكاثر يضعهم في حيرة منهجية وفكرية عددت مفاهيمهم وشتتت مصطلحاتهم"[1]. فينبهنا الباحث إلى إشكالية كبيرة تتمثل في عجز الباحثين العرب عن مواكبة التطور الرهيب الذي تعرفه العلوم الإنسانية بشكل عام، والعلوم اللسانية بشكل خاص في البلدان المتطورة. تلك الإشكالية التي تتركنا دائما في حالة متتبع لاهث، بحثا عن آخر الخيط الذي لا نجده أبدا خاصة مع الوتيرة البطيئة وغير المنظمة، ولا المنسقة لعملية الترجمة عند العرب.

المشكلة إذن ليست في رفض اللسانيات بفروعها فقط، ولكن حتى المقبلون عليها لا يملكون الأدوات اللازمة لاستنباتها في بيئتنا العربية؛ أي لنقلها ولتطويرها لبلوغ مرحلة التأصيل؛ أي بناء لسانيات عربية معاصرة.

لا يشكل تنوع النماذج مشكلة مادامت كلها تصب في بوتقة النهضة بالفكر اللساني العربي، لكن الإشكالية تطل برأسها عندما تتصادم هذه المصبات وينكر بعضها بعضا، وهو ما حدث للباحثين العرب الذين انقسموا إلى تيارين كبيرين مختلفين؛ الأول كافر بالتجديد الذي جاءت به اللسانيات الحديثة، رافض للتواجد اللساني في البحث اللغوي العربي، والثاني نافر من كل قديم، شغوف بالجديد. ولكل أسبابه وتعليلاته.

1.1. التيار المنكروأدلته:

تعرض أسلوب التبني اللساني لمجابهة قوية، وردود أفعال مناهضة لنشاطهم، وواجه أصحابه صعوبة على مستوى عرض هذه المستجدات، ثم إقناع المتلقين من باحثين ومختصين بها، خاصة أن تلك المرحلة وصفت " بالجمود لولا محاولات متفرقة

[1] نعمان بوقرة: الدراسات السانية في السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة، عالم الكتب، أربد الأردن، ص 26.

كان هدفها إحياء النحو وإعادة صياغة قواعده فقد ساد الاعتقاد ، ولعله سائد لدى الكثيرين اليوم أيضا بأن علوم العربية بلغت مرحلة من النضج والاكتمال، وهو اعتقاد جعل العربي ينظر بقداسة للإرث اللغوي الذي خلفه القدماء[1]. ويتبنى أصحاب هذا التوجه أسبابا بعضها وجيه مقبول وبعضها الآخر نلاحظ فيه كثيرا من المبالغة، سيستعرض البحث أهمها:

1.1.1 تشريف اللغة العربية: وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم، فترى الباحثين العرب يتناقلون عبارات من نوع «إرث لغوي هو من أغزر ما تخلفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها»[2]، وغير ذلك من العبارات التي تحمل في طياتها نوعا من التقديس للغة العربية، والتي ترى في تعريضها للنظريات الغربية تشويها لجمالها وقداستها.

2.1.1. اللسانيات علم دخيل على اللغة العربية: «لأي شيء نستورد منهجا غربيا في دراسة اللغة، ولنا منهجنا الخاص الأصيل الذي اثبت ألف عام أو يزيد صلاحيته؟» هكذا يتساءل الباحث العربي الذي لا يجد سببا مقنعا يجعله يستورد منهجا أجنبيا لمعالجة لغة عربية وفكر لغوي عربي، ثم إن علم اللغة العام خاص باللغات الأوروبية التي تشترك في طبيعتها اللغوية، وتتقارب في ظروفها الاجتماعية. أما اللغة العربية فهي خارج حدود هذا العلم، وقياسها على الدراسات اللغوية في أوروبا التي لا يزيد عمرها عن ثلاثة قرون، والتي ليس لها مثل هذا التراث العربي الممعن في العراقة طولا وعرضا، خطأ فادح لا يكون إلا عن جهل أو سوء فهم[3]. ثم إن اللسانيات انطلقت من دراسة اللغة الأوروبية، ولهذا خلصت إلى نتائج لا ينطبق أغلبها على اللغة العربية. لأن اللسانيات بحث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتمائها وتكوينها

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 13 .

[3] محمد حسين: مقالات في الأدب واللغة، ص48.

وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها، وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافا كبيرا[1]، وبالتالي فإن محاولة تطبيقها على اللغة العربية سيكون أمرا عبثيا.

وفي نظر المشككين في اللسانيات وقدرتها على التجاوب مع متطلبات اللغة العربية، «قد يكون لهذه المحاولة ما يبررها في اللغات الأوروبية، ولكن إقحامها على لغة كالعربية تختلف في طبيعتها وفي ظروفها التاريخية والاجتماعية، اختلافا أساسيا عن هذه اللغات بدع شاذ قليل الجدوى»[2]. وفي أحسن الحالات إن لم يُعَد شذوذا فهو يُعَد ترفا فكريا. يصف "د.محمود السعران" هؤلاء بقوله: «وخيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية، يعد علم اللغة أو بعض فروعه كعلم الأصوات اللغوية ترفا علميا لم يحن الأوان بعد للانغماس فيه والتطلع إليه»[3]. ونتساءل هنا كيف يمكن لعلم يلامس هوية المجتمع وكينونته، ويملك آليات تطوير ميادين حيوية في المجتمعات كالتعليم مثلا أن يوصف بأنه ترف فكري.

حتى أن من الباحثين من استشعر مسبقا رفض المتلقين لبحوثهم، فسجلوا توجساتهم في مقدماتهم مثلما حدث مع "د.عبد الرحمن أيوب"، الذي سجل توجسه في مقدمة كتابه دراسات نقدية في النحو العربي جاء فيه: «أما كيف يتلقى الناس هذا الكتاب، فإني أعلم مقدما أن منهم من سيعتبره كفرانا بثقافتنا التقليدية وتجريحا لسلفنا اللغوي الصالح »[4].

ولعل ما زاد نار الريبة والشك اتقادا، ارتباط الدرس اللغوي الحديث بجهود استشراقية ودعوات أخرجت البحث اللساني عن مقاصده العلمية، كتلك التي دعت إلى اعتماد العامية بدلا من الفصحى واستبدال حرفها بالحرف الأجنبي.

---

[1] ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي: الألسنية المعاصرة والعربية مجلة الذخائر ع1، 2000م، ص 31.

[2] محمد محمد حسين: مقالات في الأدب واللغة، ص54.

[3] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي ، ص16.

[4] المرجع نفسه، ص16.

3.1.1. تحقير التيار المخالف للتراث العربي: خلق تحقير بعض الباحثين من الأوروبيين والعرب للتراث الفكري اللغوي العربي، ردة فعل معاكسة من طرف التيار التراثي جعلهم يتشبثون به أكثر وينقمون على كل وارد أجنبي، والحقيقة أن المتأمل لأعمال الغرب يقف على إجحاف بين في حق النتاج الفكري واللغوي العربي، جورج مونال مثلا لم يخصص أكثر من سطرين للفكر اللغوي العربي القديم في كتابه: "**تاريخ علم اللغة إلى القرن العشرين**"، ولم يجد بلوم فيلد ما يضيفه لسطري زميله في مؤلفه اللغة. وفي نفس السياق اتجه كتاب "ميلكا إيفيج"[1]، والكلام ذاته ينطبق على "روبنز Robins"[2] الذي لم يخصص سوى صفحتين فقط لاستعراض الفكر اللغوي العربي، وجوليا كريستيفا (Julia Kristeva 1941)خصصت له خمس صفحات[3]. وفي الوقت الذي لم يجد فيه هؤلاء ما يكتبونه عن الإسهامات العربية إلا هذه الأسطر المعدودات، فإن آخرين جحدوا حتى تلك الأسطر واعتبروا أن العرب لم يكن لهم؛ أي إسهام يذكر في هذا الباب من ذلك ما يقوله: "ج.س.جرين": « ومن اللافت للنظر أنه يبدو أن العرب لم يسهموا بشيء في دراسة اللغة يمكن أن يقارن بدراساتهم التي أدت إلى إثراء الرياضيات، الفلك، الطبيعة، الطب، والتاريخ الطبيعي» [4]، والظاهر أن هذا الاجحاف قد استفز المفكرين العرب وقادهم إلى ردت فعل انتقامية.

4.1.1. الفجوة بين النظرية والتطبيق: يشكك الرافضون لتطبيق اللسانيات العامة واللسانيات النصية، باعتبارها نموذجا لسانيا متطورا لها في إمكانية تفعيل هذا المادة المستوردة، وإيجاد تطبيقات فعلية لها تتناسب وخصوصية اللغة العربية. نظرا لإيمانهم أن تلك النظريات قد وضعت للغات تختلف عن اللغة العربية في طبيعتها وظروف

[1] مصطفى غلفان: أفق اللسانيات العربية، حوار في موقع اللسانيات.

[2] روبنز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، مجلة عالم المعرفة، رقم 227 ، ترجمة: أحمد عوض ،الكويت نوفمبر 1997م، ص ص150 – 152.

[3] حسام البهنساوي: التراث اللغوي العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، ط1 ،2004م، ص ص2–3.

[4] عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص22.

نشأتها اختلافا بينا؛ إذ تم بناؤها بالاعتماد على اللغات الهندية الأوروبية. لذلك فإن مجرد الاصطدام بالجانب التطبيقي يشكل عقبة أداء في طريق؛ أي مناقشة تثير علاقة اللسانيات باللغة العربية، لكن السؤال الذي يجب طرحه هو: هل يجب أن يحدث هذا التطابق الكلي بين النظرية وتطبيقاتها؟.

5.1.1. الجهل بحيثيات الفكر اللساني العربي الحديث والمعاصر: المتأمل في مسيرة تطور العلوم يلاحظ دائما تعلق كل جيل بالفكر الذي توارثه، ونكر أنه لكل جديد وما تعودنا أن نتلقف الجديد العلوم والاحتفاء به وبأهله، إنما العادة النفور منه والتوجس من أصحابه والنظر إليه نظرة الريبة والشك. وليس ذلك إلا لأن الإنسان عدو ما يجهله، وليست اللسانيات الحديثة والمعاصرة بدعا عن ذلك؛ إذ اعتبر كل ما اتصل بها دخيلا شاذا وقد أشفع كل رافض رأيه بعلة.

6.1.1. عدم احترام التخصص: من الإشكالات المهمة توجيه اللسانيات إلى القارئ العربي والمثقف العربي، بدل التوجه أولا إلى الباحث العربي المتخصص في علم النص « وهذه المقولة خطيرة جدا، لأنها تدل على تجاوز الباحث إلى المثقف، وهذا التجاوز قد يكون يأسا من إقناع الباحث آنذاك بالمقولات اللسانية، أو التفافا عليه بالذهاب إلى المثقف والقارئ، وهو في الحالتين يشير إلى مأزق في الطرح الأول لهذا العلم. مما يعني أن بعض اللسانيين الأوائل لم يحسنوا زرع النباتات اللسانية في العالم العربي، لأنهم حملوا اللسانيات ولم يحملوا طريقة زرعها في العالم العربي بالحوار المبني على فهم التراث اللغوي العربي أولا، ثم فهم المعطيات اللسانية »[1]. إن الخوف من مواجهة المتخصصين ومقارعتهم بالحجة وفتح المجال للقاء العقول والأفكار، فتح مجالا لغيرهم من المثقفين أو حتى أنصافهم، ممن لا يملكون من العلم والاطلاع على

[1] هادي نهر، حسن خميس الملخ: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة " دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، د.ط، 2009م ، ص288.

مدخلات هذا التخصص، ما يؤهلهم لإبداء الرأي بالقبول أو الرفض، إنما ينطلقون من خلفية سياسية أو اجتماعية أو دينية يلقون بها على تلك النظريات الغربية.

2.1. التيار المتبني للفكر اللساني الغربي ورده على الرافضين:

أقبل كثير من الباحثين العرب على الدرس اللساني الغربي بحثا وتنظيرا، وشغفوا به وبكل فروعه خاصة اللسانيات النصية، باعتبارها من أحدث تلك الفروع، واعتبروه فتحا لغويا جديدا يوسع آفاق البحث اللساني العربي، بل إن منهم من أكد على أن جذور اللسانيات النصية عربية بامتياز، وراح يبحث في كنوز الموروث اللساني العربي على ما يثبت ذلك. وانقسم اللسانيون العرب إلى قسمين: قسم يؤمن بأن البحث النصي بحث جديد غربي الأصل والنشأة، يمكن استيراده وتطبيقه على اللغة العربية، في حين ظل آخرون مقتنعين بأن الباحثين العرب القدماء بلغوا من الإبداع ما مكنهم من التبشير بهذا العلم تحت مسميات أخرى.

ولا يستغرب أتباع هذا الفكر الرفض الذي يلقاه هذا العلم الجديد على الساحة اللسانية إذ «ليس غريبا أن يقابل الجديد بالرفض؛ بل لعل هذا الأمر من سنن البشر في تقبل ما هو جديد، لكن من سنن البشر أيضا أن الرفض كالمرض يزول غالبا مع مرور الوقت بالاقتناع، فما كان غريبا لجدته أصبح مألوفا لاقتناع الناس به ولشيوعه بينهم وظهور فوائده، لكن الأمر في طرح اللسانيات في العالم العربي بعمومه دخل في مأزق تطاول مدة الاقتناع »[1]. يفرق الباحث بين الرفض الطبيعي الذي تقابل به العلوم والنظريات المستوردة بحكم إخضاعها للبحث والتحري، قبل الأخذ بها والسعي لاستنباتها في البيئة المستقبلة. لكن استمرار هذا الرفض يُسبب انسدادا، ويحاصر العالم العربي ويعزله عن المستجدات العلمية.

[1] هادي نهر، حسن خميس الملخ: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة " دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص289.

ولعل أهم عائق وقف في وجه تقدم هذا العلم عند العرب، كونه فكرا غربيا طرح على مجتمع شديد التعلق بموروثه الفكري تمثل اللغة والدين عنده مصدر اعتزاز. فقابل هذا الفكر الوافد بتوجس وعدائية بتهمة أنها بديل غير مرغوب فيه لعلم لغة عربي مكتمل نحوا وصرفا ومعجما،" إيمانا منهم أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان. ومع نظرة الكمال هذه نجد فكرة التميز والاختلاف على كل اللغات الأخرى، كأن اللغة العربية ليست لغة كغيرها بمدعاة شرف اللغة العربية وخصوصية تعلقها بالقرآن الكريم، غير أن المتأمل في الآيات لا يجد فيها ما يمنع التعامل مع أو باللغات الأخرى، بل إن الله تعالى منّ على عباده بتنوع الألسن واعتبر ذلك نعمة وإعجازا إلهيا. يقول جلّ جلاله في: "**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ واخْتِلاَفُ أَلْسِنتِكُمْ وَألوَانِكمُ إِنَّ فِي ذلك لآيَاتٍ للعَالَمِينَ**"[1]، وإنما دعانا رب العباد تعالى للتعارف مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: "**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**"[2]، وإنما التعارف على كل المستويات العادات والأعراف والتاريخ واللغة أيضا. ثم لا بد من التمييز بين "دراسة اللغة بوصفها نموذجا معينا..، ودراسة اللغة من حيث هي معطى بشري وظاهرة كونية، وهو منطلق البحث الأساسي فيما يسمى باللسانيات النظرية أو العامة[3].

أما رفضه بدعوى أنَه علم غربي، فلا يجب أن نتجاهل أنَ العلم نتاج تراكمي "منطلقه فلسفي وهدفه نفعي براغماتي"[4]؛ لذلك من المستبعد أن تستقل حضارة بعينها بعلم، وإنما هو ملك حضارة الإنسان المعاصر بعيدا عن حدود الجنس، الهوية والعرق.

---

[1] من سورة الروم (30)/ الآية:22.

[2] من سورة الحجرات(49)/ الآية:13.

3 ينظر: عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 13.

[4] مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية ص39، نقلا عن حافظ إسماعيل العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي، ص89.

إنَّ الفجوة بين اللسانيات والموروث الفكري العربي قائمة على فكرة خاطئة هي أن اللسانيات الحديثة بديل عن الفكر اللغوي العربي الموروث، وسد هذه الفجوة يكون بتوضيح أن «اللسانيات علم صديق لكل الدراسات اللغوية على مختلف لغاتها، لأنها علم شكل ومنهج وأسلوب وطريقة معالجة وبحث، وليست بالضرورة الحتمية فكرا جديدا، فهي كأي أداة حضارية يستعملها البشر من غير التفكير بفكر صانعها مثل السيارة أو أي آلة أخرى، وهذا يعني أن اللسانيات ليست بديلا عن النحو العتيد ولا الصرف التليد ولا المعجم المجيد»[1]، بل يمكن أن تمثل إضافة نوعية تخدم هذه اللغة وتُلمع ماضيها وتجعله فكرا متجددا متناسبا مع العصر، فهي إن دخلت هذه العلوم أعادت تنسيقها وتحديثها، لتخرج بثوب جديد لكنه لا يلغي الأصول الصحيحة، ويقرب الدكتور حسن الملخ هذه الفكرة بمثل يضربه باعتبار أن «الموروث اللغوي العربي برج شامخ قديم يحتاج إلى كهرباء تضيء بداخله ولون يزهو به، وتغيير بعض النوافذ وتحوير بعض المرافق والغرف لكي يبقى صامدا»[2]. وفي كلامه إشادة بعظمة البناء الفكري العربي التراثي، الذي لا يعيبه أبدا أن نزينه بمستجدات الحياة العصرية التي تزيده تألقا، وتمكنه من مواكبة العصرنة دون أن تنال من أصالته، فهو يظل برجا شامخا.

إن أشد ما يُؤخذ على اللسانيات النصية عند العرب اتهامها بأنها تريد محو النحو العربي الذي تعودنا عليه حتى كدنا نقدسه، والحقيقة أن اللغة لا يمكن أن تستغني عن قانون يضبطها، غير أن التعديلات أو إضافات لا تمنع النحو، ولكن تجعله يساير روح العصر فكيف نؤمن بأن اللغة حية ثم نكفر بنحو حي؟.

[1] المرجع السابق، ص 89.

[2] المرجع نفسه، ص 89.

ثم لا بد من التفريق بين اللغة وعلومها؛ اللغة حقيقة حية بحياة أهلها المتكلمين بها، تتفاعل معهم تقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم وتراجعهم، وتبقي ما بقي أهلها. لكن علم اللغة أداة تستعمل للكشف عن حقائق اللغة لوصفها ولتفسيرها ولتيسير تعلمها، وهذه الآليات يمكن أن تتغير وتستبدل بأخرى كلما استدعت الحاجة إلى ذلك وهذا التحديث يخدم اللغة ولا يضرها.

« إن تحصين اللغة العربية على مستوى النحو والمعجم والصوت لتكون شريكا في مجتمع العولمة له شخصيته المميزة له، وهذه الشراكة لها شروط قد تكون صعبة لكن لا بد منها، وأهمها تقديم أنموذج موحد لخطاب لغوي عربي عصري ، وهذا الخطاب لا مناص فيه من الإفادة من اللسانيات بفروعها المختلفة؛ لكي نطرح بعد ذلك تنظيرا صحيحا وتطبيقا صائبا للنحو، وهذا الطرح بحاجة إلى الأخذ بوسائل غير لغوية لكنها ضرورية للغة وأهمها حوسبة اللغة العربية حوسبة حقيقية تتجاوز مجرد حوسبة الطباعة إلى حوسبة قوانين اللغة والأخذ بمعطيات اللسانيات الحاسوبية بالمعالجة الآلية للغة»[1].

إن أكبر ما يفتقر إليه الفكر اللساني العربي، هو سياسة تخطيطية لغوية سليمة تنتهج بشكل قطبي موحد يمثله مجمع لساني عربي يتولى مسؤولية التخطيط والتقرير، في حين تصبح الجامعات في شتى الأقطار فروعا وامتدادات له ومخابر علمية تغذيه بما تصل إليه عقول الباحثين، ليستحيل مكتبة كبرى تصفي وتصنف وتنظم الملتقيات الكبرى لمناقشة الإشكاليات التي تواجه الباحثين اللسانيين العرب.

كما يسهل في ظل هكذا تجمعات توحيد الجهود لصناعة معجم لغوي لساني يكون سببا في حل إشكالية الترجمة، يعود إليه المتخصص والباحث المبتدئ على حد سواء ليجد فيه ما يذهب حيرته، فيحقق الباحث العربي ما لم يستطع الساسة العرب

[1] المرجع السابق، ص322

تحقيقه ويتخطى مشاكلهم، فلا يسمح للسياسة أن تلقي بظلالها على مشاريعنا وطموحاتنا البحثية، علما أن مشاكلنا لا تحل إلا بالتنسيق المنطلق من أن اللغة ملك لجميع الناطقين بها، وليست ملكا لدولة واحدة من الدول الناطقة بها.

2. توجهات علماء لسانيات النص العرب المحدثين والمعاصرين:

يقول الدكتور تمام حسان واصفا توجهات علماء العرب عموما ومعللا إياها فيقول: "وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصيب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التاريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف..، ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة. ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة"[1]. ليظهر بذلك توجه خاص في اللسانيات المعاصرة يسعى إلى ربط التراث اللغوي العربي بالنظريات اللسانية الحديثة، يمكن الاصطلاح عليه بلسانيات التراث.

1.2. لسانيات التراث: « وهي تستهدف دراسة الفكر اللغوي العربي القديم من حيث أنه تصورات ومفاهيم وطرائق تحليل في ضوء النظريات اللسانية الحديثة..، والسمة المميزة لهذا النوع من الخطاب اللساني العربي الحديث، هي سعيه إلى التوفيق بين مضامين التراث اللغوي العربي وما تقدمه اللسانيات الحديثة من نظرية ونماذج إجرائية وطرق

[1] تمام حسان : مناهج البحث في اللغة، ص ص ج– د.

تحليل »[1]. فهي بمثابة الجسر الذي يربط عصرنا بتراثنا الفكري، إما بإعادة قراءته أو بمقارنة النتائج الحديثة للنظريات المعاصرة مع نتائج علمائنا القدماء.

« ولما كانت اللسانيات مؤسسة على الأصول التراثية، فإنها سعت إلى تقديم المبررات التي تعطيها مشروعية الحضور في الحاضر ،من خلال تناول الظاهرة اللغوية بعيون تراثية مندمجة في السياق الحداثي بمفاهيمه ومصطلحاته، في ضوء إسقاط صريح للمرحلة الحضارية الإسلامية العربية إبان عهوده الزاهية من تاريخ البحث اللساني البشري، ومن ثمة تصبح لسانيات التراث في بعد من أبعادها المختلفة وصلا لمفصول من حلقات الفكر البشري وتنبيها إليه »[2]، تكمن أهمية هذه الدراسات إذن في قدرتها على ربط معارف الحاضر بالنتائج التي بلغتها علوم الماضين.

ويستعمل الباحثون اللسانيون في التراث شتى الوسائل المعرفية لتحقيق هذا المسعى في إطار ما عرف " بقراءة أو إعادة قراءة التراث"[3]. ولعل هذا ما جعل الباحث اللساني "**مصطفى غلفان**" يطلق علي هذا النوع من الدراسات اللسانية مصطلح "لسانيات التراث". وقد عرفت لسانيات النص نفس المسار؛ إذ استقبلها الباحثون العرب بإسقاط الكثير من مفاهيمها الرئيسة على ما توارثوه من الدرس اللغوي العربي مصطلحات أو مفاهيم مثل: الاتساق والانسجام والنصية..، إيمانا منهم أن "الربط أو الوصل بين الماضي والحاضر– لا ريب – يعد منهاجا قويما لدراسة الفكر الإنساني عموما والفكر اللغوي خصوصا، ولعله من الإنصاف أن نقول إن دراسات كثيرة في العصر الحديث قد قامت على نتاج ما تركه تراثنا العربي القديم، وقد أكدت القراءة في تراث الأقدمين أن هناك تحليلات لهم تقترب من التحليلات المعاصرة للنصوص..، وقد حثنا كثير من علماء اللغة المعاصرين على السعي الحثيث نحو الوصل أو الربط بين

[1] مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 184.

[2] نعمان بوقرة: اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ص23.

[3] مصطفى علفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 184.

ما قدمه الماضي وما هو موجود بين أيدينا، وذلك بالنظر في أصول المنهج العربي، ثم دراسة هذه الأصول على ضوء ما قدمته المناهج الحديثة"[1].

إن تحليل النصوص تحليلا نصيا معاصرا يستوجب الإفادة من جهود المعاصرين وربطها بجذور امتدت من الماضي، ووصل الماضي بالحاضر في دراسة واعية انتقائية كفيلة ببلوغ هدف تحقيق تحليل نصي عربي معاصر. "فليس من الإنصاف أن نهمل أو نغفل أربعة عشر قرنا من العمل الجاد في كثير من الدراسات العربية، فهذا لا شك يعد أمرا في غاية الخطورة "[2]. ثم إن فصل هذه الدراسات الحديثة والمعاصرة عما سبقها وجعلها البداية الأولى والمنطلق، أمر غير معقول فكرا وعقلا ومنطقا. " فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام ـ مقام الدراسات النصية ـ ، يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها ..."[3]. ولا يخالف "**د. محمد العبد**" هذه الرؤية إذ يحدد شروطا ثلاثة لتحقيق مسعى بلوغ نظرية لسانية نصية علمية فيجزم أنه :" لن يتحقق طموحٌ في وضع نظرية علمية دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث، وكذا الإفادة من الدراسات الحديثة..، والإخلاص للبحوث التطبيقية "[4]. وبذلك يجمع الباحث بين الوفاء للدراسات التراثية والاقبال على المستجدات الغربية مع الحرص على تفعيلها.

ويؤمن أصحاب هذا التوجه "أن إعادة قراءة الفكر اللغوي القديم، في ضوء المنجز اللساني الغربي الحديث لا يمت بصلة إلى الفوارق السياقية المتباينة في البحث اللغوي القديم ونظيره الحديث، مما يلغي بحسب رأي القائلين بمقولة الفوارق السياقية

---

[1] أحمد عزت يونس: العلاقات النصية، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] سعد مصلوح: نحو أجرومية النص الشعري" دراسة في قصيدة جاهلية" ، ص153.

[4] محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، ص 8.

كل جهد تقريبي أو توفيقي، بل إنَ القضية عندهم مرتبطة بالتراث ذاته من حيث قدراته على إعادة بعثه دونما حاجة إلى مقارعته بالحديث، وهم بذلك يعتبرون قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب ويدعمون رأيهم بإمكانية تجديد التراث عبر إعادة قراءته"[1]. والمقصود بإعادة قراءته هي إخضاعه للرؤية الحداثية؛ أي قراءته على ضوء مستجداتها، وفي ذلك إمكانية لتحصيل نتائج جديدة هي وليدة هذا اللقاء بين التراث والنظريات الحديثة والمعاصرة.

وإذا كانت الدراسات قديمها وحديثها تلتقي في هدف واحد، هو فك رموز النصوص واستحداث آليات تمكننا من تفكيك ثم إعادة بنائه بناءً منسجما متسقا مترابطا معبرا، مع محاولة الوقوف على الصفات المشتركة التي تميز كل النصوص. فلا بد أن تكون الدراسات الحديثة قد أفادت من سلفها، والتقت معها في بعض ما بلغته ما دام المنطلق واحد والهدف واحد، وإن ما شغل الأوائل هو ما يشغلهم اليوم في الدرس الحديث.

إن فكرة القطيعة المعرفية اللسانية الحديثة مع اللسانيات التقليدية "فندتها دراسات إبستيمولوجية لسانية، "تشومسكيChomsky" 1966 و"كورودا Courouda" 1972 و"سميائية جريماسGremas1917"، بينت بالملموس أن اللسانيات الحديثة ليست إلا حقبة من الحقب؛ تطور فكر لغوي واحد بدأ حين بدأ الإنسان يفكر في اللغة "[2].

بل إن بعض الدارسين يؤمن إيمانا قاطعا أن كل ما يطوف الآن في عقول اللسانيين من أفكار يرونها مثالا للحداثة والتطور، قد جالت في عقول اللغويين العرب القدماء وشغلت تفكيرهم. وهذا قد تبين لهم "بعد قراءة سريعة لبعض ما جاء في التراث اللساني العربي، إن العلماء العرب القدامى يحملون من الوعي المتعلق بدراسة

[1] نعمان بوقرة: اتجاهات الدراسة اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية، ص 23.

[2] أحمد المتوكل: حوار نشر له في أسئلة اللغة أسئلة المنهاج، ص39.

النصوص ما يجعلهم من المؤسسين الحقيقيين للدراسة النصية، كما هي عليه الآن فيما يسمى بنحو النص أو لسانيات النص أو تحليل الخطاب، وبخاصة بما يتعلق بمحاور الإحالة الكلامية وبناء النصوص ودلالتها على مستوى العلامات اللغوية، وأركان الجملة وآليات التخاطب ووظائف اللغة، وما تعلق بدراستهم لضوابط الربط الفكري والانسجام المتعلق بالتشكيل اللغوي في مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية، والجانب الإعلامي الإخباري في النص والقصد والمقام وعلم الخطاب. وكلها عناصر ذات أهمية في الدراسات النصية في عصرنا؛ إذ من خلالها تتكون النصانية كما عند "دسلر(Dressler1939) وبوجراند (Beaugrand)/ 1946 في كتابهما مقدمة للنصوص اللغوية"[1].

ونجد الباحثين العرب يجتهدون في البحث عن أمثلة لنماذج معاصرة لها ظلالها في لبحث اللساني العربي، ولعل أهم تلك المفاهيم الاتساق والانسجام والنص هذا الأخير الذي يؤكد "د. بشير ابرير" أنه مفهوم سبق التطرق له في التراث اللساني العربي؛ إذ "يمكن أن نحدد مفهوم النص من التراث اللساني العربي من خلال منظومة مفاهمية متناسقة منسجمة مثل الجملة والكلام والاتساع في الكلام والبيان بأنواعه والخطاب والتبليغ. وإذا كان النحاة العرب والبلاغيين لم يستعملوا مصطلح النص، فلأن مفهومه كان مشغولا بواحد من هذه المصطلحات التي تم ذكرها. وإذا كانوا لم يعبروا بكلمة نص صراحة كمصطلح له مفهومه الموجود عندنا والمتعارف بيننا، فإنه ـ فيما أرى ـ قد كان قائما في صدورهم متصورا في أذهانهم مختلجا في نفوسهم، متصلا بخواطرهم حادثا به فكرهم موجودا فيهم بالقوة، وحاولوا إخراجه إلى الفعل والممارسة لما رأوا حاجة ثقافتهم إلى التأصيل والتوثيق والانفتاح على الثقافات الأخرى، وتبادل الأخذ

[1] بشير ابرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق ،مج 23 ، ع1، 2007 م، ص118.

والعطاء"[1]. نفس الثقة نلمسها في مقالة موسومة بـ " مفهوم النص في التراث اللساني العربي"، تتحرى ذات النهج المؤمن بأن تفاصيل النظرية اللسانية النصية سبق إليها العرب.

2.2. لسانيات التبني: دعونا نصطلح على التوجه المخالف للسانيات التراثية بلسانيات التبني، لأنها أقبلت بشغف على كل منتج فكري لساني غربي، كأنما تتبنى ذلك الفكر وتحتضنه وتؤمن إيمانا عميقا، بضرورة إعادة وصف اللغة العربية وصفا ألسنيا بعيدا عن أي موروث لغوي مهما كان حضوره، متهمة أصحاب هذا التوجه بالخلط في المفاهيم، وبعض دعاة التبني "يشير إلى الخلط الموضوعي الذي تكشف عنه العديد من الكتابات اللسانية العربية في تحديدها أبسط المفاهيم الأولية والجوهرية مثل: اللسانيات، فقه اللغة، علم اللغة، النحو الفيلولوجيا، واللغة"[2]. والباحثون بهذا المستوى من الخلط لا يمكنهم تجاوز الحدود المتعارف عليها في مقدساتهم الفكرية واللغوية العربية، "وبالفعل فإن خطابنا اللساني العربي المحمل بهذا النوع من التصورات الخاطئة للعلم والمنهج والنظرية والتطبيق والمواقف الفكرية الملتبسة ليس بإمكانه أن يقدم شيئا جديدا في دراسة اللغة العربية من منظور لساني، أو أن يسهم كثيرا في نشر وعي لساني حداثي يتجاوز حدود ما هو معروف في الثقافة اللغوية العربية منذ مئات السنين"[3]، مما يستدعي تجاوز هذا الخلط المنهجي والفصل بين ما هو تراثي وما هو حداثي معاصر.

وليس ذلك لعدم تقدير مجهودات الباحثين القدامى أو تجاهل فضلهم وعلمهم، ولكن "إذا كنا نقدر المجهود الذي قام به هؤلاء الأئمة في النحو واللغة قديما، فهذا لا بعني مطلقا أن الأفكار الحديثة التي جاءت بها اللسانيات منذ بداية القرن العشرين

[1] المرجع السابق، ص 117 .

[2] المرجع نفسه، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص13.

موجودة في تراثنا اللغوي..، إن مشكلة كل من يدعي إسقاط المقاربات اللسانية على الفكر اللغوي التراثي العربي بشكل تلقائي وسطحي، لم يستوعب بعد أو لا يريد أن يستوعب حقيقة التحليل اللساني المتمثل في تحليل البنيات اللغوية وفق نموذج نظري محدد"[1].

إن الفرق بين الدرس اللغوي العربي والغربي يبدأ من تحديد المنطلقات والأهداف؛ ذلك أن المعروف عن الدرس اللغوي العربي ارتباطه الوثيق بالمرجعية الدينية. فلا ينكر عارف بالثقافة العربية أن كل علوم اللغة انطلقت من القرآن، لتصل إليه فهما واستيعابا وتعليما، فلم يكن الدرس اللغوي هدفا منشودا بقدر ما مثل وسيلة لتحقيق هدف ديني محدد. وهذا ما يتناقض مع جوهر اللسانيات التي دافعت عن أطروحة دراسة اللغة لذاتها وبذاتها، باعتبارها غاية في حد ذاتها لا مطية لهدف آخر مهما كان نبيلا. وهنا "تتجلى القطيعة الحاسمة بين اللسانيات والفكر اللغوي القديم في المتطلبات النظرية والمنهجية التي طرحتها اللسانيات، والمتعلقة أساسا بتحديد موضوع وضبط المفاهيم والأدوات الإجرائية، وتكوين مصطلحية خاصة بها، فضلا عن الرغبة المنهجية في استقلالية اللسانيات ذاتها، والاستفادة من النتائج المحصل عليها في العلوم الأخرى، سواء أكانت علوما إنسانية أم علوما دقيقة "[2].

إن أكبر ما يشكل القطيعة بين الفكرين هو اختلاف المنطلقات والأهداف، وكل محاولة للربط بين فكرين في عصرين مختلفين، هي محاولة متجردة من قواعد وضوابط اختلاف معطيات العصر والسياق مشكوك في نتائجها. وهذا الخلط المنهجي يعد من الأسباب الهامة التدي دفعت باللسانيات العربية بعمومها والنصية خاصة إلى متاهة المعاناة من أزمة المصطلح كما سبق وأشرنا، بل إن الأمر تعدى ذلك إلى تَهَلهُل الجدران بينها وبين التخصصات القريبة منها .

[1] المرجع السابق، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

ولعل من الأسباب الجوهرية لهذه الفوضى المفاهيمية التي تسم المجال اللساني بشكل عام والنصي بشكل خاص: فقدان التسلسل في الحلقات التطورية؛ ذلك أن هذا المجال لم يحظ بفرصة التطور الذي يعطي للعلم صفته التراكمية، ولكنه وصل العربية دخيلا عليها مستوردا مع ما استورده العرب من الغرب. "فإذا كان التطور سمة اللسانيات العربية الحديثة نتيجة حتمية لمجموعة من التراكمات النظرية والمنهجية، فالأمر لا ينطبق على اللسانيات العربية الحديثة لكون الاستمرارية والتراكم غائبا عنها، إنما استوردت الحداثة نتيجة الانفتاح المعرفي الذي عرفه العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر"[1].

لهذا فإنه ومهما زاد تقديرنا للجهود الجبارة والخلاقة التي بذلها سلفنا في مقارباتهم اللغوية، « فهذا لا يعني مطلقا أن الأفكار الحداثية التي جاءت بها اللسانيات منذ بداية القرن العشرين كلها موجودة في تراثنا اللغوي..، إن مشكلة كل من يدعي إسقاط المقاربات اللسانية على الفكر اللغوي التراثي العربي بشكل تلقائي وسطحي، هي أنه لم يستوعب بعد أو لا يريد أن يستوعب حقيقة التحليل اللساني، المتمثل في تحليل البنيات اللغوية وفق نموذج نظري محدد»[2]. ولا بد من احترام الإطار النظري الذي تساق فيه النظريات حديثها وقديمها.

يحمل "**د.عبد القادر الفاسي الفهري**" رؤية واضحة وتصورا متكاملا لهذا الموضوع يقتضي « التفريق بين النسق الفكري وبين المعطيات، فدراسة المعطيات الموجودة في هذا التراث يمكن أن تستعمل لبناء نحو اللغة العربية القديمة، ودراسة النسق المفاهيمي النحوي/ اللغوي يهدف إلى التأريخ للفكر (الابستيمولوجيا)»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

[3] الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 60.

أما في رده على من يطالب بتوظيف هذا التراث فيرى: « خلافا لما يُعتقد، ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية تفرض علينا توظيف هذا التراث، فبناء نحو اللغة القديمة مثلا لا يحتاج ضرورة إلى المعطيات الموجودة في النحو القديم، بل يمكن أن يستغنى عنها باستعمال النصوص القديمة. وعلى كل حال لا يمكن أن يكتفي بها، علاوة على أنه يجب استعمال المنهج النقدي لغربلة ما هو معطى فعلي وما هو منتحل»[1]. ويمكن الوقوف على مجموعة من الأخطاء أهمها:

- الاعتقاد بضرورة توظيف التراث في بناء نحو يصف اللغة العربية؛
- الخلط بين نسقين مختلفين؛ بتوظيف التراث في بناء اللغة الحالية؛
- الاعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية الحالية أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم.

" وهذا التصور خاطئ فإن الآلة الواصفة الموجودة عند القدماء ليس لها أي امتياز في وصف العربية، بل هي غير لائقة في كثير من الأحوال..، طبعا مواجهة الفكر اللغوي القديم بالفكر اللساني المعاصر، يؤدي إلى نوع من اللاتاريخية والاناكرونيزم؛ إذ يضطرنا إلى الحكم على فكر نشأ في ظروف معرفية وتكنولوجية معينة، بمقاييس عصر وصل فيه العلم والتكنولوجيا إلى نتائج لم يعد ممكنا معها أن نأخذ بتحاليل القدماء برمتها، بل يمكن فقط أن نستأنس بها وأن نأخذ بعض الجزئيات فيها، أو بعض الخطوط العامة..، إن عددا من المفاهيم الوصفية عند القدماء لا يمكن الاحتفاظ بها في نموذج لساني حالي، فنظرية العامل عند العرب مثلا ليست هي نظرية العامل التي نحتاج إليها في الدرس الحديث"[2]. وبذلك نغلق الباب أمام الساعين للبحث عن إرهاصات النظريات اللسانية الحديثة والمعاصرة في أعمال واجتهادات

[1] المرجع السابق، ص60.

[2] المرجع نفسه، ص ص 60-61.

القدماء لاختلاف السياقات، المنطلقات والأهداف، كما يمتنع استخدام المدخلات التراثية لتحصيل مخرجات نصية حداثية.

وهذا ما يؤكده الدكتور **سعد مصلوح** في بحث له عندما يقف على ما يسميها: معيقات مانعة لاستعمال النحو التقليدي في التحليل النحوي للنصوص يحصرها في نقاط هي[1]:

أولا: أن النحو العربي موضوع لتحليل الشاهد والمثال، وشواهد النحو هي موضوع الدراسة فيه.

ثانيا: غلبة الطابع التعليمي فيه حدت من قدرته على التحليل الخالص للظواهر.

ثالثا: عدم اعترافه بفكرة التطور.

رابعا: تهميش مراعاة المقام في القواعد باستثناء بعض كتب المتقدمين من أمثال سيبويه.

[1] . سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، ص ص 422 –427.

المبحث الثاني: الكتابة اللسانية النصية العربية

1.انتقال النظرية:

لا تولد النظريات من العدم، بل تنبثق من رحم سياقات فكرية محددة، ولا يشذ ظهور لسانيات النص عن هذا الناموس[1]، فاللسانيات النصية علم انبثق من الحوض المعرفي الغربي، وورد إلينا وافدا مثلما عرف طريقه إلى ثقافات إنسانية مختلفة، ولم يكن ذلك من أحقاب بعيدة ولكن المتتبع لسيرورة اللسانيات النصية، يجدها تعود إلى النصف الثاني من القرن العشرين.

اختلفت الآراء حول أول من حمل لواء هذا العلم للعرب، لكن يمكن الحديث عن أوائل من ولجوا هذا الباب من أمثال الدكتور **سعيد البحيري**، ود. **سعيد يقطين**، إذ كلاهما يؤكد تعرفه على هذا العلم من خلال كتاب: "***علم النص مدخل متداخل الاختصاصات***"، ويرجعون ذلك لسنة 1985م، غير أن د.سعيد البحيري يعود ليؤكد في أحد إصداراته أن بدايات تعرفه على هذا العلم تعود إلى 1979م[2].

فيما يذهب عديد الباحثين إلى اعتبار البدايات الأولى لهذا العلم، تعود للأستاذ الدكتور ***سعد مصلوح*** في بحثه الموسوم "***من نحو الجملة إلى نحو النص***" الصادر سنة 1990م بالكويت، البحث الذي ورد ضمن كتاب للأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا، وهي مجموعة بحوث مهداة إلى الأستاذ عبد الرحمن هارون، والجدير بالذكر أن الدعوة إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص قد وردت لديه في

---

[1] ينظر: حافظ إسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية" لسانيات النص أنموذجا"، ص10.

[2] ينظر: كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص "مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج"، تر.سعيد البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوريع القاهرة، ، ط1، 1425هـ- 2005م ، ص11.

عملين سابقين[1]. كما أورد الأستاذ د.**حافظ إسماعيلي علوي*** في هذا السياق مقالة للدكتور عبد الرحمن بودرع أصدره بتاريخ 1988م، موسومة بـ:" ***نظرية تحليل النص من خلال الأصول اللسانية***". غير أن أول البحوث العربية المفعلة لأدوات علم لغة النص نجدها في بحث **انفتاح النص الروائي**، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1989م في الدار البيضاء. وعن الرسائل والأطروحات فأولها رسالة ماجستير قدمها الأستاذ محمد خطابي موسومة "***مظاهر انسجام الخطاب***" سنة 1988م، وقد نالت نصيبا وافرا من الاهتمام والدراسة من الباحثين.

لا بد لنا من الاعتراف أن "كل انتقال إلى وسط جديد يطرح مشاكل علمية منهاجية وابستيمولوجية تستحق الطرح والتحليل والمدارسة"[2]، وبموجب تلك المشاكل يصبح زرع النظريات والأفكار ونقلها وتبادلها أمرا معقدا، بالنظر إلى الملابسات التي تحف عملية الالتقاء بين الثقافتين الوافدة والمتقبلة؛ إذ من شأن قنوات التقبل أن تشكل المعرفة على نحو ربما انتهى إلى صياغتها صياغة مفارقة لهيئة تشكلها الأولى، لأن استثمارها في مقام جديد يطعمها برواسبه، ثم إن قنوات تلقي المعرفة موصولة بالسنن المعرفية التي تترسخ في المجتمع، فتفتح للمعرفة أفق تقبل بمقتضاه، يعرض عن تلك المعرفة أو يقبل عليها، ويسارع إليها أو يحترز منها[3]، فاستنبات النظريات الجديدة في

---

[1] ينظر: عبد السلام سيد حامد: في بحثه نحو النص عند سعد مصلوح ،عملين سابقين لسعد مصلوح أشار فيهما إلى نحو النص؛ أولهما: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، والثاني: العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية.

*أوردها الأستاذ حافظ إسماعيل العلوي في مقالة بعنوان عندما تسافر النظرية "لسانيات النص نموذجا الصادرة بمجلة جسور، ص13.

[2] محمد مفتاح وأحمد بوحسن: انتقال النظريات والمفاهيم ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 76، 1999م،(التقديم).

[3] ينظر: حسن السوداني: أثر فردنارد دي سوسير في البحث اللغوي العربي، بحيث لنيل الكفاءة في اللسانيات، إشراف الدكتور عبد السلام المسدي ، 1996م-1997م ، ص99. ينظر: أيضا عندما تسافر النظرية، حافظ إسماعيلي علوي، ص12.

بيئة مستقبلة مرهون بسلاسة انتقالها من البيئة المولدة إلى البيئة الحاضنة، وقدرة هذه الاخيرة على توفير الظروف المناسبة لاستنبات الوافد الجديد.

غير أن المتأمل لنشاط هذه النقلة يصدم بتذبذبها، فهي لم تستطع أن تجد سبيلا أو آلية ناجعة لضمان انتقال سلس لهذا البحث، يُمكن من سبر أغواره وفهمه فهما وافيا. فالباحث العربي يجد نفسه في مواجهة موج متلاطم من البحوث الجديدة كل يوم، فلا يكاد يصل إلى نقطة كانت تمثل المنتهى، إلا ليجد نفسه لا يزال بعيدا عن شاطئ، لينتهي الأمر بكثير منهم بأن يغرقوا قبل أن يقفوا على أرض صلبة.

2.1.عوائـــق تلقي النظرية:

وُصف النتاج اللساني العربي بأنه نتاج متذبذب، ووصفها بعض الباحثين" أنها نتاج هزيل"[1]. فاللسانيات في الثقافة العربية بوصفها ميدان بحث علمي "لم تثبت أقدامها بعدُ بالقدر الكافي، ولاتزال تفصل بينها وبين المستوى الذي بلغته في جامعات الغرب مسافات كبيرة، اللهم إلا ومضات تلمع بين الحين والحين، ترتفع إلى ذلك المستوى، ولكنها في الأعم نتاج جهد فردي خالص"[2]. فإن تأملته وعرضته لدراسة علمية جادة، تمخض عن نتاج هزيل "لا يفرز عند التمحيص النظري والفحص المنهجي إلا حالات نادرة، مما يستحق فعلا أن يندرج في إطار البحث اللساني بالمعنى العلمي الدقيق"[3]، مما وسم المنجز اللساني العربي باللامنهجي في تصوراته، والقليل في تراكمه مقارنة بما ينتج على الساحة العالمية، مع إعراض لكثير من الباحثين الذين يرون فيه نظرة غربية بعيدة عن اهتماماتنا العربية.

[1] . عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص35.

[2] عبد الوارث مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1985م، ص17.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية الحديثة، ص 10.

وتنتهي بعض الدراسات إلى حقيقة مرة مفادها أن "أكثر الدراسات التي صنفت على أنها دراسة لسانية حديثة، هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والآراء دونما غربلة وتمحيص، حتى أن من يطالعها يشعر وكأنها فقدت عنصر التجديد، فيقف الباحث محاولا أن يجد فيها المعلومات القيمة فيعرض عنها لأنها مملوءة بالتعليلات المرهقة وبالألغاز والتمويه" [1]. ولعل أكبر عيب في هذه الأعمال تعقيد أسلوبها الذي ينفر الباحثين المستجدين في هذه التخصصات، فالأجدر أن يحرس الكتاب الذين يعملون على التعريف بالعلوم الجديدة على استعمال أسلوب يخلو قدر الإمكان من التعقيد، لأن كتبهم موجة بالدرجة الأولى لطلاب العلم والمستجدين في ميدان بحثهم.

ولعل أهم عوائق التلقي ترجع إلى زمرة من الأزمات، يمكن تتبعها على النحو التالي:

1.2.1. **أزمة الموروث:** ورث اللساني العربي تركة ثرية وثقيلة في نفس الوقت جعلته يتشبث بها لغناها وتنوع مواردها، ولكن في نفس الوقت ثقلها منعه من التقدم للأمام، وبعض الأصوات المتطرفة جعلته ينظر لكل جديد على أنـه خيانة لموروثة؛ إذ يعتبرونه منهجا غريبا عن اللغة العربية وأهلها. فهو عندهم "غلو محموم ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني في فرنسا وغيرها من أقطار أوروبا"[2]، بل ويشككون في أهدافه ويستنكرون مقاصده ويخونون أتباعه. "فهو بحث مقحم على اللغة العربية بعيد عن أنفاسها وخصائصها وإدخال لأهلها في ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها"[3]، ثم إن اللغة العربية عندهم قد بلغت ذروة المقاصد البحثية، وعالجت مشكلات البحث اللغوي العربي "وأبرزت خصائص هذه اللغة إبرازا متكاملا، لا يحتاج

[1] ريمون طحان: الألسنية العربية، ص12.

[2] مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص22.

[3] المرجع نفسه، ص22.

معه أبناؤه إلى مزيد من المداخلات والتعقيدات التي يتم بها البحث الأوربي الحديث، فإن "ما وصلنا من أبحاث علم اللغة في أوروبا عن طريق الترجمات في علم الدلالة، علم الأصوات وسائر المجالات التي يتناولها علم اللغة المعاصر يختلف في مذاقه وطبيعته عما عرفه البحث اللغوي العربي، فقد تضمنت الدراسات الألسنية الأوروبية مناهج ومذاهب تصلح لدراسة اللغات الأوروبية، ويمكن تطبيقها عل الظواهر اللغوية عندهم. ولو حاولنا تطبيقها على ظواهر العربية، لرأينا أن ثمة تكلفا واضحا بين ما ألفه الباحث العربي وما يراه الباحث الأوروبي "[1] .

وحتى أولئك الذين اقتربوا من اللسانيات الحديثة مازالوا متشبثين بالتراث اللغوي العربي، وإنما جل نظرهم للجديد هدفه المقارنة بينه وبين ما تربوا عليه وتشبعوا بمبادئه، فيما يُعرف بإعادة قراءة التراث أو إعادة تشكيله. لقد خلقت هذه الهيمنة المزدوجة مثلما يطلق عليها **د. مصطفى غلفان** أزمة لسانية، هي أزمة أسس "أي أزمة في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالا معرفيا معينا وتحدد معالمه، وهي أسس تختلف في طبيعتها وذات نتائج متفاوتة الأهمية بالنسبة إلى الدرس اللساني العربي. ويلاحظ متتبع خطاب اللسانيات العربية الحديثة أنه خطاب يعيش تحت هيمنة مزدوجة؛ هيمنة التراث اللغوي العربي القديم وهيمنة اللسانيات الغربية الحديثة، مما يجعل الخطاب اللساني العربي الحديث يفرز أشكالا متعددة ومتناقضة من العوائق المادية والصورية "[2]، التي يجد الباحث نفسه مضطرا لمواجهتها إذا ما فتح على نفسه باب قراءة التراث بآليات معاصرة، لا تأخذ بعين الاعتبار الإطار المكاني والزماني والسياقات المرافقة لكل نظرية.

[1] المرجع السابق، ص32.

[2] مصطفى غلفان: اللسانيات العربية" أسئلة المنهج" ، ص49.

إن الالتفاف حول التراث اللغوي العربي لم يعد له تلك الأهمية بعد كل تلك التحولات والتطورات التي عرفها الفكر اللساني، ومواكبة هذه التطورات السريعة والعميقة لم يعد ممكنا في ظل العودة الدائمة والمستمرة إلى الوراء. "وإن كانت مسألة إعادة قراءة التراث ضرورة تاريخية أو حضارية في فترة ما من تاريخ الفكر العربي، فإنه لا ينبغي أن تتحول هذه الضرورة إلى حتمية تاريخية ملازمة له، مما يحول دون قيام لسانيات عربية بالمعنى العلمي الدقيق"[1]. هذا فضلا عن كون التراث اللغوي القديم معتمدا على منهجية غير مضبوطة، وغير قابلة للمراقبة العلمية في نظر كثير من الباحثين. مما يجعل تتبعها ينتهي بصاحبه على طريق مسدود، ولا يمكن تصنيف تلك البحوث في صلب اللسانيات، لأنها لا تُعنى بموضوعها المركزي الوحيد والحقيقي ألا وهو اللسان.

إن المتابع للفكر اللساني الغربي سيلاحظ حرصه على التطوير وخطواته المستمرة على الأمام، ولم يكن مثل هذا المسار ليتسنى له لولا القطيعة التي أحدثها مع الفكر اللغوي القديم*، ويمكن حصر بعض مظاهر الاختلاف بين الفكرين فيما يلي:

- اللسانيات فكر أكثر شمولية من نظيره القديم؛
- اللسانيات مراجعة دائمة ومستمرة للمفاهيم الجوهرية التي تقوم عليها؛
- اللسانيات أكثر تفتحا على معارف أخرى، كالمنطق، الرياضيات، علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها[2].

---

[1] المرجع السابق، ص8.

* من الصعب الحديث عن تاريخ ظهور اللسانيات بشكل واضح كعلم قائم بذاته فهو يختلف بحسب وجهة النظر التي يقدمها الباحث، وقد تكون نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد أو مع بوب فرانسوا بوب (1791 1867)، نظام تصريف السنسكريتية مقارنا بنظام التصريف في اللغات الاغريقية واللاتينية والفارسية والجرمانية، أو دي سوسير (1913/1857) دروس في اللسانيات العامة أو مع تأسيس حلقة براغ أو حتى مع تشومسكي.

[2] مصطفى غلفان اللغة العربية أسئلة المنهج، ص15.

ومن أخطر ما أنجر عن هذا التعلق بالتراث تباطؤ خطوات البحث العربي اللساني، " فإذا استقرينا تاريخ اللسانيات القصير، نجد أنها واجهت بالفعل إشكال التجديد، ولكن جل اللسانيين لم يأتوا بالتجديد المطلوب"[1]، وقد جعلوا من أنفسهم من حيث يعلمون أو يجهلون سجناء مناهج القدماء، الذي لم يسمح لهم أن ينفتحوا على المستجدات الكثيرة في اللسانيات الحديثة، بل إنهم حتى لو حاولوا التواصل مع الجديد فسيكون إما لتطبيقه على التراث أو لمقارنته به. وقد علق **الفاسي الفهري** على هؤلاء معتبرا أعمالهم "غريبة"، وأطلق على هذا الموقف "خلطا"؛ إذ يقول: "مع أنه لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي، وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة، وقد أدى هذا ببعضهم إلى تبني مواقف غريبة تخلط بين وصف اللغة العربية، وقراءة التراث النحوي العربي.

إن البحث اللساني العربي في واقعه الراهن مدعو إلى التكامل قصد خلق وعي لغوي يتجاوز حالة الغربة التي تعرفها اللسانيات في ثقافتنا اللغوية، وليس بإمكان أي أحد أن يدعي العكس، حتى ولو وجدنا تطبيقات عربية لأحدث النظريات اللسانية، ولا نعني بالتكامل تلفيق النماذج وتهجينها، وإنما نقصد الاستفادة المتبادلة بينها فيما يتوصل إليه من نتائج حول اللغة العربية. إن التكامل يعني الانفتاح على الآخر مع وجود الاختلاف، إن ما عرفته مدارس النحو العربي في الماضي من تكامل وتداخل بين آراء هؤلاء وأولئك، هو السبيل الأنجع لإثراء البحث اللساني العربي[2].

2.2.1. أزمة المنهج:

تتمحور الإشكالية في هذا العنصر حول الإجابة عن تساؤل مقتضاه: هل تتكيف اللسانيات العربية نظريا ومنهجيا مع مقتضيات المنهج العلمي؟. إن التعامل مع

[1] الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص51.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص64.

اللسانيات باعتبارها علم مهمته تتبع الظواهر اللغوية، يقتضي أن تنصاع للمنهجية العلمية التي يمكن تحديدها في أمور ثلاث هي: وضع مبادئ عامة، بلوغ نتائج منطقية من تلك المبادئ، إمكانية التدقيق العلمي للحقائق المتوصل إليها[1]. ويمكن للباحث المتتبع للنظريات اللسانية العربية أن يلمس طابعها العلمي العميق، وذلك بالجسور التي امتدت بينها وبين العلوم الصرفة، واستفادتها من الأسس النظرية والمنهجية المتبعة في تعامل العلماء مع الظواهر الفزيائية والرياضية. أسهم كل ذلك في أن تحقق اللسانيات مستوى علمي لا يُستهان به، في الوقت الذي مازالت فيه اللسانيات العربية تعاني ما يسميه **الفاسي الفهري** "أزمة منهجية "أو ادعاء العلمية "، وهذه الظاهرة تأخذ أشكالا متعددة من تصور خاطئ للعلم إلى تصور خاطئ للافتراضات العلمية، إلى تصور خاطئ لما يعتبر تطبيقا لنظرية ما ..."[2]، وغير ذلك مما يعتبره الباحث من مظاهر التسيب، إذ يرى أن "من مظاهر التسيب ..، أن أبسط شروط التأليف العلمي لا تتوفر فيما يتكاثر من مقالات على رفوف المكتبات، فكثير من المنتوجات لا تتعامل مع المادة من منطلق الاختصاص والجدية، بل تطبعها العفوية والعشوائية ويقع الخوض في المواضيع دون استيفاء شروط التخصص"[3]. وعلة ذلك غياب المنهجية المعتمدة في بناء الأعمال اللسانية وتبني تصورات خاطئة للعلم، والتي بدورها ستؤدي إلى اعتماد فرضيات خاطئة تفرز تطبيقات غير مأمونة النتائج.

وبهذا فاللسانيات العربية "لا تتقيد العديد من كتاباتها بالضوابط المنهجية في البحث العلمي، ولا تساير مستجداته في مستوى أسسه الابستيمولوجية والتحولات المعرفية التي تطرأ عليه إلا نادرا وبكيفية محتشمة، ومن ثمة تظل علاقة اللسانيات العربية بنظيرتيها الأوروبية والأمريكية في مستوى الاقتباس السطحي، الذي لا ينفذ إلى

[1] فيليب فرانك: فلسفة العلم، نقلا عن مصطفى غلفان، ص19.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، دار بوبقال للنشر الدار البيضاء للنشر، ص 57.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات العربية نماذج للحصيلة، ص12.

استيعاب عمق الأسس التصورية للنظرية اللسانية العامة. ولأنها غير قادرة على الالتزام بالمعايير المنهجية التي تضبط العمل اللساني الصحيح، وعلى إدراك الأبعاد التصورية والأسس النظرية للممارسة العلمية وللمقاربة اللسانية، تظل علاقتنا باللسانيات علاقة توتر لأنها قائمة على ضرب من الالتباس والغموض اللذين يضمران قصورا منهجيا جسيما"[1].

وقد أثر ذلك بالغ التأثير في نوعية البحوث العربية اللسانية وتميزها وقدرتها على إحداث تأثير فعال على مستور واقعها أولا، ثم على مستوى الساحة الفكرية العالمية. صحيح أن الدراسات اللغوية العربية تزداد يوما بعد يوم من حيث الكمية، أما من حيث النوعية "فلا يزال تطورها محدودا، كما أنه ينعدم أي تطور ملموس نشتم منه رائحة الجدة العلمية والعصرية، أو حتى أن نلمس فيه أن يكون تيارا أو حركة جديدة أو معلما رائدا في حقل الدراسات اللغوية الحديثة"[2]، وليس الكم معيارا كافيا نركن إليه لبلوغ مرتبة مشرفة في ميادين العلوم.

3.2.1. أزمة الترجمة: إن اللسانيات بشكل عام واللسانيات النصية بصفتها نموذجا متطورا للسانيات، علم منبثق من الحوض المعرفي الغربي، فيه تهيأت لها كل شروط الإمكان والتحقيق، لتغدو معرفة طيعة وآلة ذلولا آتت إخصابها في مجالات معرفية شتى، وأشعت بنورها على العالم، ووصل تأثيرها إلى العرب بطرق مختلفة أهمها الترجمة. فهل كانت الطريق ممهدة للترجمة؟. وهل من اليسير ترجمة علم كل مبادئه ومصطلحاته الأجنبية؟. علما أن المؤصلين لهذا العلم لم يتفقوا بعد على كثير من مفاهيمه وحدوده، وحتى الترجمة والنقل لم يكونا مواكبين لمسيرة النظرية في موطنها

[1] المرجع السابق، ص24.

[2] بكلا محمد حسين: النظام الصوتي والصرفي في اللغة العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1979م، ص 11.

الأصلي، بل جاءا متأخرين إذ لم تعرف الثقافة العربية كتابة لسانية نصية إلا في أواخر الثمانينيات.

ويعتبر سعيد حسن البحيري أهم الفاعلين في ميدان ترجمة الكتب اللغوية بشكل عام واللسانية النصية بشكل خاص، وفيما يلي مسرد لأهم تراجمه في لسانيات النص:

المترجم	المؤلف الأصلي	اللغة الأصلية	تاريخ الطبعة
علم النص مدخل متعدد الاختصاصات	فان دايك	الألمانية	2003
القضايا الأساسية في علم اللغة	كلاوس هيشن	الألمانية	2003
مدخل إلى علم لغة النص	فولفانج هاينة مان ديتر فيهفنجر	الألمانية	2003
مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص	ريسيسلاف وأوزنياك	ألمانية	2003
التحليل اللغوي للنص	كلاوس برينكر	ألمانية	2005
علم لغة النص، نحو آفاق جديدة(مقالات مختارة)	مجموعة مؤلفين	ألمانية	2008
أساسيات علم لغة النص، مداخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه	كلايمر وآخرين	ألمانية	/
لسانيات النص مدخل تأسيسي	ادميستين كريستين	ألمانية	2009
تفسير النص أسس نظرية لغوية لعلم الدلالة التفسيري	ديدريتش يوسه	ألمانية	/

نظرية النص وموضوع النحو	هورست ايزنبرج	ألمانية	
فهم النص، أسس معرفية واتصالية للاستيعاب اللغوي	هانز شترونر	ألمانية	
أسس علم لغة النص، التفاعل–النص–الخطاب	هاينة مان	ألمانية	2011

ورغم الجهود التي بذلها أمثال **سعيد حسن البحيري** في إثراء المكتبة العربية بالكتب المترجمة في هذا الميدان، إلا أن المؤلفات المترجمة ما تزال غير كافية أقل من ثلاثين كتابا، وعاجزة عن إيفاء النظرية حقها من التوضيح، فما تزال بجوانب عديدة منها مظلمة. كما أن الكثير من أعلام هذه النظرية لا تزال أعمالهم غير مترجمة ويكفي ذكر **جون مشال آدام** مثالا على ذلك. "وبشكل عام يمكن وصف نشاط الترجمة عند اللسانيين العرب بالضعف باستثناء ما قام به اللسانيون المحترفون، مثل **حمزة المزيني** و **محمد فتيح** ؛ فأولهما لساني متميز في نقل الخطاب اللساني، ولاسيما التحويلي إلى العربية بلغة علمية واعية على الثقافتين العربية والغربية باتزان وانفتاح، وثانيهما أنطق كتاب المعرفة اللغوية لتشومسكي بلغة عربية علمية، محاورة لنقاط الافتراق والاتفاق بين المشروعين اللغويين اللساني الغربي واللساني العربي"[1].

هذا ويذهب الباحث إلى أبعد من ذلك عندما يطرح سؤالا يعتبره جوهريا: لماذا يتجاوز بعض المتميزين التأليف اللساني إلى الترجمة اللسانية؟. هل الثقافة العربية بعد نصف قرن ثقافة رافضة لتداول اللسانيات بين الباحثين العرب؟. أم أن الباحثين العرب لم يستطيعوا اللحاق بسرعة التغيرات اللسانية في العالم، فاختاروا الترجمة لمسايرة التطور الهائل في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية؟[2].

[1] حسن خميس الملح: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص244.

[2] المرجع نفسه، ص244.

ومما زاد الطين بله عجز العرب عن توحيد الصفوف والجهود، لتحقيق أعمال جماعية تسهم في تطوير اللسانيات العربية مثلما يحدث عند الغرب؛ إذ أكثر الأعمال تتم في شكل فرق بحث متكاتفة الجهود، وقلما تجد باحثا واحدا ينفرد ببحثه يبدوا أن مرجع ضياع الجهود اللسانية على حد ما يعود إلى أنها كانت جهودا فردية من أفراد محدودين معدودين، ولم تكن جهودا جماعية لفرق علمية أو مؤسسات بحثية، مع ما شاب هذه الجهود من عدم التنسيق بين اللسانيين مؤسساتهم التي يعملون فيها، فلم تتبنى أي مؤسسة مشروعا لسانيا على المستوى العربي له حدوده الدنيا من المواصفات العلمية للمشروع اللساني، مما يخلق تعثرا وبطأً في مسيرة التطوير والترجمة، ومن نتائج عدم التنسيق هذا أن نجد كتاب **(مدخل إلى علم لغة النص)**[1] يترجم مرتين: مرة من قبل**(د.فالح العجمي1999)** ومرة أخرى من قبل**(سعيد حسن البحيري 2004)**، وما كان مثل هذا الجهد ليهدر لو توافر التنسيق في العمل والتوجه إلى المشاريع الجماعية .

4.2.1.**إشكالية المصطلح وأساب التشتت المصطلحي:** الاصطلاح في المعاجم العربية لا يجاوز مفهوم المصالحة والاتفاق والتعارف والتواضع، وإن إطلالة على استعمال هذه الصيغة "اصطلاحا" على نحو ما أورده صاحب التعريفات؛ الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما أو لبيان المراد، وقيل هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل هو معنى معين بين قوم معينين[2]. فالدلالة اللغوية والاصطلاحية متقاربتان بل تحيلان إلى معنى واحد، بينما تصطنع اللغات الأوروبية كلمات متقاربة لمفهوم الاصطلاح ترجع كلها إلى الأصل اللاتيني terminus الذي يعني الحد أو النهاية، والمشتق من "إله الحدود" أو إله حدود الحقول

[1] فولفانج هاينة مان، وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص115.

[2] الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 2004م، ص27.

عند الرومان، لتدل على "وحدة معجمية موظفة ضمن إحدى الوظائف التركيبية الأساسية، ومزودة بمعنى محدد.

وقد صارت قضية المصطلح علما له مفرداته الخاصة، وحقلا من أحدث حقول اللسانيات التطبيقية، إذ يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها. إلا أنه يتاخم علوما أخرى كعلوم اللغة والمنطق وعلم الوجود والمعرفة، وعلم الدلالة والمعاجم، وعلم التأثيل أو التأصيل، وعلم التصنيف. وأصبح بذلك يعالج تكوين التصورات وتسميتها في أي حقل من حقول المعرفة كانت، فأطلق عليه الدكتور يوسف وغليسي: " علم العلوم"[1]، لأنه صار من العبث الخوض في علم من العلوم دون استعمال مفرداته الاصطلاحية، لأنها تضطلع بجملة من الوظائف في هذا الحقل المعرفي المنوطة به، ومنها الوظيفة اللسانية، الوظيفة المعرفية، الوظيفة التواصلية، الوظيفة الاقتصادية والوظيفة الحضارية. لذلك ورد عن المسدي في قاموس اللسانيات: إن المصطلح لغة العولمة، وهذه العلوم جسور تمتد بين الأقوام وحضارتهم، والمصطلحات العلمية سفراء الألسنة بعضها إلى بعض.

وامتداد هذه الجسور إنما يكون عن طريق "هجرة المصطلح" سواء في اللغة الواحدة بين حقل معرفي وآخر، أو من لغة إلى لغة أخرى، ومن بيئة لغوية إلى بيئة لغوية أخرى بكامل شروطهما على اختلافها فيما يعرف بالترجمة.

علم المصطلح علم يختص "بدراسة طبيعة المفاهيم وخصائصها ومكوناتها وعلاقتها الممكنة، واختصارها والعلامات والرموز الدالة عليها، وتوحيد المفاهيم والمصطلحات الدولية وتدوينها، ووضع معاجمها ومراحلها الفكرية من حيث تتابعها

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص28.

وتوسيعها"[1]، التي ترى أنه تفرع من اللسانيات التطبيقية. ويتخذ علم المصطلح الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها موضوعا له، "فهو يركز اهتمامه على تحديد المفاهيم بشكل واضح ودقيق، ثم يجد لهذه المفاهيم مصطلحات لغوية تختص بها"[2]. لذلك فهو يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها، وهنا تكمن أهمية هذا العلم "إذ به يتم تحديد الموضوع العلمي في مجال مخصوص، وبالمصطلح تبنى النظريات وتقام المناهج"[3]. ومن الباحثين من يرى أن "لا إدراك للعلم دون مصطلحاته؛ فهي التي تقيم للعلم سوره الجامع، وحصنه المانع"[4]، ولذلك وجب أن يمثل المصطلح "وحدة لسانية تستخدم لتسمية ولتعيين المفاهيم الخاصة"[5]،"باعتباره اختصارا لمجموعة من التصورات التي يحملها المفهوم، ليكون المصطلح مجرد رمز لغوي لمفهوم ذهني.

أما عن أهم الأسباب التي أدت إلى التشتت المصطلحي فنذكر ما يلي:

أ- تعدد الخلفيات والمنطلقات: بحيث يمكن مراقبة تيارين فكريين ينطلقان من منطلقين فكريين متناقضين، الأول ينطلق من التراث العربي ويدعو إلى اعتباره مخزنا مصطلحيا، يمكن للباحثين استغلاله في لصناعة معجم لساني نصي حديث. ذلك أن التراث العربي قد فطن إلى بعض المصطلحات النصية في خضم مناقشته للدراسات النقدية والبلاغية والأصولية..، لا سيما في ميداني النقد البلاغة اللذين يضمان الأفكار

---

[1] بشير ابرير: علم المصطلح وأثره في بناء المعرفة ، وممارسة البحث في اللغة والأدب، مجلة التواصل،ع25، باجي مختار، عنابة ، مارس 2010م، ص8.

[2] سمية ابرير: مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص19.

[4] عبد السلام المسدي: صياغة المصطلح وأسسها النظرية" تأسيس القضية الاصطلاحية"، بيت الحكمة، تونس،1989م، ص27.

[5] سمية ابرير: مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص19.

الجوهرية التي عنيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، ومن ثم توجد جوانب اتفاق بينهما إلى حد يصعب معه إغفال الأثر.

أما التيار الثاني فيضع قطيعة بين الدراسات اللسانية الحداثية والمعاصرة ونظيرتها التراثية، لاختلاف المنطلقات والمنهجيات والبيئات الحاضنة. فاللسانيات النصية علم نشأ وتكون ونضج في وعاء فكري غربي، ووصلنا حين وصلنا محملا بعوالقه الحضارية والفكرية، مما يستوجب دراسة للبيئة والمحيط قبل الولوج في تعين التخصص وتحديد الترجمات. وذلك يستبعد اعتماد أي مصطلح تراثي قادم من بيئة مختلفة تماما، بل وعصر غير العصر دون تبيئة وتجديد، ومن أتباع هذا التيار الفهري، اسماعيل العلوي، ومصطفى غلفان.

ب-تعدد خلفيات علم النص: لم يتكون علم النص في أحضان أم واحدة تتبناه وتحدد له سمات شخصيته؛ إذ تعددت المدارس اللسانية التي تبنت هذا العلم وشغلت به بين مدرسة انجليزية والمانية وفرنسية، وقد كان لهذا الأمر أثره في تعدد المصطلحات وتضاربها، نظرا لتأثيره على المترجمين والدارسين العرب الذين تعددت المدارس التي تشربوا منها أسس هذا العلم، فأضحى كل واحد من التصدين لهذا العلم يغرف من منطلقاته الدراسية وخلفياته التي تراكمت عبر سني دراسته، فتبنى انتقاءات مصطلحية تتوافق والمدرسة التي تأثر بها، والمنهج الفكري الذي أسس لدراساته.

ت-غياب الترجمة المتخصصة: والمترجمين المتخصصين الذين ينظرون إلى المعنى والسياقات التي احتضنت المصطلح، فلا يفصل المصطلح عن دلالته التي اكتسبها واختص بها في ميدانه التخصصي. لا بد من التأكيد على أن هناك فرق بين من يترجم الحرف معتمدا على الخلفية المعجمية، مما يشوه الترجمة ويضع قطيعة بين المصطلح وبواعث تكونه وتشكله، وبين المترجم المتخصص الذي يسعى إلى احتواء المصطلح وهو محمل بدلالاته وملابسات تشكله وخلفياته.

ث-تداخل لسانيات النص مع تخصصات أخرى: فهو علم حديث النشأة متخلق من أمشاج متداخلة ومتباينة الأصول، "إنه ينتمي لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف، ونتيجة لذلك فإنه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية؛ أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل جدا على الرغم من الجهود المضنية التي بذلها أعلامه، لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الاخرى"[1]. ولعل هذا من الأسباب البارزة في تعدد تسمياته، وكذا في تداخل مصطلحاته مع تخصصات أخرى أهمها تحليل الخطاب.

ج-تغييب العمل الجماعي: المتأمل في الأعمال اللسانية النصية الصادرة في سنوات، تشكل الوعي اللساني النصي العربي. يلاحظ أن أغلبها هو نتيجة لجهود فردية، بالرغم من توافر أسباب التوحد والاجتماع مع ما توفره الوسائط والوسائل الحديثة من أسباب التقاء الأفكار وتبادلها بسرعة هائلة، لتبقى الفردية سمة غالبة.

فماذا لو تعدد المصطلح وعجز الباحثون في ميدان معين عن توحيد مصطلحاتهم؟ لابد أن يثير ذلك اضطرابا كبيرا في فهم واستقرار العلم، وأن أكثر ما يثير هذا الاضطراب انتقال المصطلح من لغة إلى أخرى، ذلك أن المصطلح يرد مشحونا بحضارة أمته وبيئته التي وجد بها، يولد حين يولد حاملا لبصمات وتجارب أهل بيئته اللغوية مع العالم الخارجي، وقد تلقاها الباحث العربي محملة بكل شحناتها ومتعلقاتها الحضارية والتاريخية، فتعددت القراءات وتنوعت وغدت من أهم المشكلات التي يواجهها الباحث اللساني العربي حين تعددت أمامه مصادر الترجمة. فكلمة " linguistique" مثلا ترجمت إلى أكثر من 24 مصطلحا منها: اللسانيات، علم اللغة العام، الألسنية..، ومثل هذا لا يتسبب فقط في تعدد المصطلحات الدالة على مفهوم واحد فقط ولكن تسبب في تداخل المفاهيم. ومن مظاهر هذا التشتت المصطلحي ما

[1] سعيد البحيري، علم لغة النص، ص115.

نلاحظه في عتبة علم النص، إذ لم يتفق المهتمون بهذا العلم في حول مسمى واحد له، تعددت المسميات التي تشير إلى الحقل المعرفي الجديد الذي يعتبر فرعا من فروع علم اللغة، يجعل من النص مجالا لدراسته متجاوزا بذلك حدود الجملة التي كانت تمثل أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل، من أبرز تلك العناوين التي تسم هذا الميدان "لسانيات النص، لسانيات الخطاب، الدراسات النصية، نحو النص، نحو النصوص، علم لغة النص، علم اللغة النصي، نظرية علم النص، علم النص، نحو أجرومية النص وغير ذلك؛ وهكذا تاه الباحثون بين هذه المصطلحات التي يصطدم بها الباحث بمجرد ولوجه لبوابة هذا العلم، ولعله من نافلة القول الإشارة إلى ما يحدثه هذا التعدد المصطلحي من فوضى واضطراب في ميدان البحث العلمي.

والمتأمل لهذه العناوين يجد أن أغلبها يتكون من مصطلحين، أحداهما يشير إلى الحقل العلمي الذي استلت منه(اللسانيات)، أو ما يرادفها باعتبار أن مصطلح اللسانيات لم يسلم هو الآخر من التعدد المصطلحي، إذ توقف الباحثون عند ما يزيد عن 23 مصطلحا يعبر عن هذا الميدان، والثاني يشير إلى مجال الدراسة وهو النص الذي يعد العامل المستجد في البحث اللساني، بعد أن انفتحت الدراسات على فضائه، متجاوزة حدود الجملة التي قيدتها لقرون من الزمن.

يستبدل مصطلح لسانيات بمصطلحات أخرى أهمها:

نظرية: نظرية النص
نحو: نحو النص
أجرومية: أجرومية النص
علم: علم النص
تحليل: تحليل النص

أما بالنسبة لمصطلح النص فيلاحظ تعويضه بمصطلحات تتقاطع معه في الدلالة أو المفهوم أهمها "الخطاب"، فقد تردد عنوان لسانيات الخطاب وتحليل الخطاب عند كثير من الدارسين، فيما انحصر استعمال لسانيات التلفظ عند فئة أقل.

أما عن العناوين ثلاثية المصطلح فنذكر: علم اللغة النصي، نظرية علم النص، وهما الأكثر تداولا إذا ما قورنت مثلا بنحو أجرومية النص.

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هذه الاستعمالات ترادفيه؟ أم هي تخضع لمقياس انتقائي علمي، يجعل الباحث اللساني يختار واحدة من هذه المسميات دونا عن غيرها؟

يستعمل كثير من الدارسين حرف العطف **[أو]** الذي يفيد التسوية والتخيير في عناوينه، مما يشير إلى إيمانهم الضمني بالترادف بين تلك المصطلحات. نقرأ مثلا عند د. عبد الرحمن بودراع قوله" لقد اقتضى تحول الأنساق المعرفية وتطورها وحركيتها الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص"[1]، وورد في نفس السياق قوله" ولم يكن بوسعهم الوقوف عليها بنحو النص أو لسانيات النص" [2]. ومثل هذا السياق نجده عند **د. بشير ابرير** إذ يقول: "يُعد علم النص أو لسانياتُ النص فرعًا جديدًا في علوم اللسان"[3].

الرد على القائلين بالترادف: في هذا الصدد يذهب بعض الباحثين إلى رفض فكرة الترادف بين هذه المصطلحات، جازمين بضرورة وجود فروق بينها. من بينهم نذكر: الخطابي الّذي يرى أن تسميات نحو النص و لسانيات النص وعلم النص وما

[1] عبد الرحمن بودراع: في لسانيات النص وتحلي الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقران الكريم، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] بشير ابرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، التواصل،ع14، جوان 2005م، ص59.

يشبهها من نحو الخطاب ولسانيات الخطاب، ليست مترادفة أو شبه مترادفة، وإنما هي محيلة على التحولات التي شهدتها المباحث المختلفة التي عنيت بالنص و أسئلته[1].

وهنا لا بد من الاشارة إلى فكرة جوهرية وحتمية محايثة للعلوم؛ هي تحول الأنساق المعرفية، هذا التحول الذي يؤدي إلى خلق وشائج علمية جديدة، بحسب ما تستدعيه فكرتا الاستمرار والقطيعة؛ فيتوسع العلم لدرجة تستدعي تفرعات وانقسامات لتتشكل خرائط علمية ترسم مسار العلوم منذ بداياتها إلى تفرعاتها، وذلك ما يحتم على الباحثين العودة إلى هذه الخرائط العلمية، قبل الجزم بانتماءات المباحث والحقول العلمية أو القول بالترادف بينها.

ولا بد من "لفت الانتباه إلى خطورة استعمال المصطلحات الدالة على المباحث كانت أم الاجراءات المنهجية التحليلية، أم الوصفية دون العناية بأمرين جوهريين: المسار التاريخي الذي تقطعه المباحث، والقطائع التي تتأسس من خلال ذلك المسير"[2]، وفيما يلي محاولة للتمييز بين هذه الفروع:

أ- **التمييز بين لسانيات النص وعلم لغة النص:** لمعرفة الفرق بين المصطلحين لا بد من العودة إلى مدخلات ومخرجات كل منهما، فلسانيات النص تفرعت عن اللسانيات العامة وتولدت من رحمها، "وارتبطت بالإشكالات بل التصورات المتبلورة في اللسانيات، وإن اختلفت وحدة الوصف والتفسير بين جملة خطاب أو نص"[3]. ففي الوقت الذي شُغلت فيه اللسانيات العامة باللغة لفظا وجملة، توسعت انشغالات لسانيات النص لتشمل وحدة دلالية أكبر هي النص، وبلورت أفكارها المستوحاة من مخرجات اللسانيات العامة لتتأقلم مع متطلبات لسانيات النص، "بمعنى أن لسانيات النص تبحث

---

[1] ينظر: محمد الخطابي: لسانيات النص وتحليل الخطأ ، محاولة تساؤل دقيق، مجلة علامات، ع41، 2010 م، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص92.

[3] المرجع نفسه، ص82.

عن الآليات التي اللغوية والدلالية التي تسهم في بناء النص وتأويله. أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب"[1]، في حين أن علم النص يعد ملتقى أو مصبا لجملة من العلوم الانسانية التي تنطلق من فكرة جوهرية واحدة هي النص، وهذا ما يمنحه صفة الشمولية والكلية ويكفي هنا أن نذكر بعنوان بارز في علم النص هو: "علم النص مدخل متعدد الاختصاصات"، لنأخذ فكرة ولو وجيزة عن تعدد مدخلات هذا العلم. يقول البحيري مؤكدا هذا الفكرة "ويتسم هذا العلم أيضا بتشعبه إلى حد كبير؛ إذ لا نجد إلا قدرًا ضئيلا من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوراته ومناهجه، فقد استوعب حدا لا يستهان به من المفاهيم، نظرًا لكثرة منابعه واتساع مشارب الباحثين فيه"[2]؛ فهو بذلك خلاصة لتفاعل جملة من العلوم شكلت جميعها مدخلات له، لترتسم بذلك صورة لعلم "يشكل خلاصة مبلورة لأهم ما قدمته اللسانيات وفروعها؛ علم الجمال اللغوي، علم اللغة الأدبي، علم النفس اللغوي، من مبادئ وإنجازات مورست لدراسة الظاهرة الأدبية وخاصة ما أفرزته شعريتا جاكبسون و تودروف، التي نجدها خلاصة لما أسسته كريستسفا في كتابها علم النص، حيث ربطته بمبادئ تواصلية سميائية فمنحته طابع الكلية والشمولية"[3]. نفس الفكرة يؤكدها د. **نعمان بوقرة** إذ يقول: "كما تميز هذا العلم على صعيد المنهجية العلمية بانفتاحه على جملة من المعرف، كعلم النفس والاجتماع السميائية، الأسلوبية، الذكاء الاصطناعي، نظرية المعلومات، العلوم اللسانية والأدبية بعامة، مما يجعلنا نقف مدهوشين أمام ضخامة الإرث المعرفي والاصطلاحي، الذي يعتمد في قراءة النصوص وتوصيف بنيتها ووظائفها"[4]. يبدو أن

---

[1] جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص 1.

[2] سعيد حسن البحيري: علم لغة النص، ص116.

[3] نعيمة سعدية: تلقي لسانيات النص في الدرس اللساني العربي المعاصر المصطلح والاتجاهات، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ع 19 ، جوان 2016م، ص136.

[4] نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1،2012م، ص26.

آفاق البحث اللساني تجاوزت الخطوط والحدود التي رسمت لها أول منشئها نظرا لتداخل تخصصات المهتمين بها وتوسعها، لتشمل ميادين بحثية لم تكن لتدخل ضمن اهتمامات اللسانيات العامة أو حتى لسانيات النص التي انبثقت عنها، ويتضح هذا الأمر أكثر إذا أخذنا بعين الاعتبار توسع مدلول النص ليشمل ما هو أكبر من مجرد النص اللغوي المكتوب أو الشفوي، أو إذا احتسبنا العلوم التي استفادت من مخرجات علم النص.

ب- التمييز بين لسانيات النص ونحو النص: إن نحو النص "اتجاهٌ لغويٌ غربيٌ يعنى بوصف البنية الكلية للنص وتحليلها، من دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو العادي، مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابعات اللغوية والنصية التي تحقق تماسك النص وتناسقه"[1]، فاهتماماته إذن تتجاوز حدود الجملة، وتلتقي مع المصطلحات الأخرى التي نتدارسها في بحثنا هذا في اهتمامها بالنص، "فهو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة"[2]. والواضح من هذه التعريفات أن الهدف من نحو النص هو فهم تجليات الترابطات النصية، أو الميكانزمات التي تضمن ترابط النصوص داخل الجملة الواحدة، وبين الجمل المكونة للنص بكليته وشموليته باعتباره" العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها. ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه"[3]. إن جل اهتمامات نحو النص تتمحور حول الجانب النحوي، وهو ما يُؤكد اختلاف نحو النص عن لسانيات

[1] سعيد البحيري:علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص52.

[2] نادية رمضان النجار: عناصر السبك بين القدماء و المحدثين، مجلة كلية دار العلوم،2005م ، ص10.

[3] نادية رمضان: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق نماذج من السنة النبوية، القاهرة، 2004م، ص5.

النص؛ باعتبار أن نحو النص جزءٌ من لسانيات النص ولا يمكن اعتماد الترادف بين المصطلحين مادام أحدهما محتوًا في الآخر، "فنحو النص هو البحث في قضايا الربط والحذف والاحالة ..، وغير ذلك من الأدوار النحوية، بينما اللسانيات النصية هي البحث في قضايا الربط (جميعها) والدلالة والمعجم والسياق؛ أي دراسة النص من جميع النواحي، فتتعدى الجانب النحوي إلى ما هو دلالي بلاغي تداولي، وتساهم في تشكله لا دراسة بنيته النحوية فحسب"[1].

ت- التمييز بين لسانيات النص وتحليل الخطاب: "إن الخلط بين لسانيات النص وتحليل الخطاب عن طريق استعمالهما كمصطلحين مترادفين، ما يزل واقعا في بعض المؤلفات الغربية والعربية على حد سواء"[2]، فنظرةٌ سريعةٌ للدراسات اللسانية تكشف عن استعمال ترادفي للمصطلحين، مع أن "التمايز بينهما أصبح واضحًا في الفترة الأخيرة ، ولأجل ذلك فإننا لا بد أن نبتعد عن المصطلحات التي توقعنا في الخلط المنهجي بين الفرع والأصل"[3]، باعتبار أن لسانيات النص أضحت جزءًا من تحليل الخطاب؛ إذ أن "أي اهتمام بمضامين النص الإجمالية في ضوء اتصالية النص يعد منضويًا في تحليل الخطاب، ولا شك أن لسانيات النص تصبح بهذا التحديد جزءًا لا يمكن الاستغناء عنه في تحليل الخطاب الذي يضيف على النص فروعًا علمية متنوعة ومتداخلة، ليستطيع القيام بتحليل الخطاب"[4]. لتكون النتيجة بذلك أن لسانيات النص هي الأصل الذي تفرع منه تحليل الخطاب، "ونستطيع أن نمثل ما حدث بين تحليل الخطاب ولسانيات النص بالتهام الفرع للأصل. فبعد أن انبثق تحليل الخطاب من

---

[1] نعيمة سعدية: تلقي لسانيات النص في الدرس اللساني العربي المعاصر المصطلح والاتجاهات، ص152.

[2] جمعان بن عبد الكريم: من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي، مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1 ،2016م، ص114.

[3] المرجع نفسه، ص113.

[4] المرجع نفسه، ص114.

لسانيات النص، عاد ليحتوي لسانيات النص التقليدية ويستعملها من بين أدواته في تحلي الخطاب كأداة رئيسة في ذلك التحليل، وبعد أن بدأت نظريات تحليل الخطاب تتشكل انفصل عنها ففرع خاص، هو تحليل الخطاب النقدي الذي يمثل في نظرنا جزءا من تحليل الخطاب"[1]. فمع كون تحليل الخطاب نشأ من صلب اللسانيات النصية، إلا أنه استطاع أن يتوسع ويستقل بذاته لتتحول لسانيات النص إلى أداة من أدواته، ومرحلة لبلوغ آفاق تحليل الخطاب، ويمكن الفصل بين مهام تحليل الخطاب ولسانيات النص على النحو التالي[2]:

اهتمامات لسانيات النص	اهتمامات تحليل الخطاب
1.تدريس تراكيب ما فوق الجملة	1.يدرس المضامين الاجمالية للنص
2.تدرس قواعد النص	2.يدرس آليات الخطاب
3.تدرس الروابط بين الجمل	3.يدرس أثر تراكبي ما فوق الجملة في الخطاب
4.تدرس تماسك النصوص.	4.يدرس الروابط من خلال علاقاتها بالخطاب
5.تدرس أنواع النصوص	5.يدرس أثر بنى النصوص الدلالية في لخطاب
6.تدرس بنى النصوص الدلالية	6.يدرس أثر نوع النص في الخطاب
7.تدرس أثر تداولية النص في تداوله	7.أثر تداولية النص في الخطاب.
8.تدرس أفعال الكلام في النص	8.يدرس علاقة فعل الكلام بالخطاب
9.تدرس السياق من أجل النص	9.يدرس السياق وعلاقته بالنص والخطاب
10.تدرس التناص من أجل التماسك الدلالي للنص	10.يدرس التناص من أجل مقاربة خطاب النص
11.يهتم بدراسة نص واحد أو مجموعة نصوص متشابهة في التركيب	11.يدرس علاقة جماليات النص بما في ذلك المجاز والاستعارة بالخطاب
12.يهتم بكيفية تشكل النصوص.	12.يدرس علاقة الحجاج بالخطاب
	13.يدرس علاقة الفهم والسياق بالخطاب

[1] المرجع السابق، ص114.

[2] المرجع نفسه، ص18.

	14.يدرس علاقة السيسيولوجيا بالخطاب 15. يدرس علاقة السياسة بالخطاب 16.يدرس البعد السميائي غير اللغوي وعلاقته بالنص والخطاب 17. يدرس مجموعة نصوص لانضوائها تحت خطاب واحد او تفاعلها مع خطاب واحد 18. يدرس أثر متلقي النص في الخطاب 19.يهتم بكيفية تشكل الخطابات من خلال النص 20.يهتم بقضايا المجتمع والعولمة والحضارة من خلال قراءة الخطاب

ولم يتوقف الأمر عند عتبة العلم بل جاوزها إلى مصطلحات عديدة مندرجة ضمن هذا الحقل العلمي، وفيما يلي نماذج لمصطلحات أجنبية تعددت مصطلحاتها المعربة[1]:

المصطلح	التعريب
Sémiologie	السميولوجيا، السميوطيقا، السميوتيكا، السميائية، السيمياء، علم السمياء، السميائيات، علم العلامات، العلاماتية، علم الدلالة، الدلائلية.
Code	شفرة، نظام الرموز، سُنن، سنن، وضع، مواضعة، اتفاق، كود..
Contexte	وضعية، موقف، حالة، مقام، سياق..
Destinateur	المرسل، الباث، المتكلم، المخاطب..

كما يمتد الاضطراب المصطلحي في الكتابات اللسانية النصية إلى أهم مصطلحين في البحث اللساني النصي: Cohesion و Cohérence، فقد تعددت

[1] سمية ابرير: مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص34.

تراجم هذين المصطلحين، هذا ولم يتحدد إلى الآن سبب مقنع علمي يجعل الباحث ينتقي مصطلحا دونا عن سواه، وفي ما يأتي جدول يوضح الاختلاف بين الباحثين العرب في ترجمة هذين المصطلحين[1]:

المصطلح	الترجمة المقترحة	المترجم
Cohesion	الاتساق	محمد خطابي، كورنيليا صكوحي
	الانسجام	محمد الأخضر الصبيحي
	التضام	إلهام أبو غزالة
	الالتئام	عبد القادر قنيني
	الترابط	عمر فايز عطاري
	السبك، أو الربط، أو التضام، الترابط النصي	أحمد عفيفي
	السبك	تمام حسان، جميل عبد المجيد
	التماسك الشكلي	صبحي الفقي
	الربط النحوي	د. سعيد البحيري
	الربط اللفظي	د. عزة شبل محمد
	الترابط	د.صلاح فضل/د خولة طالب الابراهيمي
Coherence	الانسجام	محمد خطابي، محمد مفتاح، الازهر الزناد، محمد يحياتن، عبد القادر الفاسي الفهري
	التقارن	إلهام أبو غزالة
	الاتساق	عبد القادر قنيني، محمد الأخضر الصبيحي
	التناسق	فالح بن شبيب العجمي
	الحبك	جميل عبد المجيد، حسام أحمد فرج، سعد مصلوح، د. أشرف عبد البديع

[1] ينظر: حافظ اسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية: لسانيات النص أنموذجا، ص76.

	الحبك، أو التماسك، أو الانسجام، أو الاتساق	أحمد عفيفي
	الالتحام، التعليق	تمام حسان
	التماسك الدلالي أو المعنوي	صبحي الفقي، سعيد حسن البحيري، عزة شبل
	الترابط النصي	د. جمعان بن عبد الكريم
	الترابط الفكري	أحمد مداس

ولم يتوقف الاضطراب عند حدود المصطلح، بل بلغت حد التيه في المفاهيم، فوجدنا مشكلة في ضبط عوامل الاتساق والانسجام وتحديد العلاقة الدقيقة التي تربط هذين المصطلحين، فهل الاتساق مواز للانسجام أم محتوى فيه أم أنه مكمل له؟ وهل مصطلح الترابط يجمعهما أم أنه يمثل مرادفا لأحدهما؟

وقد بلغ هذا الخلط مرتبة التناقض، فما يعتبره البعض اتساقا يراه الآخرون عاملا من عوامل الانسجام، فيما يعبر بعض الباحثين عن المصطلحين على أنهما مفهوم واحد هو الترابط.

الاطلاع على عمل الدكتور **الأخضر الصبيحي** الموسوم" مدخل إلى علم لغة النص" في سياق حديثه عن الاتساق والانسجام باعتبارهما أهم مقومات النصية، وقد حدد عواملا للاتساق في: معيار التدرج، معيار الاختتام، توفر النص على هوية وانتماء، فيما حدد معيار الانسجام في: الإحالة، التكرار، الاستبدال، الحذف.

وقد اعتمد **الصبيحي** في عمله على مراجع أهمها: مرجع البروفيسور دي بوجراند "النص الخطاب والإجراء "، وهو ذات المرجع الذي لا يخل منه مؤلف من مؤلفات اللسانيات النصية. أما من العرب فاعتمد على مرجع الدكتور **أحمد عفيفي**

"نحو النص"، مرجع **د.سعيد البحيري**" علم لغة النص"، و**د.خليل إبراهيم** "الأسلوبية ونظرية النص والخطابي. والغريب في الأمر أن أصحاب هذه النظريات أنفسهم يتبنون تقسيما غير الذي ذكر، فما يعتبره الصبيحي عامل اتساق هو عندهم عامل انسجام والعكس صحيح.

وها هو الخطابي الذي اعتمدت عليه كثير من الدراسات اللسانية النصية باعتباره من أوائل طرق هذا المجال من العرب، يحدد أدوات الاتساق في بحثه من الصفحة 16 إلى 24 على أنها الإحالة، الاستبدال، الحذف والوصل، وهي نفسها ما اعتبره الصبيحي أدوات انسجام.

أما عن الخلط في المفاهيم فيظهر جليا في إشكالية تعريف المفاهيم، كالنص الذي عرف تنوعا واختلافا كبيرا في تعريفه، ويظهر أيضا في عدم فصل مفاهيم متجاورة كالنص والخطاب مثلا بين لسانيات النص وما جاورها من علوم اللسان، علم اللغة النصي نحو النص وتحليل الخطاب مثلا .

5.2.1. أزمة الأهداف والمنطلقات :

في محاولة للمقارنة بين ما يدور في الساحة اللسانية العالمية وما تنتجه الأقلام اللسانية العربية، ينتهي **د.مصطفى غلفان** إلى نتيجة يقدم بها لكتابه الموسوم (اللسانيات العربية أسئلة المنهج) جاء فيها " نعتقد دون النيل من كفاءات الدارسين العرب العلمية أو الإساءة إليها، أن كما هائلا مما يكتب باللغة العربية وينشر في الكتب والمقالات والاستجوابات، بعيد في مضمونه كل البعد عن روح التحليل اللساني بمفهومه العلمي الدقيق"[1]. والمقصود بالبعد عن روح التحليل اللساني هو البعد عن الهدف الذي من أجله وُجدت الأبحاث اللسانية، مقاربة اللغة العربية لسانيا، وعلى تلك

[1] مصطفى غلفان: اللسانيات العربية أسئلة المنهج ، ص ب.

المقاربة بُنيت فرضية عامة[1] "مفادها أن قيام لسانيات عربية أو لسانيات العربية، مرهون في بنائه النظري والمنهجي بمدى قدرة الأبحاث اللسانية العربية على التعامل مع اللغة العربية تعاملا مباشرا"[2]، وإن ما يُغني اللغة العربية في الوقت الراهن يجب أن يكون لصيقا بها، مستوحا من أصولها ومنسجما في نفس الوقت مع ما تقدمه اللسانيات الحديثة .

إن الموضوع الرئيس للسانيات الذي لا يجب أن تحيد عنه هو اللسان في حد ذاته باعتباره وسيلة وغاية، والفكرة نفسها يكرسها شومسكي حين يكرس لفكره اللساني هدفا مركزيا هو القدرة اللغوية التي تتحول عند غيره إلى تواصلية. أما عند العرب فإن هذا التصور المركزي المحدد يتشتت عند أغلبهم، فترى الدراسات اللسانية العربية تدور حول المركز ولا تقف عنده إلا نادرا، فينصب اهتمامهم على أمور أخرى أكثرها شيوعا قراءة الفكر العربي القديم في ضوء ما هو لساني حديث، أو محاولة البحث عن العلاقات التي تربط الفكر اللساني العربي القديم من بعيد أو قريب بمعطيات النظريات اللسانية الحديثة. ومشكلة هذه التوجهات أنها" تغيب الواقع اللغوي الذي ينبغي الاهتمام به في الدرجة الأولى واللغة العربية كبنيات، هذا هو التحليل اللساني الحقيقي. وقد تعود الباحث اللساني العربي على نحو معياري كالذي وضعه علماء العربية القدماء، والذي ظل راسخا في عقول أكثر المحدثين، يتميز بكونه افتراضيا مقولبا، ذلك النحو الذي يحافظ على النسق اللغوي الذي ارتبطت صورته الأولى بالنص القرآني، في حين أن لسانيات النص تتفاعل مع النصوص كلها كيفما كان جنسها وكيفما كان غرضها، شريطة أن تستوفي مقوماتها النصية. لذلك إن محلل النص/الخطاب لا يرمي إلى "وضع قواعد صارمة وإنما إلى تتبع مظهر خطابي معين للوقوف على درجة تكراره من

[1] ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية دراسة تحليلية نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ، 1988م، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

أجل صياغة اطراده، بمعنى أن هدفه هو الوصول إلى إطرادات وليس إلى قواعد معيارية، باعتبار أن معطياته خاضعة للسياق الفيزيائي والاجتماعي وأغراض المتكلمين واستجابة المستمعين "[1].

وتنطلق أغلب التصورات التي تناصر السلطة النحوية التقليدية في الثقافة العربية من اعتبار أساسي، هو "أن كل انفتاح على الدرس اللساني حكم بالضياع على النحو العربي"[2]. متجاهلين واقع أن اللسانيات النصية "لا تطرح نفسها باعتبارها نظرية في الجملة تمتد إلى النص، ولكن باعتبارها (لسانيات متجاوزة)، تهتم إلى جانب لسانيات اللغة، بتناسق النصوص وانسجامها..، وهي غير مركزة حصرا على قواعد التتابع المتجاوزة للجملة، بنيوية صغرى صاعدة فقط (من أصغر الوحدات إلى أكبرها)، لكنها نظرية نازلة أيضا تصوغ فرضيات تتعلق بالبنى النصية الكبرى (بنى فوقية، مقطوعات، وأجناس خطاب)"[3]، على العكس تماما قد يستفيد النحو من لسانيات النص؛ لأن هذه الأخيرة لا تعتمد –كما في النحو– على الأمثلة المجردة، فهي تدرس اللغة في الاستعمال، وتحاول الوقوف عند كل الوسائل التي من شأنها الإسهام في صياغة الشكل والمعنى النصيين.

في حين تعتمد مجموعة أخرى من الرافضين للسانيات النصية مقاربة مختلفة، ففي الوقت الذي تُرفض فيه اللسانيات النصية بحجة أنها تريد أن تكون بديلا للسانيات الجملة. يرى آخرون أن لا فرق بين المقاربتين اللسانية والنصية فينتقدونها " موضوعا وعلما ومنهجا وتخصصا، ولا يرون فرقا بينها وبين لسانيات الجملة في فهم الخطاب وتأويله وتفسيره، ومن ثم ليس هناك ما يميزها أو يخصصها عن لسانيات الجملة، ومن

---

[1] المرجع السابق، ص10.

[2] حافظ اسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 93.

[3] باتريك شارودو– دومنيك منغو: معجم تحليل الخطاب "دراسة في المصطلحات والتعريفات"، تر عبد القادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص ص 334 – 335.

القائلين بهذا الرأي الانتقادي الرافض آن ربول(Anne Ripaul)، جاك موشلير(Jacque Meuchler)، دان سبيلير(Dan Spiler)، ونلسونWinelson) "[1].

2.المنجز الساني النصي في الساحة اللسانية اللغوية العربية:

الادعاء بأن المشهد اللساني النصي العربي واضح ومحدد الملامح، ليس ممكنا في ظل اتساع رقعة العالم العربي، وغياب مجامع لغوية لسانية تمدنا بحصر أو خلاصة لتلك المشاهد العلمية، وذات التوجه يأخذ به الدكتور حافظ إسماعيل العلوي حين يقول:« قد يكون الاهتداء إلى حصيلة نهائية تقف على حصر كلي لما أنجز في مجال لسانيات النص، أو في مجالات أخرى أمرا صعبا إن لم نقل مستحيلا؛ نظرا لغياب آليات الرصد والمتابعة»[2]، مع ذلك يمكننا إعطاء صورة تقريبية في هذا الباب، و يمكن في ذلك الرجوع إلى بحث للدكتور حافظ إسماعيل العلوي، حصر فيه أهم ما أُلف في مجال اللسانيات خلال فترة تمتد لحوالي ربع قرن من الزمن، تنوعت بين بحوث كتب ودراسات ومقالات وأطروحات.

الأطـاروحات الجـــامعية

البـــاحث	عنوان الرســالة	السنـة
محمد خطابي	مظاهر انسجام الخطاب	1977
مصطفى صلاح قطب	دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات	1996
محمد بريك، محروس السيد يوسف	المعنى النحوي الدلالي وأثره في تفسير النص وبيان تماسكه، (دراسة نصية في المعلقات السبع)	2002

[1] جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص42.

[2] حافظ اسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية"، لسانيات النص أنموذجا"، ص11.

عبد المهدي الجراح	الخطاب أثره في نحو النص (تطبيق على المعلقات السبع)	2002
محمد اشرف عبد العال الشامي	معايير النصية (دراسة في نحو النص)	2003

أما عن الكتب فقد ذكر من بواكرها[1]

المؤلـف	عنوان الكتـــاب	السنـة
محمد مفتاح	تحليل الخطاب الشعري	1985
محمد مفتاح	دينامية النص: تنظير وانجاز	1987
مريم فرنسيس	في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)	1988
سعيد يقطين	انفتاح النص الروائي (النص والسياق)	1988
محمد مفتاح	دينامية النص (تنظير وإنجاز)	1990
محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب	1991
صلاح فضل	بلاغة الخطاب وعلم النص	1992
جميل عبد المجيد	بلاغة النص مدخل تنظيري ودراسة بلاغية	1992
الأزهر الزناد	نسيج النص، بحث فيما يكون الملفوظ به نصا	1993

[1] أورد د. جمعان عبد الكريم في كتابه من تحليل الخطاب الى تحليل الخطاب النقدي، مؤلفا يعده من بواكر التأليف اللساني النصي لصاحبه، نهاد رزق الله، دراسات منهجية في تحليل النصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984م، قد أورد فيه إشارة إلى عمل هاريس منتقدا إياه.

المقـــــــالات

الكـاتب	العنـــــــــوان	السنة
عبد الرحمن بودرع	نظرية تحليل النص من خلال الأصول اللسانية	1988
سعد مصلوح	من نحو الجملة إلى نحو النص	1990
سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية	1991
حاتم الصقر	الألسنية وتحليل النصوص الأدبية من وحدة الجملة إلى وحدة النص	1992
فالح العجمي	الربط الذرعي في النص العربي	1994
محمد فتوح أحمد	جدليات النص	1994
مازن الوعر	الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية	1994
آمنة بلعالي	نظرية النص عند جوليا كريستيفا	1994
محمد حماسة عبد اللطيف	منهج في التحليل النصي في القصيدة	1996
حاتم الصكر	التطور النظري للتحليل النصي	1997
محمد خير البقاعي	بعض مصطلحات نظرية النص	1997
محمد ساري	علم النص إشكالية التعريف	1998
سعيد البحيري	اتجاهات معاصرة في تحليل النص	2000
محمد مفتاح	بعض خصائص الخطاب	2000
نهلة أحمد	ماهو النص	2001
سعيد يقطين	من النص إلى النص المترابط، مفاهيم، أشكال، تجليات	2002

والمتأمل في هذه الأعمال يجد أن:

الجهود العربية – وإن كانت موجودة لا تنكر– إلا أنها تبقى غير كافية خاصة إذا قورنت مع ما تصدره الجامعات الغربية، وتوزعت جهود الباحثين العرب بين التنظير بالدرجة الأولى ثم التطبيق وأخيرا النقد على أن المطلع عليها يلمس غلبة التنظير، ولعل ذلك راجع إلى التركيز على نقل النظرية من منشئها، حتى غرق ذلك التنظير في التكرار أحيانا وفي التناقض أحايين أخرى، نظرا لندرة التواصل بين الباحثين مما غيب التنسيق بينهم.

كما يُسجل نقص فادح في الجانب النقدي[1] الذي يفترض أن يعيد تمحيص ما كتب في هذا المجال ويبين الغث من السمين فيه، فيما انصرفت جهود الباحثين إلى نقل النظرية ومحاولة تطبيقها على نماذج لغوية متعددة: شعرية، نثرية وقرآنية بالدرجة الأولى، وقد استأثر الشعر والقرآن بنصيب الأسد في هذه التطبيقات مذ المحاولات الأولى.

ويُلاحظ أيضا شبه غياب لتطبيقات النظرية في نماذج تخرج عن إطار الشعر والقرآن مثل النصوص الإشهارية، والسيناريوهات، أو لغة الصحافة..، ولم نصادف أثناء بحثا من خرج في تطبيقه عن ذلك إلا فيما ندر. ونذكر في هذا الإطار:« النصية في لغة الإعلام السياسي (صحيفة الشرق الأوسط أنموذجا) رسالة مقدمة لاستكمال تطبيقات درجة الماجستير قدمها» "سيروان أنور أبو مجيد" سنة 2010 م بجامعة صرح الدين بأربيل، وقد أشار الباحث في مقدمته إلى ندرة مثل هذه الأبحاث معتبرا أن هذه الرسالة هي الأولى في جامعات إقليم كردستان، تناولت معالجة اللغة الإعلامية على ضوء اللسانيات المعاصر.

[1] نذكر من الكتب النقدية التي ورد سردها في مقالة حافظ اسماعيل العلوي "عندما تسافر النظرية": جميل عبد المجيد، علم النص:أسسه المعرفية وتجلياته النقدية. وكتاب استقبال النظرية، مثل من نحو النص لصاحبه إبراهيم خليل.

2.1. الكتابة اللسانية النصية التمهيدية:

إن جاز لنا تخيل جسر يربط ضفتا حضارتين، تنتقل عبره الأفكار، فستمثل الكتابات التمهيدية صلبه ودعائمه؛ إذ وجدت اللسانيات العربية نفسها أمام ضرورة إقامة وضع جديد في البحث اللغوي العربي، ولما كان قيام مثل هذا الوضع مرتبطا بنقل اللسانيات الغربية من سياقاتها المعرفية إلى سياق معرفي آخر، هو السياق المعرفي اللساني العربي. فكان لزاما على اللسانيين العرب التشبع بأفكار هذا العلم المستحدث وفهم تشعباته، منطلقاته وأبعاده الفكرية عبر الاطلاع على حيثياته، ثم بعد ذلك محاولة تبليغ لكل مهتم في ميدان اللسانيات بصفته وافدا جديدا على الساحة الفكرية اللسانية. ولا يتم مثل ذلك إلا عبر ما نسميه الكتابات التمهيدية التي تعد أهم السبل المعتمدة في نقل العلوم وتبليغها إلى المهتمين خاصة المبتدئين منهم، «ويتشكل موضوع اللسانيات التمهيدية أو التبسيطية مما تقدمه النظريات اللسانية الحديثة من مبادئ ومناهج جديدة في دراسة اللغة البشرية بصفة عامة. وتعتمد هذه الكتابة المنهج التعليمي القائم على التوضيح والتبيان والشرح، وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة كالأمثلة والرسوم البيانية. وتروم هذه الكتابة تقديم اللسانيات ومفاهيمها النظرية والمنهجية بشكل مبسط قصد تيسير المعرفة اللسانية للقارئ العربي، سواء كان يلج عالم التخصص آو قارئا ينشد التسلح باللسانيات للاستفادة منها في مجالات فكرية أخرى »[1]، إن متلقي الكتابة اللسانية التمهيدية قارئ مبتدئ، غايته التعرف على مبادئ اللسانيات النصية باعتبارها علما جديدا، لذلك يجب على من يؤلف في هذا اللون من الكتابة أن يختار ما يراه مناسبا لجلب القارئ وإثارة انتباهه وإغرائه بعبارات محبوكة

[1] حافظ إسماعيل العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية لقضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2009م، ص 98.

توحي إلى التبسيط والتسهيل، وتروم الانتفاع لخلق نوع من التفاعل والانسجام بين النص والقارئ[1].

ويتضح من خلال هذا التعريف لـ «د.حافظ إسماعيل العلوي" للكتابة التمهيدية بأن أبرز خصائصها:

- ✓ الكتابة اللسانية التمهيدية مادتها النظريات اللسانية الحديثة: مبادئ، مناهج، أعلام، توجهات؛
- ✓ هدف الكتابة اللسانية التمهيدية هو تبسيط المفاهيم الجديد، وذلك باعتماد أسلوب بعيد عن التعقيد؛ رسومات بيانية، تشجيرات...
- ✓ يمثل الهدف التعليمي أحد أبرز أهداف الكتابة التمهيدية؛
- ✓ تتوجه الكتابة التمهيدية للمبتدئين بالدرجة الأولى؛
- ✓ تتسم الكتابة التمهيدية ببنية خطابية متكاملة علميا ومنهجي.

وعلى قدر ما تحمله هذه الكتابات من أهمية في تحمل مشقة نقل العلوم الحديثة والتعريف بها وضمان تقبلها قبولا حسنا في بيئتها الجديدة، فإنها كذلك تحمل خطورة الوقوع في المغالطات والزيف، الذي سيبقى ثابتا في عقول طلبة العلم والمبتدئين ممن يرتشفون هذا العلم من الكؤوس التي يحضرها المتخصصون في كتاباتهم التمهيدية، بما يحملونه من سلطة على القارئ يستمدونها من كونهم الوسيط الذي يتكفل بعملية نقل المادة العلمية، "وهذا ما يجعل الكتابة التمهيدية سلاحا ذا حدين، فهي كما تسهم في نشر المعرفة العلمية، بإمكانها أن تسهم في التقليص من التحصيل العلمي، في حالة ما إذا كانت مجانبة الحقائق العلمية لطبيعة العلوم»[2].

---

[1] المرجع السابق، ص 104.

[2] ياسين بوراس: البحث اللساني في الفكر العربي اللساني المعاصر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2015م، ص45.

لكن ما لا يمكن جحوده أو نكرانه، هو ما تحمله هذه الكتابات من قدرة على تبليغ العلوم الجديدة وإيصالها إلى كل طالب علم مبتدئ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها للتأسيس لعلم جديد والربط بين الثقافات، وضمان التواصل الفكري والعلمي بين الشعوب، ولولاها لغابت الجسور التي تضمن الانتقال السلس للعلوم بين الحضارات و بين الأجيال و العقول. إذ لم يكن ليتسنى لطالب علم حديث العهد بالبحث العلمي، أن يتمرس في فهم العلوم بلا يد تمد له لتبسط المفاهيم وتيسرها.

2.2. قراءة في عتبات الكتابة اللسانية النصية التمهيدية[1]:

تعتمد الكتابات التمهيدية منهجية محددة مستقاة من الأهداف المنوطة بها والتي تحتم عليها أن يكون كل مؤلف من المؤلفات اللسانية التمهيدية بنية خطابية متكاملة علميا ومنهجيا، بدءا بعنوان الكتاب، مرورا بالمقدمة وعناوين أقسامه وأبوابه وفصوله وصولا إلى الخاتمة"[2]. تمثل كل جزئية من الجزئيات المذكورة إشارات داخلية أو خارجية، تحمل وظائف دلالية تداولية تساعد على حسن تلقي الكتابة التمهيدية، وأي تشويش في واحد من هذه المستويات يعرقل التلقي.

ستحاول هذه الدراسة أن تقف على أهم الإشارات خاصة العناوين والمقدمات والخواتم، وذلك بعد محاولة للتمثيل لبعض المؤلفات اللسانية النصية التمهيدية في العالم العربي. وتكمن أهمية هذين المكونين في كونهما أول المؤشرات التي تتحاور مع

[1] منهجية اعتمدها حافظ إسماعيل العلوي في دراسة له (اللسانيات التمهيدية عند العرب) عمل فيها على تحليل الدراسات اللسانية التمهيدية العربية في العصر الحديث قلبا وقالبا شكلا ومضمونا، وقد استفاد هذا البحث من المنهجية التي اعتمدها الدكتور العلوي وطبقها في تحليل الكتابات التمهيدية اللسانية.

[2] حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص99.

المتلقي، فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول العلمي والمعرفي، وإليها توكل مهمة نجاح الكتاب في إثارة استجابة القارئ للإقبال عليه وتداوله، أو النفور منه واستهجانه[1].

العنـــــوان	المؤلــف	السنـة
لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب	محمد الخطابي	1991
من نحو الجملة إلى نحو النص	سعد مصلوح	1990
لسانيات الخطاب، مدخل إلى انسجام الخطاب	محمد الخطابي	1991
نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا	الأزهر الزناد	1993
الأسلوبية وتحليل الخطاب	نور الدين السد	1997
علم النص، المفاهيم والاتجاهات	سعيد حسن البحيري	1997
مدخل إلى علم لغة النص؛ تطبيقات لنظرية دي بوجراند	إلهام أبو غزالة وآخرون	1999
علم لغة النص بين النظرية والتطبيق	صبحي، إبراهيم الفقي	2000
نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي	أحمد عفيفي	2001
مدخل إلى علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات	سعيد البحيري سعيد البحيري	2005
مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه	محمد الأحضر الصبيحي	2008
محاضرات في لسانيات النص	جميل حمداوي	2015

[1] ينظر: المرجع السابق، ص100.

1.2.2. عناوين الكتب:

العنـــــوان واجهة الكتاب وأول ما يلفت النظر بعد شخصية مؤلفه؛ إذ لا يغيب على متمرس أثر الشخصيات الفكرية والعلمية في جذب الانتباه للمؤلف، فكلما زادت شهرته زاد ذلك في أهمية المؤلف. ثم نلتفت إلى العنوان الذي يمثل النافذة الأولى على الموضوع، ويعكس التصورات التي يحملها الباحث ويلخص أفكاره. فهو "بنية دالة من بنيات النص، وما هو في الواقع إلا بنية أولى لدخول عالم النص واقتحامه"[1]، وذلك بحكم موقعه الذي يجعله معلقا في سقف النص، "وتنبثق أهميته بشكل عام من كونه مكونا نصيا لا يقل أهمية عن المكونات النصية الأخرى، فالعنوان يشكل سلطة النص وواجهته الإعلامية، وهذه السلطة تمارس على المتلقي إكراها أدبيا، وهذا يعني أن العنوان "هو مرآة النسيج النصي، وهو الدافع للقراءة، وهو الشرك الذي نُصب لاقتناص المتلقي، ومن ثمة فإن الأهمية التي يحظى بها نابعة من اعتباره مفتاحا في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي"[2]. هذا المفتاح الذي يمكنه من فتح مغاليق النص واستكشاف مقاصده، "العنوان إذن هو الثريا التي تضيء فضاء النص، وتساعد على استكشاف أغواره، فيكون العنوان بذلك ضرورة كتابية تساعد على اقتحام عوالم النص"[3].

ثم إن المتلقي إنما يلج العمل من بوابة العنوان، الذي قد يتكون تركيبيا من كلمة أو كلمتين تشكل عنوانا رئيسا، أو قد يتفرع عن العنوان الرئيس عنوان فرعي. وعادة ما كان المؤلفون يبدعون في اختيار عناوين ملفتة تحمل إيقاعا موسيقيا يساعد على أن تبقى عالقة في الأذهان. كما يتم عادة التبئير على كلمة مفتاحية واحدة تمثل مركز

---

[1] علي آيتا وشان : السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، ص 142.

[2] عبد الرحمن طنكول: وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم، مجلة كلية الأدب، فاس، 1978 م، ص135، نقلا عن حافظ اسماعيل االعلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 105 .

[3] المرجع نفسه، ص105.

المؤلف وهدفه الأسمى الذي يرمي إليه، ومن أمثلة ذلك في الكتابات التمهيدية: مدخل، دروس، محاضرات، دراسات، مقدمة، توطئة..، وذلك باعتبار أن الكتابة اللسانية تستهدف التعريف بأساسيات الدراسة المقصودة وبمبادئها، ووصل القارئ العربي المبتدئ بهذا العلم فتجد التركيز على اللمحة التاريخية والتعاريف والمفاهيم، معتمدين منهجا وصفيا تاريخيا، يسوده الجمع والتصنيف أكثر من الإبداع والتأليف، وانتقاء هذه المفردات يُغري القارئ باعتبار السهولة والتبسيط، علما أن الغاية التعليمية هي الهدف الذي ترومه مثل هذه الدراسات.

- كما يتم التركيز على المجال: علم النص، النص، لسانيات النص، نظرية النص..، باعتبار هذه المصطلحات تمثل مجال الدراسة الجديدة التي تثير انتباه المتلقي.
- التركيز على قسم من أقسامه الهامة مثل: الترابط أو نحو النص، الانسجام، الاتساق..، ومثل هذه العناوين توحي بدرجة أعلى من الدقة والتخصص، لأنها تركز على جزئية محددة من البحث لا تتجاوزها تستفيض في تسليط الضوء عليها.
- والملاحظ تردد ذكر مصطلح "النقلة" باعتبارها مركزا للتجديد الذي طرأ على اللسانيات بانتقال مجال البحث من الجملة إلى النص، فتجد الباحث يبني منهجيته على المقارنة بين ما كان مسيطرا على اللسانيات باعتبار الجملة أكبر وحدة قابلة للدراسة، ثم التحول الطارئ على الدراسة اللسانية بالانتقال إلى وحدة أكبر، وتوسيع الدراسات من مجال الجملة إلى النص.

1.2.3. المقدمة:

العنصر الثاني المهم في الكشف عن البنية التمهيدية هو **المقدمة**، التي لا تتم بدونها منهجية الكتاب، وعادة ما تحمل شحنة من التشويق تحفزنا على الإقبال على فصول الكتاب، وعادة ما تكون تمهيدا يُحدد فيه مجال الدراسة بدقة وتبين أسباب اختيار الموضوع، الصعوبات التي تلقاها، ثم الخطة التي تبناها، والمنهج الذي اختاره،

والكتب التي استفاد منها في عمله، بل والمؤلفات التي سبقت إلى طرق موضوعه أو قاربته وغير ذلك. لكن يبقى "المتلقي هو الغائب الحاضر في كل عملية تأليف، ولذلك فكل قراءة أو كتابة يتوقف نجاحها على نجاح العلاقة التي تقيمها بين المؤلف والقارئ"[1]، والتي تبتغي إقناعه وكسب ثقته، غير أن الملاحظ أن كثيرا من المؤلفات لا تحدد الفئة المنشودة أو المعنية بالخطاب. فالكتاب الموجه إلى النخبة يختلف في بنائه ومنهجه ولغته عن ذلك الذي يوجه إلى القارئ المبتدئ، وغياب هذا التحديد يحدث تشويشا وتنفيرا من العلوم خاصة إذا توجه المبتدئ إلى مؤلف هو في الأصل للنخبة المتخصصة، مما يشعره بالارتباك والصعوبة.

والمقدمة في الكتابات التمهيدية تؤدي وظيفة **إغرائية** بالتركيز على الغاية التعليمية التبسيطية، ومن هذا المنطلق تؤكد مقدمات المؤلفات اللسانية على هذا الجانب فتكون بمثابة عقد يقتضي إقبال القارئ وتيسير الكاتب، مع الإشارة إلى قيمة البضاعة المعروضة، أهميتها ومكانتها سواء بالنظر إلى أهمية التخصص المطروق أو الإضافات التي أوردها الكاتب والتي أكسبت عمله تلك القيمة.

إن تحديد طبيعة القارئ المتلقي بالنسبة إلى الكتابة اللسانية التمهيدية «سواء من حيث نوعية ثقافته العامة أو من حيث مستواه المعرفي في مجال البحث اللغوي، يلعب دورا كبيرا في مدى تحقيق المهمة الملقاة على هذا الضرب من الكتابة أو المتمثلة في تيسير المعرفة وتقريبها من ذهن القار العربي، سواء كان قارئا عاديا أم له معرفة نسبية باللسانيات. فلكل كتاب كما نعرف جمهور معين من القراء، وبدون تحديد لطبيعة الجمهور القارئ من حيث مستواه و درجة وعيه لا نتصور أن عملية التأليف ستكون مجدية »[2]، وفيما يلي أمثلة نموذجية تبين ما أسلفنا:

---

[1] حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 101.

[2] رضوان القضماني: علم اللسان، ص 5 . نقلا عن حافظ العلوي اللسانيات التمهيدية.

النموذج الأول: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه "الاخضر الصبيحي":

ومما يندرج في إطار الدراسات النصية التمهيدية كتاب محمد الأخضر الصبيحي (مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه) الصادر في طبعته الأولى سنة 2008.

إن الكلمة المركزية في هذا العنوان هي "**مدخل**" التي تظهر بوضوح، تلك النزعة إلى السهولة والتوضيح في المفاهيم والتي تغري القارئ للاطلاع على مضامين الكتاب التي تحمل توقعات بالوضوح والتيسير، وكل ذلك بيني الوشائج بين النص والقارئ من ناحية وبينه وبين العلم المقصود من ناحية أخرى. حرف الجر "إلى" يفيد انتهاء الغاية واسم المجرور بعده هو ما يمثل الغاية المرجوة، فمن الواضح أن غاية الكتاب الإحاطة بعلم النص، وتمكين المطلعين من سبر أغواره. أما إضافة مجالات تطبيقه فتمثل الشق الثاني من الدراسة التي بينت المجالات التي يمكن من خلالها الاستفادة من هذا العلم لتبيان أهميته، وفي ذلك تحفيز أيضا على الإقبال عليه بإبراز الميادين التي يمكنه خدمتها، والمطلع على محتويات الكتاب لا يجدها تخرج عن ذلك الحيز.

لقد أفصح المؤلِّف منذ البداية عن أن الهدف الرئيس من هذا الكتاب (المدخل)، هو تقديم لسانيات النص إلى المتلقي العربي بشكل ميسر إذ نجده يقول: « يتمثل أحد أهم أهداف هذا البحث، في أنه يحاول أن يقدم هذا التوجه اللساني الجديد للقارئ العربي في شكل مُبسَّط»[1]. ويعد ذلك مثلما أكدنا من أبرز سمات الكتابة اللسانية من حيث تحديدها لنمط الكتابة (في شكل مبسط)، لكن تبقى الإشكالية عدم تحديد طبيعة القارئ، فاكتفاء المؤلف بصفة القارئ العربي لا تكفي لتحديد الفئة المستهدفة: طلبة علم مبتدئين، متخصصين، طلبة جامعيين مبتدئين أو باحثين في أقسام بعد التدرج، إنّ

[1] الصبيحي: مدخل إلى علم النص، ص11.

استهداف الفئة المستقطبة مهم في تحقيق الهدف المنشود من الدراسة يجعلها أكثر دقة أكثر تخصصا.

أما بالنسبة للمقدمة فقد استهلها المؤلف بتحديد الأرضية التي انطلق منها عمله وهي النص بالنظر إلى ما يحتله من أهمية مما يجعله "يحتل لصدارة الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة"[1]، مما يجعل منه محط اهتمام فروع معرفية متعددة:علم الاجتماع، علم النفس، علوم التربية. والمؤلف يسعى من وراء ذلك إلى إظهار أهمية الدراسة التي ينجزها من خلال إبراز أهمية مادة الدراسة وهي النص. ويستمر هذا المسعى التحفيزي الإغرائي للقارئ بكشفه عن منطلقات اللسانيات النصية، مؤكدا على أنها دراسة علمية، محددا جزئياتها وعناصر دراستها من اتساق وانسجام وعوامل ربط مختلفة، ثم الهدف المرجو من الدراسات النصية. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا لمؤلف كان المنطلق في إنجاز منهاج اللغة العربية للمرحلة الثانوية في مادة اللغة العربية وآدابها، بعد الإصلاح الذي استحدثته وزارة التربية الجزائرية.

أُتبعت المقدمة في مؤلف "محمد الأخضر الصبيحي" **بمدخل** وهو يُعد من الخصائص التوضيحية التبسيطية التي تضع القارئ في صورة البحث، بدءا بالنص وقضاياه العنوان الذي تناول فيه الباحث الأهمية الاجتماعية للنص التي تتأتى من كونه "أحد المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية؛ إذ لا يمكن تصور مجتمع منسجم متماسك دون نصوص تنظم مختلف مؤسساته وتضبط قوانين التعامل بين أفرادها بما يضمن لها الثبات والاستقرار"[2]. وإنما ما يزال المؤلف في عمليته التحفيزية القائمة على إظهار أهمية الموضوع، كما تظهر عملية التوضيح والتحليل والشرح والتي تمثل صلب الدراسة التمهيدية ويتجلى مثل ذلك في:

---

[1] المرجع السابق، ص ج.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

تحديد مفهوم كلمة النص لغة بالاستعانة بالقواميس العربية المشهورة: القاموس المحيط، لسان العرب..، ثم أتبع ذلك بالمفهوم الاصطلاحي لكلمة نص في الفكر العربي المعاصر باعتبار أن هذا المصطلح (النص) "وافدٌ علينا من الحضارة الغربية"[1]، وقد استوجب الأمر تتبع تعريف النص عند الغربيين بمختلف توجهاتهم.

هذا ولم تشذ فصول المؤلف عن تلك الغاية التبسيطية والتوضيحية الكاشفة عن مفهوم علم النص من مختلف الزوايا، فظهر البعد الكرونولوجي والبعد الآني للدراسة. أما الأول ففي تتبع النشأة والتعريف بأهم مراحل تكوينه، وكذلك إلى أهم الدراسات السابقة لظهور هذا العلم، فيتعرف الباحث على موقع البحث من الدراسات الأخرى، وأما الدراسة الآنية فتمحورت على التعريف، المباحث المتعلقة بعلم النص: مجالاته، أبرز رواده، أهم نظرياته.

ولم يخل البحث من الجانب التطبيقي الذي يحمل بدوره مكانة بارزة في الدراسات التمهيدية باعتباره أهم أداة توضيحية، فالأفكار النظرية يجليها التطبيق. من هذا المنطلق قام المؤلف بتتبع الدراسات التحليلية للنصوص التي قامت على أُسس علم النص كتلك التي قام بها "**إبراهيم خليل**" في تحليله لقصيدة السياب "أنشودة المطر".

كما يضم المؤلف صوته للأصوات الكثيرة الداعية إلى إفادة "النقد الأدبي من علم النص، لما يراه بعض النقاد من ضرورة إعادة قراءة الشعر العربي القديم على ضوء هذا العلم، وذلك من أجل تصحيح بعض المفاهيم وتعديل بعض الأحكام النقدية التي بنيت على نظرة معينة لبعض قضايا هذا الشعر"[2]. ويحدد الباحث من هذه المفاهيم التي تحتاج إلى إعادة نظر مفهوم الوحدة العضوية، "إذ يرى بعض النقاد أن أحد عيوب القصيدة الجاهلية افتقارها إلى الوحدة العضوية بسبب تعرض الشاعر فيها

[1] المرجع السابق، ص 13.

[2] محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ، ص ص135 – 136.

إلى أغراض مختلفة "[1]. ويستطيع علم النص أن يغير هذه النظرة بما يحمله من أدوات وعوامل تضمن ترابط أجزاء النص، كان أغلبها غائبا على أذهان المحللين القدماء للقصيد العربي.

والكتاب على ما يحمله من أهمية علمية وما ينتهجه من أسباب توضيحية تجعله من الكتب التمهيدية المناسبة لكل مهتم بعلم النص، إلا أننا نأخذ عليه بعض المآخذ، أهمها ما أورده في حديثه عن عنصري الاتساق والانسجام. فقد خصص المؤلِّف نصيبا من الدراسة للحديث عن معايير النص تحت عنوان (مباحث علم النص)، وهي –عنده– "الاتساق، الانسجام، المقصدية، المقبولية، السياق، التناص"[(2)]، ونلاحظ غياب المعيار السابع وهو الإعلامية. ثم اكتفى بشرح خمسة منها، فلم يتحدث عن المقبولية، ولم نجد الباحث يعلل سبب اكتفائه بتلك المعايير المذكورة علما أن المعايير سبعة كما ذكرها "بوغراند".

أما أخطر ما في الكتاب على المبتدئين لما يسببه من خلط في المفاهيم، فهو أن الكاتب يسمي الانسجام اتساقا والاتساق انسجاما إذ يقول: « يعني اتساق النص ترابطه وتناسقه على المستوى المضموني والدلالي، أما انسجامه فهو يعني تماسكه والتحامه على المستوى الشكلي عن طريق الروابط اللغوية المختلفة »[3]، وبعبارة أخرى إنه يجعل الاتساق مقابلا عربيا للمصطلح الإنجليزي (cohérence)، والانسجام مقابلا عربيا لـ (cohésion)، خلافا لأغلب الباحثين العرب الذين ربما يختلفون في إطلاق تسميات أخرى على المصطلحين[4]، لكنهم لم يعكسوا الأمر تماما كما صنع "الصبيحي"، بل إنه يخالف حتى الكتاب الذين جعل من مؤلفاتهم مراجع له مثل أحمد

[1] المرجع السابق، ص 136.

[2] المرجع نفسه، ص81.

[3] المرجع نفسه، ص 82.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص88.

عفيفي وسعيد حسن البحيري. ولا يغيب على الأذهان ما تحمله هكذا تغييرات من تشويش على الأذهان وتنفير من العلم. وهذا ما حدث فعلا بالنسبة لممارسي التعليم ومفتشي التربية في مادة اللغة العربية، الذين وجدوا أنفسهم في حيرة أمام منهاج اللغة العربية للمرحلة الثانوية الذي استمد أفكاره من كتاب "الصبيحي"، الذي يخالف كل المؤلفات الأخرى التي اطلع عليها الأساتذة والمفتشون في تحديده لمصطلحين مهمين في تحليل النصوص المدرسية وهما: الاتساق والانسجام.

النموذج الثاني: محاضرات في اللسانيات النصية؛ "د. جميل حمداوي"، صدرت طبعته الأولى سنة 2015.

بالنسبة للعنوان: الكلمة التبئيرية "محاضرات" التي تستقطب الطلبة بشكل كبير، لأنها تختزل عليهم جهد البحث والتلخيص وتقودهم مباشرة إلى الهدف المنشود، وهو الاطلاع على أساسيات المقياس. وعادة ما ترد بأسلوب مباشر سلس بسيط ومنهجية علمية منظمة مرتبة تتماشى ونسق المحاضرات في المقياس المذكور، وكثيرا ما تكون نسخة مكتوبة من محاضرات المحاضر، وهذا ما يحدده المؤلف في مقدمة كتابه "فقد اتبعنا في كتابنا هذا منهجية تحليلية وتاريخية استقرائية تجمع بين النظرية والتطبيق، وتجمع بين ما هو أصيل في التراث العربي الإسلامي وما هو حداثي معاصر في الثقافة الغربية، بغية تقديم كتاب يعرف الطلبة والباحثين والمدرسين بنظرية تاريخية والنظرية والتطبيقية والمفاهيمية بأسلوب تعليمي واضح وبسيط"[1].

وبذلك تحددت الفئة المنشودة بالطلبة والباحثين والمدرسين، أما إضافة المدرسين فلأنهم سيجدون في الكتاب نموذجا للمحاضرات منظما مرتبا يمكنهم الاستعانة به في تدريسهم لهذا المقياس.

[1] جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص، ص4.

استهلت المقدمة بإظهار الجوانب التي تضمنها الكتاب، "يتناول هذا الكتاب لسانيات النص بالدرس والتاريخ والتحليل والمناقشة والاستقراء"[1]. ثم يصنف لسانيات النص باعتبارها فرعا من فروع اللسانيات العامة التي يفترض أن طلبة العلم قد أخذوا فكرة مستوفاة عنها، ثم يعقد مقارنة بسيطة بين الجنسين: لسانيات النص واللسانيات العامة باعتبار أن اللسانيات العامة مجالها دراسة الجملة دراسة علمية، في حين أن لسانيات النص تتجاوز هذا الحد إلى وحدة أوسع هي النص أو الخطاب.

يحدد الباحث جملة من الأسئلة التي غالبا ما تؤرق المهتمين والباحثين المبتدئين في هذا المجال البحثي: "ما النص؟ ما الخطاب؟ وما مفهوم لسانيات النص؟ وما أهدافه؟ وما نشأته التاريخية؟ وما أهم الكتابات في هذا المجال؟ وما أهم القضايا التي تتناول لسانيات النص؟ وما أهم منظوراتها واتجاهاتها؟"[2].

وكلها تؤدي وظيفة إغرائية في الكتابات التمهيدية، إذ تجذب انتباه القارئ وتحفزه على الاطلاع على مضامين الكتاب التي قد تذهب عطشا فكريا يعاني منه. ويستمر الباحث في تفعيل الوظيفة الإغرائية للمقدمة بإظهار أهمية الموضوع "على أساس أن اللسانيات النصية أو الخطابية لها أدوار مهمة على الصعيد المعرفي والبيداغوجي والديداكتيكي واللساني والأدبي، لأنها تعرفنا بمختلف الطرائق والآليات التي يبنى بها النص ويشيد مهما كانت طبيعته الخطابية، وتسعفنا أيضا في التمييز بين النصوص وتنميطها وتجنيسها وتصنيفها،..."[3].

يستمر الباحث في منهجيته التعليمية المبسطة بمحاولة ضبط المفاهيم الرئيسة في فصله الأول، بدءا بتعريف النص تعريفا لغويا بالاعتماد على المعاجم اللغوية

[1] المرجع السابق ص 3

[2] المرجع نفسه، ص4.

[3] المرجع نفسه، ص4.

العربية المشهورة لينتهي إلى أن للنص دلالات ومعان عدة منها: "الظهور، الارتفاع، والبروز، ضم العناصر إلى بعضها البعض، الإدراك والغاية والمنتهى، والاستقصاء في الشيء حتى إدراكه وفهمه واستيعابه"[1]، ثم انتقل إلى تتبع معاني النص في الثقافة الغربية.

لم يعتمد الباحث في مقاربته على توضيح المفاهيم بالتعريفات فقط، بل توقف عند تحديد الفروق وبناء المقارنات كما في مبحثيه الثاني والثالث من فصله الأول، حين ميز بين النص والخطاب ولسانيات الجملة ولسانيات النص، وهما من الإشكاليات الكبيرة التي لا بد أن يصطدم بها الدارسون المتدرجون في هذا العلم.

من المشاهد التعليمية أيضا في الكتاب تتبع النشأة والتطور للعلم المقصود، وقد أفرد الباحث لذلك المبحث الأول من الفصل الثاني تحت عنوان: "نشأة لسانيات النص وأهم مقارباتها "، وجعل الباحث لكل مقاربة مطلبا ومر بالمقاربات التالية:

✓المقاربة المعجمية، اللسانية التركيبية، الفلسفية، التلفظية، التداولية، الحجاجية، النحوية السميوطيقية اللسانية الاجتماعية، المنطقية، الحاسوبية، ولم يغفل الباحث عن المقاربة الرافضة للسانيات النص، ليستمر الباحث في رصده لأساسيات هذا العلم: أبحاثه، أهدافه، منهجيته، وقضاياه المميزة.

لا ننكر ما لهذا المؤلف من فضل في تبليغ هذا العلم وتذليل صعوباته للمبتدئين بما تحراه من خصائص مميزة للكتابة التمهيدية، بدءا بالعنوان المنتقى مرورا بالمقدمة وصولا لمضامين الكتاب التي تحمل غاية تعليمية تسعى إلى تقديمها عبر حشد لمعلومات وموضوعات يقدر الباحث أنها أساسية في العلم المقصود بالدراسة، بدءا بالتعارف والنشأة وإقامة المقارنات بعيدا عن التعقيدات والاختلافات المنفرة. غير أن

[1] المرجع السابق، ص ص 5 – 6.

بعض الباحثين قد يبالغون في اختصارهم، مثلما لاحظنا في مؤلف **جميل الحمداوي** نظرا لإمعانه في التيسير الذي حال دون الاستفاضة وإيفاء العلم حقه.

وأكثر ما نخشاه أن يتحول العلم إلى وجبات خفيفة وسريعة تتماشى مع العصر، فتتحول من الاختصار إلى الإسفاف. غير أن هذا لا يعني التقليل من القيمة التعليمية والثقافية لهذا اللون من الكتابات، بل إن من شأن الكتابة التمهيدية الدقيقة والجادة أن تخلق وعيا لسانيا جديدا في الثقافة العربية، وهذا يعني ضرورة إقامة نوع من التوازن بين المستوى الفكري العام للقارئ العربي، والمستوى العلمي الذي بلغته اللسانيات[1].

يمكن أن نشير إجمالا إلى أهم المآخذ التي يتخبط بعض المؤلفين في اللسانيات النصية التمهيدية، علما أنها تنطلق رأسا من إشكاليات اللسانيات بشكل عام واللسانيات النصية بشكل خاص:

- الارتباك في تحديد مجال البحث، في ظل التدخلات المعرفية والتخصصاتية في هذا العلم مع علوم أخرى؛
- الكتابات اللسانية النصية بشكل عام تبقى قليلة "وضعيفة قياسا على ما يكتب وينشر في ثقافات أخرى؛
- ضعف مواكبة التطور اللساني النصي الحاصل في الدول الغربية في ظل تراجع الترجمة كما أو كيفا، "فصاحب الخطاب لا يأبه بتحديد الإطار الذي يندرج فيه خطابه نظريا، ووصفيا، ومنهجيا"[2] مما يعكس عدم مسايرة اللغوي

[1] ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 130.

[2] تقدم اللسانيات العربية اللسانيات في الأقطار العربية، وقائع ندوة جهوية "مداخلة د.ع.الفاسي الفهري: اللسانيات العربية نماذج للحصيلة، نماذج للأفاق، ص12.

العربي لما يجد من نظريات بخاصة الآراء الجديدة، مما يجعل من الكتابة النصية التمهيدية مجرد مشاهد متكررة؛

- تعدد المدارس اللسانية النصية وتنوع توجهاتها، حال دون التمييز بين خصائص درس أو منهج كل مدرسة، مما يزيد في صعوبة تحديد مجال البحث اللساني: حدوده وأدواته؛

- ما زالت الكتابة النصية التمهيدية قائمة على ما كانت عليه (تعريف للنص، النشأة والتطور) منذ أزيد من نصف قرن، لم يلحظ عليها أي تطور أو توسع أو إضافة تذكر. كما أن أغلبها يعاني من اختصار مُخل في تقديم المعلومة؛ "إذ تركز خطاب هذه الفئة على التعريف بأهم المبادئ اللسانية من خلال بسط معلومات تاريخية من نشأة الإطار المدرسي الذي ترعرعت فيه كاشفة عن جوانب مهمة من حياة وسير أعلام اللسانيات، ليكون هذا التمهيد مدخلا موضحا للعلم بالنسبة إلى القارئ العربي"[1].

- الاسترسال في السرد وندرة الوسائل التوضيحية من خرائط مفاهيمية مشجرات جداول.

- الاعتماد على لغة الترجمة الصعبة والمربكة للمتعلم المبتدئ، ففي الوقت الذي كان من المفروض أن تساعد الترجمة في نقل المعونة اللسانية الحديثة بنقل النصوص الأساسية إلى اللغة العربية، نجد أن هذه الأعمال غير كافية لا كما ولا نوعا ولا تزال تعاني من إشكالية توحيد المصطلح الذي يفترض تقديمه للمتلقي مما يصيبه بتشتت، إذ أن "اضطراب المصطلح وتعدد الألفاظ الدالة على المعنى الواحد وعدم التقيد بمبادئ وضوابط مطردة في وضع الألفاظ الفنية والخلط بين المصطلح القديم والمصطلح الحديث باللغة العربية، ويجعلنا لا نعبر بدقة عن المفاهيم المستحدثة الجديدة، فهذا هو الوضع المصطلحي الغالب"[2].

---

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص15.

خلاصة الفصل:

يقودنا واقع تفريغ النظرية النصية على النصوص اللغوية العربية إلى جملة من الاستنتاجات يلخصها المخطط التالي:

أ- مسح لمدخلات النظرية:

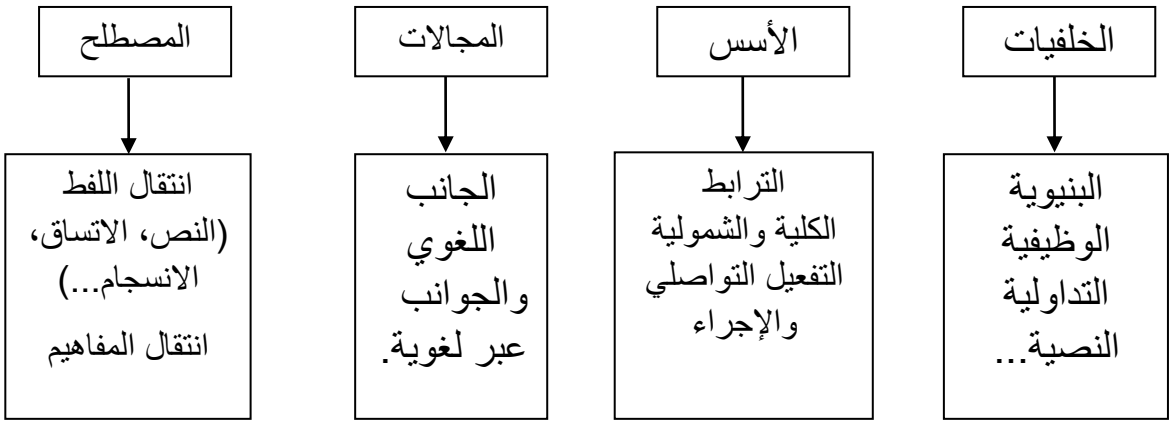

ب- مخرجات النظرية بعد تفريغها :

- **الخلفيات:** تعدد الخلفيات خلق خلطا في توظيف النظرية منسوبة لمدرستها بين الخلفية البنيوية والدلالية، والتواصلية والإدراكية...
- **الأسس:** تقوم النظرية النصية على جملة من المرتكزات التي تتأسس عليها، كتجاوزها لحدود الجملة، وترتكز على كلية وشمولية النص ووحدته التي تبنى عليها نصيته.

ترتبط أجزاء النص وتضمن استمراريته بآليات الاتساق والانسجام.

الاعتراف بالأسس المذكورة موجود، لكن مع ظهور بعض العجز في تطبيقها بكليتها، ورفض بعضها لعدم تجاوبه مع الفكر العربي، وإضافة خصائص متجانسة مع العربية (تراثية) وكذا التعلق بالنحو العربي التقليدي.

تؤكد النظرية النصية على ضرورة النظر إلى النص أثناء تفاعله الواقعي الفعلي، وتجنب النصوص المصنوعة حسب الطلب، نظرا لأهمية البعد عن الشواهد المتكلفة أثناء المعالجة والحاجة إلى شواهد مقنعة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة، وتلك الشواهد أوفر في الجملة الواحدة بل في نص متكامل أنتج في موقف ما[1].

- **المصطلح:** يلاحظ تشويش وفوضى في انتقال المصطلح، لأسباب متعددة، أهمها تعدد الترجمات وقلة التنسيق في الجهود.

لا يمكن الجزم أن حدود مصطلحات مثل: الاتساق والانسجام واضحة المعالم، إذ نجد أن إشكالية الترجمة تُطل بظلالها على الدراسات العربية، مما جعل الباحثين العرب يتعثرون في تحديد حدود واضحة لها.

- **المجال:** التعلق بالنصوص الأدبية، نثرية وشعرية، والنص المقدس، أكثر من النصوص الواقعية، أو عبر اللغوية.

تؤمن الدراسات النصية العربية باتساع مجال النص، وقد انتقل التخبط في تعريفه وحد حدوده من منبته إلى مستنبته مع انتقال النظرية بكليتها، وبقدر ما اتسع مجال التخبط تقلص مجال التطبيق.

[1] ينظر: حليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2009م، ص87.

الفصل الثالث

تطبيقات لسانيات النص

على النصوص اللغوية العربية

المبحث الأول: تطبيقات لسانيات النص على النص القرآني

المبحث الثاني: التكافل بين لسانيات النص والتعليم

المبحث الثالث: تطبيقات لسانيات النص على النص الشعري

المبحث الأول: تطبيقات لسانيات النص على النص القرآني

إن استنبات لسانيات النص واحتضانها في الوسط العربي يتطلب استيعابا لتقنياتها، وإدراكا لأدواتها ثم قدرة على تطبيق نتائجها على النص العربي، وإلا فما الجدوى من دراسات نظرية لا أثر ملموس لها على الواقع التطبيقي. لذلك فقد تنوعت المحاولات التطبيقية على نصوص نثرية وشعرية قديمة وحديثة، أما النص المقدس فقد أثيرت حوله إشكالية إمكانية إخضاع النص المقدس لأدوات تحليلية وجدت لتحليل النص العادي.

تناولت الدراسات النص القرآني بالتفسير والتأويل، كدراسات علماء علوم القرآن ممن كان لهم نصيبٌ في مقاربة النص القرآني، وذلك بتوظيف كثير من العلوم والآليات والأدوات على النص الكريم من جوانب متعددة، في محاولة لاستكشاف قيمته الدلالية وجوانبه الجمالية وعلاقاته الكلية.

فكان هذا العلم مؤهلا في – نظر الكثير من الباحثين المحدثين– لأن يكون أقرب إلى النهج الذي سلكته لسانيات النص وتحليل الخطاب. وهذا ما تجده عند **د.مصطفى أحمد عبد العلي**، إذ يرى أن "المتأمل لدراسات أصول الفقه والبلاغة والدراسات القرآنية، يجد أنَّ أبحاثهم عميقةٌ جداً سبقت اللسانيات النصِّية بقرون متعددة، وذلك عن طريق ما قدَّمه علم أصول الفقه من قوانين دلالية تحاول رصد النصِّ برؤية شاملة، من خلال علاقات وآليات غايتها ربط أجزاء النصِّ للوصول إلى المقصد الأقرب للنص الذي يختفي وراء وسائل التماسك النصِّي التي تنبَّهوا إليها"[1].

بل إن من اللغويين من يؤكد على أن التواصل مع النص القرآني وتحليله، لم يكن ليتم إلا بطرح آليات تحليلية جديدة تتواءم وخصوصية الخطاب القرآني، والتي تلتقي بشكل كبير مع منطلقات النظرية النصية الحديثة، "لقد كانت مقاربات القرآن تنطلق من المؤسسات ذاتها

[1] مصطفى احمد عيد العلي: العلاقات النصية في لقرأن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين، جامعة القاهرة كلية دار العلوم، ص2.

التي شكلت جوهر نظرية الخطاب، أضف إلى ذلك أنهم لم يتوقفوا إزاء الطرح اللساني وحده رغم انشغالهم البالغ به، ولكنهم – متجاوزين طرح هاريس–اعتنوا عناية بالغة بتنزيل الخطاب القرآني في سياقه الثقافي والاجتماعي، فالنص اللغوي في هذا المنظار أداة لممارسة الفعل على المتلقي كي يستجيب لمنظومة من الأوامر والنواهي"[1].

والجدير بالذكر أن نخبة من الباحثين ترفض هذا الطرح وترجع مثل هذه الأحكام إلى غموض واختلاف في التصورات عند كثير من الباحثين، خاصة في نظرتهم لمصطلحات ومفاهيم النصية، لأنها أخذت مفاهيم تقليدية تخضع لمعيارية الضبط الأفقي للغة، رغم أن النصية اللسانية منها أو غير اللسانية لا تحوي صفة هذه المفاهيم، ولا محتوياتها التصورية أو المعرفية.

1.إشكالية تحليل النص القرآني:

هل يمكن تشريح النص القرآني الكامل المكتمل بمنهج إنساني يعتريه من النقص والاختلاف ما يعتريه؟. ثم ما الهدف من إخضاع النص القرآني لمنهج لغوي حداثي وغربي؟.

وهنا يعلن المعترضون على إخضاع النص القرآني لمناهج لغوية عن سببين مانعين: الأول غياب هدف معين محدد وواضح لهذا النوع من الدراسات، والثاني راجع إلى مشاكل داخل المنهج اللغوي النصي في حد ذاته.

فإذا كان الهدف من تطبيق هذه المناهج هو إثبات إعجاز القرآن الكريم، فإن هذا عبث في ظل ثبوت هذا الإعجاز لغويا وبلاغيا، ثبوتا تاريخيا من قبل أتباع الدين الحنيف وخصومه.

[1] محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب في علوم القرآن، مكتبة الآداب القاهرة، ط1 ،2009م، ص18.

والمشكلة الثانية التي تعتري تطبيق هذا المنهج في نظر المعترضين عليه قائمة في المنهج النصي ذاته الذي يعاني من فوضى الفصل في الحدود، لاعتماده على أنظمة متشابكة تجعل منه علما متعدد التخصصات، « فترى الباحث في نص أدبي أو سورة من القرآن ينقلب إلى باحث في التاريخ وعلم الاجتماع، ويحشو بحثه بكل ما تيسر من مصطلحات الفنين، ونسي دوره الأول والرئيس كمتخصص في اللغة وفنونها، ولما كان من المحال في أيامنا هذه أن يلم الباحث بكل هذه العلوم ، فقد ظهرت مصطلحات تنم عن جهل واضح بالمصطلحات وحشو كبير بها في الوقت نفسه »[1]. ولا يرى المعرضون لهذا المنهج فيه إلا عاملا على إغراق اللغة العربية حديثة العهد بهذه النظريات بأمواج متلاطمة من المصطلحات المترجمة، مما يجعلها تعرقل كل باحث مستجد وتسم بحوثهم بالافتقار إلى الدقة، فتعصف بها رياح الغموض والتعقيد.

كما أنهم يلاحظون من خلال الدراسات والمقالات المنشورة أن تطيق معايير هذه النظرية، أو قسم منها على آيات القرآن الكريم قد جاءت بنتائج لغوية كثيرة من شأنها أن تثقل تفسير ومعنى النص بتفاصيل لغوية فحسب ، وتسهم في تشتيت المعاني العظيمة التي جاء بها كتاب الله عز وجلّ بين ثنايا معاييره النصية السبعة، وهي في معظمها تخرج بنتائج بديهية كان يشار إلى أن النص في هذه السورة منتظم متماسك[2].

زد على ذلك أن إغراق الدراسات القرآنية بالدرس اللغوي لأهداف لغوية بحتة «يغطي على المعاني العظيمة المرادة في النص، فتجعل النص القرآني نصا لغويا فحسب، وهذا ليس هو المراد في القرآن"[3]. لذلك فإن إخضاع القرآن الكريم للتشريح اللغوي يجب أن يكون وسيلة لغاية أكبر، هي خدمة كتاب الله تعالى وتقريب مفاهيمه الشريفة.

---

[1] د إياد عبد الله، د.عبد الرحمن عبيد حسين، د.عصام الدين بن أحمد : فوضى المصطلحات في نظرية علم النص من الحد إلى المخرجات، مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية ، مج 1 ،ع 3، 2015م، ص136.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص134.

[3] المرجع نفسه، ص143.

وقد وقف البحث على عمل لمجموعة من الباحثين موسوم بـ: «فوضى المصطلحات في نظرية علم النص من الحد إلى المخرجات"، تتناول فيه أصحابه الفوضى التي يتسم بها علم النص عند العرب، ممثلين بمصطلحات أهمها مصطلحي الاتساق والانسجام اللذان عرفا تعددا في الترجمة، كما عمد البحث إلى تناول عيَنة من البحوث أغلبها رسائل ماجستير[1] لتقييم المخرجات العلمية لنظرية علم النص، وذلك للبرهنة على ما يزعمون أنه "التضارب في استخدام المصطلحات والتهافت على استخلاص نتائج مبهمة وعقيمة "[2].

وبعد استعراض نماذج من كل بحث ، انتُقدت هذه البحوث على تقصيرها في بلوغ مقاصد القرآن الكريم والاكتفاء باستخراج قرائن التماسك فيه.

الأصل أن مثل هذه النتائج لا تُقاس على عينة ضيقة من البحوث، خاصة إذا كانت في مجملها رسائل ماجستير تعد في أغلبها نماذج لمبتدئين في خطى البحث. فليس من الموضوعية الجزم بأن كل البحوث التي تبنت المنهج النصي، لم تنتبه إلى قيمة المخرجات العلمية للنظرية في إبراز جماليات النص القرآني.

2.ملامح النصية في الدراسات التراثية:

وفي الوقت الذي تتعالى فيه بعض الأصوات الرافضة للتشريح اللغوي للقرآن الكريم، نقف على دراسات أخرى لا تكتفي بتطبيق الدراسات اللغوية النصية على النص القرآني، لكنها تؤكد على أن للعرب الأسبقية التاريخية في الإشارة إلى مرتكزات رئيسية في علم النص، خاصة الإشارة إلى كلية النص وتجاوز حدود الجملة، والوقوف على آليات التماسك. فنقرأ في واحد من بواكر الأعمال التطبيقية لعلم النص على القرآن الكريم لصبحي إبراهيم الفقي: "لم يكن نحو النص بالنسبة للفكر العربي اللساني جديدا، وذلك أن

[1] نذكر مثلا: الاتساق والانسجام في سورة الكهف ،محمود بوستة، ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة،2008. القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق، سورة الأنعام أنموذجا سلمان بوراس، مخطوط رسالة ماجستير 2009م.

[2] المرجع نفسه، ص 139.

التراث العربي زاخر بالدراسات التي تدور كلها حول القرآن الكريم "[1]. ويضيف "يوسف حسن البكار" على ذلك «السبق في معالجة الوحدة العضوية للنص، فقد أثيرت قضية الوحدة عند قدمائنا»[2] . وكل ذلك مكن علماء اللغة العرب الأولين من مقاربة النص القرآني مقاربة نصية، فقد "كانت الفرصة مهيأة أمام علماء القرآن لأن يتجلى المنهج على أيديهم بيانا ساطعا وخطى محددة أكثر من غيرها، وأن يتسع أمامهم البحث ليتجاوز حدود الجملة إلى الخطاب، فقد وجدو أنفسهم آمنوا أولا باتساقه وانسجامه"[3].

ويرى أصحاب هذا التوجه أن في الدراسات اللغوية العربية القديمة محاولات نصيَّة متميزة، عن طريق اعتمادها على دراسة الآية إطاراً للتحليل، متجاوزة دراسة الجملة إلى البحث في وسائل تماسك النصّ الكلي، وعن طريق رصدهم العلاقات التماسكية بين سور القرآن الكريم وآياته، ودراستهم للمناسبة بين الآيات والسور، وربط آي القرآن بعضها ببعض، فهذه كلها دراسات نصية تفوق – إذا لم نكن منحازين – الدراسات النصية في اللسانيات الحديثة، فمن الدراسات القرآنية التي ترقى إلى مستوى الدراسات النصِّية الحديثة على سبيل المثال كتاب (البرهان في علوم القرآن) لـ"الزركشي" (ت794هـ)، و(الإتقان في علوم القرآن) لـ"السيوطي" (ت911هـ)[4]. وما يؤكد هذا الأمر البحث الذي قدَّمه أحد الباحثين المحدثين وهو الدكتور "**أشرف عبد البديع**" في كتابه (الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم)، الذي أثبتت فيه أنَّ العلماءَ العرب قدَّموا نظرية نحوية نصِّية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني، وعلى نهجه سار الباحث الجزائري **بدر الدين بخولة** في أطروحته المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه "الإسهامات النصية في التراث العربي".

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ج1، ص35.

[2] يوسف حسن البكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ص 304.

[3] محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب في علم القرآن، ص19.

[4] ينظر: مصطفى أحمد عبد العليم: العلاقات النصية في القرآن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ص152.

وعلى الرغم من اعتراف بعض الباحثين بشيوع النظرة الجزئية في أكثر الدراسات القديمة التي دارت في إطار نحو الجملة، غير أنهم يصرون أن "لدى عدد كبير من مفسري القرآن الكريم نظرات صائبة وتحليلات دقيقة تدخل في إطار نحو النص. فقد تحدثوا عن المناسبة بين آيات القرآن وسوره، وخصصوا في ذلك كتبًا كما فعله البقاعي في (نظم الدرر)، و"السيوطي" في (تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور)، وتحدثوا عن تماسك القرآن آيات وسورًا، وصدروا في ذلك عن مبدأين مهمين: أحدهما أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، والثاني أن سياق القرآن كالسورة الواحدة" [1].

و يقوم دور المفسرين في المعالجة النصية أساسا على النظر إلى النص القرآني كاملا، إلى درجة أنهم رأوه كالكلمة الواحدة يأخذ بعضه ببعض، مؤكدين التماسك النصي بأنواعه: صوتي، صرفي، نحوي، معجمي، دلالي، وأكدوا على المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة وجمل النص الواحد ونصوص القرآن كله وهكذا..[2]، بل ويربطون بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باعتباره مكملا ومفسرا له، وكذا بينه بين أقوال الصحابة واجتهادات التابعين باعتبارها خطابا يفسر بعضه بعضا. إذ ينطلق علماء القرآن من اعتبار القرآن الكريم خطابا منسجما، وهذا يعني أنه متصل تتكشف الدلالة بين أجزائه بتحديد العلاقات المختلفة القائمة بينها، فكل جزء فيه مرتبط بآخر. وما إن ينكشف هذا الربط حتى تتضح الدلالة، وعلاقته بالحديث النبوي تفسيرية فالحديث الشريف –في هذا النظر– ليس نصا موازيا أو مستقلا، لكنه نص على النص الأول وترجع أهميته من الوجهة المعرفية الخالصة إلى صدوره عن المتلقي الأول(النبي محمد صلى الله عليه وسلم)[3].

[1] مصطفى أحمد عبد العليم: العلاقات النصية في القرآن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين؛ جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ص 2.

[2] ينظر: صيحي ابراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 50.

[3] ينظر: محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب في علم القرآن، ص26.

ويستشهدون على الدراسة النصية لنحاة العربية من خلال مؤلفاتهم التي كان النص القرآني محورا لها، والأساس الذي استندوا إليه في دراستهم وإصدار أحكامهم من ذلك كتب معاني القرآن وإعرابه نذكر مثلا: معاني القرآن للأخفش والفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وغير ذلك العشرات وصولا إلى إعراب القرآن للباقولي، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لـ"ابن هشام الأنصاري".

ويؤكدون أن مثل هذه الأعمال يمكن أن نعدها أعمالا نصية، وإنْ لم تكن قريبة من مفهوم نحو النص المعروف حاليا، وذلك لاعتماد هذه المؤلفات وشبيهاتها على النص القرآني أساس التأليف والشرح والتبيين والتوضيح.

وقد بحث النحويون القدماء مفهوم (النصّ) وأقاموا نحوهم على أُسسٍ نصِّيةٍ معنويةٍ، فكان لهم فضلُ الاهتداء المبكر إلى مواطن الفصل والوصل وتعلّق الكلام واتصال أوله بآخره، ومواضع الوقف والابتداء، وابتداء الكلام وانقطاعه واستئنافه. وتميزوا بنظرتهم العميقة وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي والتماسك، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اعتمدوا على روابط خارجية غير لغوية وهي (السياق والمتكلم والمتلقي)، وهذا ما يثبت في نظر أصحاب هذا التوجه أن دراسة النحاة عند العري القدماء لم تكن دراسة شكلية بل دراسة عميقة.

1.2. نماذج عن دراسات نصية عربية للقدماء:

يؤكد المؤمنون بهذا التوجه أن ملامح النظرية النحوية النصِّية اتضحت بشكل جلي عند "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) في تحديده مفهوم النص باعتباره نظما، أنه ويعد واحدا من أبرز من دعوا إلى النظر إلى القرآن الكريم بكليته وفهمه بشموليته، وهذا ما جعله في تماس مع النظرية النصية الحديثة "فالدارس لدلائل الإعجاز في علم المعاني يقف على كثير من المفاهيم التي جاءت بها لسانيات النص ، فقد قعد لنظرية النظم والفرق بين المعنى

واللفظ"[1]، وقد أثبت "الجرجاني" « أن البلاغة تكون في النظم، وكان هدفه أن يبرهن على أن القرآن معجز بالنظم، وأن بلاغة الكلام لا تعود إلى ألفاظه، وإنما إلى ما بينهما من صلة وارتباط »[2]، "فيكون بذلك قد أرسى اللبنات الأساسية الأولى لمفاهيم نظرية لم تتجسد وتتبلور إلا في العصر الحديث، كالدور الذي تلعبه كل من التكرار والحذف والإضمار في تماسك البنية الكلية للنص، بحيث أصبحت هذه العناصر من صميم الدراسات النصية المعاصرة "[3]، وعلى نهجه سار الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الذي يؤكد فيه صاحبه على النظرة الشمولية للقرآن الكريم، من خلال إصراره على نمطه المتجانس البعيد عن الاضطراب والتفاوت.

إذا ابتعدنا قليلا عن "الجرجاني" لنصل إلى عهد "ابن هشام" (ت 761هـ) نجد أنَّه ببحوثه المعنوية العميقة أسهم في تأسيس نظرية نحوية نصِّية في النحوي العربي، وذلك في مؤلفه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) من خلال عنايته الكبيرة بوسائل الترابط النحوي في القرآن الكريم، التي وجدناها كلها في النحو النصِّي الحديث (كالفصل والوصل)، (العطف، البدل،...الخ) و(التكرار، والحذف، والمناسبة)، (فهو أوَّل من حدَّد أنظمة الربط في القرآن الكريم والجملة القرآنية، دارساً علاقاتها ومواضع الارتباط فيها).

ويخلص أتباع هذا التوجه إلى نتائج أهمها:

أ- اللغويون العرب من خلال بحوثهم العميقة للنصِّ القرآني ودراساتهم الواسعة في إعجاز القرآن الكريم، كانوا على دراية تامَّة بمسألة التماسك النصي الذي يتميز به النظم القرآني، إلَّا أن دراساتهم لم ترتق إلى إطار نظرية نحوية نصِّية.

[1] بن الدين بخولة: الإسهامات النصية في التراث العربي، مخطوطة أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات النصية، تخصص معجميات، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، 2016 م، ص120.

[2] أحمد مصلوح: الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1، 1973 م، ص 35.

[3] بدر الدين بخولة: الإسهامات النصية في التراث العربي، ص122.

ب- انكباب العرب اللغويين والبلاغيين والمفسرين والأصوليين على دراسة القرآن الكريم، واستنتاج الآليات النصية منه ومقاربته مقاربة نصية قبل حتى أن تظهر ملامح المقاربة النصية عند الغربيين، يجعل من الدراسات الحديثة التي تطبق المناهج الغربية اللسانية على القرآن الكريم مشروعة، إن لم تكن بحذافيرها فعلى الأقل بتعديلاتها . إن صلة لسانيات النص بالدراسات الحديثة لا تعني أنه ولد في كنفها حصرا، فهو أولا وقبل كل شيء علم الطبع والتذوق للعربية.

والحجة الثانية التي تسمح لنا بمقاربة النص القرآني مقاربة نصية هي إدراكنا لكون القرآن جاء مستخدما نفس أدوات اللغة ووسائلها المستعملة في التخاطب والتواصل، ولكنه ارتقى به ارتقاء لغويا ودلاليا وبلاغيا بحيث صار تحديا للعرب على الإتقان[1].

والمتأمل للبحوث النصية الحديثة التي كان القرآن الكريم قاعدة ومنطلقا لها يجد نماذج متعددة ومتنوعة، تجمعها أفكار متقاربة هي محاولة تطبيق المفاهيم النصية الرئيسة على آي القرآن الكريم، خاصة منها المعايير النصية الاتساق والانسجام والإعلامية والمقبولية..، أو إثر السياق أو البحث في كلية النص ودراسات أخرى تقرن بين الدراسات اللغوية العربية القديمة والدراسات الحديثة النصية..، ونذكر فيما يلي جملة من المؤلفات والأطروحات والبحوث التي انساقت في هذا السياق:

- علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، "صبحي إبراهيم الفقي"؛

- الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة (أطروحة دكتوراه)، "خلود إبراهيم"؛

- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم: دراسة نظرية "أ "د.بشرى حمدي البستاني"، "د.وسن عبد الغني المختار"؛

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 166.

- العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم "د.أحمد عز يونس"؛

- النص والخطاب في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عبيد؛

- الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحوية نصية (دكتوراه)؛

- العلاقات الملفوظة، والعلاقات الملحوظة، في النص القرآني يحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية؛

- العلاقات النصية في القرآن الكريم، دراسة نحوية لجهود المفسرين/ "د.مصطفى أحمد عبد العليم"؛

- "طه جابر العلواني"، الوحدة البنائية للقرآن المجيد، سلسلة دراسات قرآنية؛

- "خلود العموش"، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق.

عموما تأخذ هذه الدراسات منحيين:

- ❖ الأول يتبنى الدراسات اللغوية النصية الغربية ويخضع النصوص العربية لقوانينها؛
- ❖ والثاني يعود إلى الدراسات اللغوية العربية القديمة ليقارنها بنتائج البحث اللغوي النصي الحديث، في محاولة لإيجاد نقاط مشتركة بينهما أو إثبات الأسبقية التاريخية للبحوث النصية العربية، وسنحاول فيما يلي التمثيل للنوعين.

3. التطبيقات التحليلية النصية للنص القرآني

1.3.النموذج الأول: في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم. بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية 201/2/16 أعده الأستاذ "الدكتور عبد الرحمن بودرع":

اهتم الأستاذ "بودرع" بهذا الموضوع فتنوعت البحوث التي قدمها في هذا الباب نذكر مثلا:

- ✓ أثر السياق في فهم النص القرآني، صدر في مجلة الإحياء التابعة للرابطة المحمدية للعلماء، 2008م.
- ✓ القرآن الكريم من خصوص اللسان وعموم الرسالة، مقال نشر في كتاب جماعي عنوانه رسالة القرآن من إعداد إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، وزارة الأوقاف، الدوحة قطر 2010م.
- ✓ القرآن الكريم ومناهج الدرس الحديث، منهج السياق البياني أنموذجا، مقال نشر في مجلة الهدى، وهي مجلة محكمة، سنوية يصدرها المجلس العلمي لطنجة، العدد الثاني، 2010م.

أما البحث الذي انتُقي أنموذجا للدراسة فموسوم بـ: "في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النصي للقرآن الكريم"، وهو بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية. يعتمد البحث على واحد من أحدث مناهج البحث العلمية ويقوم على فكرة منهجية " استنطاق أحدث مناهج علم النص بخصوص ما يمكن أن تقدمه من جديد في تحليل النص، واستكشاف بنيته الداخلية والوقوف على بلاغة تماسكه، وجماليات انسجام عناصره والوقوف على معانيه الكلية التي لا يقوى نحو الجمل على استكشافها وبيانها"[1].

[1] عبد الرحمن بودرع، مرجع سابق، ص8.

وبهذا يجعل الباحث لعمله خطة واضحة المعالم، تهدف إلى غمر النص القرآني في وعاء لساني حديث، ومن ثم تشريحه بأدوات المنهج اللساني النصي، للكشف عن جمالياته باطنا وظاهرا، مختبرا قدرة علن لغة النص بترسانته الأدواتية والمنهجية على "كشف بنية النص ودلالاته الكلية ودلالاته التي توافق مقاصد واضعه"[1].

يؤمن الباحث أن دراسات القدماء للقرآن الكريم لم تكن بعيدة عن المناهج اللغوية الحديثة، ذلك أن تعامل القدماء مع النص القرآني كان تعاملا مع كليته وشموليته، فكثيرا ما ترددت عبارات مثل القرآن يفسر بعضه بعضا..، فكانت الدراسات القرآنية أقرب ما تكون للدراسات التي تعتمدها لسانيات النص وتحليل الخطاب. ويرى الكاتب أن "صلة علم النص بالدراسات الحديثة لا يعني أنه ولد في كنفها حصرا، فهو أولا وقبل كل شيء علم الطبع والتذوق للعربية، ولهذا فلا يقتصر على علم لغة النص في نسخته الأعجمية من أجل تحليل النص العربي البليغ، لأنه لا يقود بالضرورة إلى فهم أسرار النص إلا على وجه الاستئناس المنهجي دون العلم بكنه النص في أصله العربي المبين"[2].

وقد سعى الباحث إلى خلق وشائج بين المفاهيم اللسانية النصية وعلوم القرآن الكريم التقليدية بأن "ينتقي من المصادر التي أُلفت في علوم القرآن ما يتناسب والمنهج اللساني النصي من مفاهيم وأدوات لبناء مقاربة نصية متكاملة، تثبت مدى التقارب والالتقاء بين كثير من الأنظار اللغوية العربية القديمة والمفاهيم اللسانية الحديثة"[3].

إذن الغاية من وراء هذا البحث هي الوصول إلى بناء لسانيات نصية متكاملة ،تجمع بين جهود اللسانين العرب القدماء وجهود اللسانيين المحدثين، لعلها تمثل لسانيات نصية عربية تثمن جهد اللسانيين العرب القدماء وتواكب موجة التطور اللساني، وتجمع بين التبني والبناء.

---

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص89.

يستدعي البحث لذلك معالجات نصية عربية قديمة للقرآن الكريم يجمع شتاتها، ثم يخضعها لقراءة في ضوء تصورات علم لغة النص الحديث، لتكون الدراسات القديمة جملة مقارنة أصح و أصلح لكونها استندت على نص لا يشوبه الخطأ. في حين أن النصوص المعايير النصية الحديثة والتي تمثل مرتكز الدراسات النصية، استمدت من نصوص "محدودة مقيدة بقيود الزمان والمكان والظروف المحيطة والأخطاء البشرية "[1]، ولعلنا بعد التوحيد بين نتائج علم النص الحديث وعلم نص مستمد من دراسات القدماء للقرآن الكريم، نصل "علم موحد يكشف غامض النصوص ويفك رموزها ويستكنه أسرارها"[2].

استهل البحث بتحديد للمصطلحات ومقارنة بين أسباب الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص، التي يعيدها الباحث إلى تحول الأنساق المعرفية باعتبارها سمة من سمات الفكر والثقافة في هذا العصر.

أما الإشكالية الرئيسة التي يواجهها البحث هي إثبات توفر النص القرآني على المرتكزات النصية الترابط والتماسك، الاهتمام بالسياق بكل أنواعه، التفعيل اللغوي. لتظهر بذلك أهمية مقاربة النص القرآني لسانية نصية تجنبا لأية مزالق ناتجة إخراج النص عن مواضعه ومقاصده، إذ المقاربة النصية ترتكز على الاستمداد من بنية النص نفسها، التي تتوافق وسياقه الخارجي ومقاصده العليا ولا تعارضها"[3].

- **التمـــاسك:** تميز القران الكريم يحسن سبكه، وجودة صياغته، وتماسكه واتساقه، من أوله إلى آخره نصا واحدا متماسكا متكاملا مؤتلفا، وقد ذم الله تعالى من آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه الآخر، ودعانا إلى الأخذ بكليته وقد كان هذا الذم كافيا للدفع إلى اكتشاف منهج للقراءة الواحدة غير المجزئة لاكتشاف الوحدة البنائية[4].

---

[1] المرجع السابق، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص 14.

[3] المرجع نفسه، ص27.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص26.

والتماسك في القرآن الكريم يتمحور في موضوعات أهمها:

- محور التماسك بين الكلمة وجاراتها.
- محور التماسك بين الآية بين الآية وما يسيقها وما يليها.
- محور التماسك بين فقرات السورة.
- محور التماسك بين أول السورة وآخرها.
- محور التماسك بين السورة وما يسبقها وما يليها[1].

- **السيـــاق:** إن الفهم الصحيح للقرآن الكريم لا يكون إلا بعرضه على السياق الخارجي والسياق المصاحب لظروف نزوله، وتدعمه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسير أصحابه رضي الله عنهم ثم اجتهاد العلماء. وإن "الاعتماد على تلك العتبات النصية والنصوص الموازية والمرافقة، يسهم في تحقيق فهم أفضل للنص القرآني.

والسياق أنواع: لغوي، حالي (مقامي)، ثقافي فيعضه متعلق بداخل النص وبعضه متعلق بخارجه. فمن السياق اللغوي فهم السابق واللاحق، والنظر إلى السياق المقامي يستدعي النظر إلى أسباب النزول، في حين أن دائرة السياق الثقافي تتسع لتصل إلى الخصوصية الثقافية للنص القرآني.

- **التفعيـــل:** الإقرار بأن بسط الدين على واقع الناس لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار قضايا العصر ومشكلات الناس الذين هم محل الحكم الشرعي"[2]، كما تجدر الإشارة إلى أن جزئية التفعيل تذكر باقتران العلم بالعمل فقد "شغل جيل التلقي بالتعليم للعمل والتطبيق، وشغل جيل الرواية بتتبع الروايات وتمحيصها، وشغل جيل الفقه بإنتاج الفقه للاستجابة لمستجدات الحياة "[3].

---

[1] ينظر: بشرى حمد ي البستاني، وسن عبدالغني المختار: في مفهوم النص ومعايير النصية في القرآ ن الكريم، ص 188.

[2] المرجع نفسه، ص 189.

[3] المرجع نفسه، ص 189.

يُعرج البحث بعد ذلك على جزئية لعلها جوهر بحثه، وهي مظاهر بناء النص في القرآن الكريم مفندا ما تدعيه بعض البحوث التي تنفي مظاهر النصية عن القرآن الكريم خاصة منها الاتساق والانسجام، إذ ليس القرآن الكريم في رأيهم مترابطا ولا منسجما، بل حتى السورة الواحدة عندهم تفتقد لهذا الربط، وهم بذلك لا يرون في القرآن إلا "مجموعة من المدونات كمدونة العقيدة ومدونة الشريعة ومدونة الغيب ومدونة القصص، ولكل مدونة أسلوبها وعباراتها"[1].

وفي سياق تأكيد الباحث عن ترابط القرآن الكريم انسجاما واتساقا ،يسوق جملة من القرائن المؤكدة على ترابط النص القرآني أهمها:

- ✓ تماسك بنائه النحوي والموضوعي؛
- ✓ انسجام الأداة التأويلية (تفسير القرآن بالقرآن؛ تفسير النص بالنص من داخل النسق القرآني نفسه)؛
- ✓ تناسب أجزائه: حيث تنتظم فيه الكلمات والآيات والسور في سلك واحد وتنتظم فيه المعاني والدلالات والمقاصد في أصل واحد، وذلك يجعل من القرآن الكريم كلا واحدا وقطعة واحدة؛
- ✓ ومن مظاهر الانسجام الجمع بين غرضين مختلفين كالجمع بين التعزية والفخر في قوله تعالى: «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»؛
- ✓ ومن مظاهر الانسجام الملاءمة والاتلاف بين اللفظ واللفظ، واللفظ والمعنى، لتتعادل في الوضع وتتناسب في النظم؛

[1] المرجع السابق، ص191

- ✓ حسن التنسيق: بأن يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحما مستحسنا، ويستشهد الباحث في ذلك بما استشهد به الإمام البقاعي عن الصلة بين سورة الفاتحة، وما يليها في كتاب الله تعالى من سور فصلت ما أجملته الفاتحة؛

- ✓ المشاكلة والتشاكل: وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في سياقه، بحيث كلمات النص تدخل في علاقة مشاكلة فتكون كل كلمة من تلك الكلمات محملة بقيود تخصصها، فترجع خصائص وتستغني عن أخرى حتى تنسجم أجزاء الكلام. ذلك أن الكلمة في ذاتها تكون متعددة السمات والدلالات، ولا تتخلص من كثافتها؛ أي عندما تدرج في سياق تركيبي معين؛

- ✓ المطابقة والمقابلة: والمطابقة الجمع بين متضادين في النص، أما المقابلة فتكون بذكر لفظين فأكثر ثم أضدادها على الترتيب؛

- ✓ ارتباط الجملة بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن؛

- ✓ بلاغة التلوين والتنويع على مستوى المواضيع والأساليب؛

- ✓ ومن القرائن اللغوية الهامة العاملة على ربط أجزاء النص: الضمير بأدواره المختلفة التي يؤديها في الجملة العربية: كالاختصار، والوصل والإحالة؛

- ✓ ويختتم البحث بنموذج تطبيقي للانسجام والتماسك في النسق القرآني، جاعلا من سورة القرة نموذجا لإثبات تماسك البنيان وإحكامه.

يخلص البحث نتائج أبرزها:

- إدراك اللغويين العرب لأهمية مزية الربط في النص.
- حسن ترابط النص القرآني انسجاما واتساقا.
- وقوفهم على جملة من القرائن العملة على ترابط النص.

- يكشف النص عن الملاح النصية للقرآن: شموليته، السياق، التفعيل، نصية النص القرآني تستدعي مقاربته مقاربة لسانية نصية، "تجنبا لأية مزالق ناتجة عن إخراج النص عن مواضعه ومقاصده؛ إذ أن المقاربة النصية ترتكز على الاستمداد من بنية النص نفسها "[1].
- آليات التماسك النصي المقترحة في علم النص الحديث الغربي لا تنطبق بالضرورة على النص القرآني بكليتها، لأن له وسائله وآلياته النصية التي ينفرد بها في بناء تماسكه واتساقه.

2.3.النموذج الثاني: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، "أحمد عزت يونس"[2]:

يعد هذا البحث من المؤلفات من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي، الذي يعد بدوره جوهرا للنظرية النصية التي تدعو تجاوز الجملة إلى البنية الكلية للنص. يتحدد هدف هذه الدراسة في "تتبع آثار العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم وبيان فاعليتها في الربط والوصل بين وحداتها النصية، ومن جهة أخرى يطمح إلى لفت أنظار الباحثين إلى أهمية العلاقات النصية في تحليل النصوص، وبخاصة المطول الممتد منها كنص القرآن الكريم"[3]، فلا يغيب على القارئ المتذوق أن جماليات النصوص تُستمد من حسن سبكها، وجودة حبكها، وتآلف أجزائها.

* يمكن تلخيص الأهداف التي يتبناها البحث في النقاط التالية:

- ✓ تتبع آثار الممارسة النصية العربية التراثية، متمثلة في نشاطات البلاغيين والنحويين والمفسرين؛
- ✓ الوقوف على آراء الدارسين المحدثين حول الظاهرة المدروسة؛
- ✓ الوقوف على معالم الظاهرة عبر التحليل النصي لسياق لغة النص القرآني العام؛

[1] المرجع السابق، ص27.

[2] أحمد عزت يونس: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط 1،2014م، ص5 .

[3] المرجع نفسه، ص7.

✓ ثم الوقوف بعد ذلك على فاعلية هذه الظاهرة وآثارها، من خلال التحليل النصي للغة نص السورة القرآنية في سياقها الخاص، ثم بسياق لغة النص القرآني العام.

يعتمد الباحث نوعين من العلاقات استمده من أستاذه "د.محمد حماسة" وهذان النوعان هما: علاقات أفقية وأخرى رأسية.

- الأولى تُعنى ترابط الجملة النصية الواحدة في داخلها.
- والثانية تُعنى بترابط وتماسك وحدات النص كله.

الباحث من المؤمنين بأن للغويين العرب محاولات في مقاربة النص القرآني مقاربة نصية، "إذ ما دعا إليه هاريس لم يكن بمنأى عما قدمه تراثنا العربي، فقد كان لهذا التراث السبق بل اليد الطولى في إبراز كثير من المفاهيم النصية الخاصة بمعالجة هذه الظاهرة (العلاقات النصية)، ولعل ما تركه التراث البلاغي والنحوي، والتراث النقدي، وعلوم القرآن، والتفسير وما يثبت ذلك ويؤكده. فقد أكدت القراءة في تراثنا العربي أن ثمة ممارسات وتحليلات نصية اقتربت من التحليلات المعاصرة للنصوص "[1]، ويعطي الباحث أمثلة عن أعمال أمثال "الجرجاني والقرطاجني والبقاعي والسيوطي" وغيرهم ممن أظهرت ممارساتهم النصية الوقوف على عناصر وأصول تتصل بهذه الظاهرة، مع أن الباحث يقر بأن بحوثهم رغم اقترابها وملامستها للمقاربة النصية، إلا أنها لم تأخذ شكل النظرية أو تتشكل بقوالب علمية متكاملة لانشغال روادها بالتحليل[2].

وتنتهي جهود وأهداف الباحث إلى بلوغ نظرية نصية عربية حديثة، وذلك عبر جمع جهود أهمها:

✓ الإفادة مما تركه التراث العربي من ممارسات وتحليلات نصية تعددت نماذجها.

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] ينظر :المرجع نفسه، ص8.

✓ الإفادة من النظرية اللسانية الغربية المتعددة المناهج.

✓ ممارسة متكررة من خلال تحليل النصوص بالمنهجية النصية.

اعتمد المؤلف على بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتردفهما خاتمة، أما التمهيد الموسوم "النص والجملة النصية" خُصص لتحديد المفاهيم: النص والجملة، انتهى بعد استعراض حشد هائل من التعريفات إلى اقتراح تعريف للنص اعتبره « كيانا لغويا متماسك الأجزاء مترابط الأفكار والأحداث، تحكم سطحه بنية عميقة، وقد يدخل في فضائه ملفوظات أو وحدات نصية متقطعة على سبيل الاستدعاء من نصوص أخرى فيه»[1].

* أما الباب الأول فوسم بالعلاقات النصية بين جهود العلماء وواقعية النص، خُصص مثلما يشير اسمه إلى محورين رئيسيين:

❖ تبيان العلاقات النصية من منظور التراث العربي ثم بعض الدارسين المحدثين.

❖ إبراز أهمية التحليل في بلوغ العلاقات النصية، وكذا أهمية وفاعلية هذه العلاقات في تحقيق التماسك النصي.

* أما الباب الثاني والأخير فعُنون "العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم، "تناول فيه الباحث أنماط العلاقات النصية في سياق لغة القرآن الكريم أولا، ثم فاعلية هذه العلاقات النصية وأثرها في سياق لغة نص السورة القرآنية، وقد انتقى لذلك سورة الأحزاب موضوعا للوصف والتحليل.

ويقترح الباحث نمطين للعلاقات النصية في القرآن الكريم: علاقات نصية محلية (مركزية) وعلاقات نصية استدعائية (لا مركزية)، معتبرا إياهما "المنهج المقترح لتناول النصوص من أجل الكشف عن العلاقات النصية وفاعليتها فيها، خاصة إذا كان النص المحلل ذا بينية كبرى تشتمل على بنيات نصية صغرى"[2] ، مما يجعلها المنهج الأنسب للنص القرآني الذي يعتبر بنية كبرى تحوي بنيات صغرى.

---

[1] المرجع السابق، ص393.

[2] المرجع نفسه، ص12.

وهذه المركزية واللامركزية ينظر إلى العلاقات النصية من حيث انغلاق النص وانفتاحه، إذا كان النص المحلل هو بنية نصية كبرى كنص السورة القرآنية بالنسبة لنص القرآن الكريم، منغلقا في محله على نفسه دون أن تتعدى أو تتجاوز وحدات بنية النص إلى غيرها من وحدات من وحدات البنيات النصية الأخرى. فإن العلاقات النصية في هذه الحالة تكون مركزية (محلية). وإذا كان النص المحلل بنية صغرى احتوتها بنية نصية أكبر منفتحا بمحله على وحدات بنيات نصية أخرى في إطار بنية نصية كبرى، فإن العلاقات في هذه الحالة تكون غير مركزية.

يفصل الباحث في آليات العلاقات المحلية فيقسمها إلى: العلاقات النصية ذات الترابط اللفظي والمفهومي:

- **علاقات نصية محلية ذات الترابط اللفظي:** وتضم علاقات أداتية وأخرى بنوية.
  - الأداتيـــة: وتجمع علاقة الجمع، الضم، الترتيب، الاستبعاد، الإضراب، الاستدراك، التفصيل والإجمال، التعليل، والتفسير.
  - البنيوية: وتضم علاقات الإحالة، التكرار والحذف.
- **العلاقات النصية المحلية ذات الترابط المفهومي:** وتضم علاقات كالتذييل، التعليل، التفسير، الإجمال، الحوار، الشرط، الالتزام، الموقفية، المقابلة، الإضراب، التعقيب، الاستطراد.
- **العلاقات النصية الاستدعائية في سياق لغة القرآن:** وتنقسم هي الأخرى إلى علاقات ذات ترابط لفظي، وعلاقات ذات ترابط مفهومي.
  - علاقات نصية استدعائية ذات ترابط لفظي: تضم علاقة التشابه والتكرار.
  - علاقات نصية استدعائية ذات ترابط مفهومي: تضم علاقات التفصيل والإجمال، التوضيح، دفع الإبهام، التعليل، التجميع الموضوعي، الاستكمال، الإتمام التحقيق، وصف الإطار الزمني، وعلاقة المقابلة.

لم يكتف الباحث بالجانب النظري الذي عرض فيه أنواع العلاقات النصية، بل عمل على تطبيقها في سياق سورة الأحزاب التي اتخذها أنموذجا للتحليل أولا من حيث البناء والإجراء، وثانيا من حيث النظر إلى فاعلية هذه الإجراءات. وقد تم تقسيم السورة حسب نمط البناء المقطعي إلى وحدات نصية هي: المقاطع، القطع، الأقطوعات، والجمل. وقد أثبت البحث عبر تحليل نص السورة الكريمة، دور العلاقات النصية وفاعليتها في تماسك وحداتها النصية، كما أثبتت مدى ترابط واتساق لغة القرآن الكريم.

*** خلاصـــة البحث:**

انته البحث إلى تقديم مفاهيم إجرائية لمصطلحات تعد مركزية في علم النص مثل النص والحطاب والجملة..، وقد سعى إلى تقديم منهجية في التحليل تتماشى وخصوصية لغة النص القرآني التي تميزها الشمولية التناسب والتناص والاستدعاء.

الباحث من النخبة التي تؤمن بوجود جهد عربي لساني نصي لابد من تثمينه، أبدعه رجال البلاغة والنحو والنقد وعلوم القرآن والتفسير.

هذه الممارسات النصية العربية التراثية لم ترق إلى مستوى النظرية، فاللغة لم تكن غاية في حد ذاتها، بقدر ما كانت وسيلة تستهدف فهم الدراسات القرآنية التحليل النصي يعتمد مستويات ثلاث: نحوي، دلالي، تداولي.

عرض الباحث معايير متعددة لتقسيم العلاقات النصية، غير أنه يرى أن التقسيم الأنسب للقرآن الكريم يعتمد نمطين: علاقات نصية مركزية، وأخرى غير مركزية.

ميزة العمل منهجيته العلمية والموضوعية، وحرصه على إعطاء بصمة خاصة تستفيد من علم النص العربي والعربي، ويلونها بألوان تتناسب وطبيعة النص القرآني. وقد كشف البحث عن منهجية علمية يمكن اعتمادها أنموذجا لتحليل النصوص عموما، النصوص المطولة خصوصا منها تلك التي تتكون من مجموع نصوص صغرى.

المبحث الثاني: التكافل بين لسانيات النص والتعليم

1.بيان أهمية تفعيل الدرس اللساني في التعليم:

يقسم تمام حسان في مقدمة ترجمته لكتاب الخطاب النص والإجراء دراسة اللغة إلى دراسة متعلقة باللغة في حد ذاتها، وأخرى متعلقة باستعمالاتها. غير أن النظريات اللغوية تؤسس وفقا لاعتبارات متعلقة باللغة في ذاتها بعيدا عن متعلقاتها، مما أبقى الدرس اللغوي محصورا في البنى اللغوية، في حين أن مجال الاستعمال والتكافل اللغوي مع القضايا الاجتماعية الواسعة التي تدخل اللغة في صلب تركيبها، وكل ما هو أداء تفعيلي للغة لم يحض بالاهتمام الواسع إلا في العقود الأخيرة، مع التفطن للجانب الثاني في الدرس اللغوي وهو جانب الاستعمال.

وتعد الدراسات النصية النمط المعاصر الأوسع من الدراسات اللغوية الحديثة التي انتشرت على نطاق واسع، واستغلت في ميادين معرفية كثيرة أهمها التعليم. "فعندما نتأمل المسار الذي سلكته التعليميات بعامة وتعليمية اللغات بخاصة، ندرك لا محالة أن سيرورة هذا المسار تتعزز في كل محطة من محطاتها الفاعلة بروافد مرجعية لعلوم ومعارف تلاقت وتقاطعت نظريا وإجرائيا، لتشكل رؤية منهجية متكاملة تتبدى ملامحها في مرجعيتها النظرية التي تؤطرها، وفي مفاهيمها واصطلاحاتها وفي إجراءاتها التطبيقية"[1].

وإنه ليس من الهين أو الممكن أصلا تحصيل قدرة على التعليم إن لم نمر بمرحلة توصيف اللغة المراد تعليمها، فالقفز على الجانب التنظيري غير ممكن إذ "يصعب الوصول إلى التوجيه من دون وصف مناسب وإيضاح للغة"[2].

وتعد لذلك العملية التعليمية في حد ذاتها تحويلا دائما ومستمرا للمعارف والعلوم في نطاقها المرجعي، لأن التعليم لا يعدو أن يكون اختزالا لأعمال العلماء ونتائجهم التي حقوقها

[1] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي 2013م، ص15.
[2] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص560.

في حقول معرفية مختلفة، ويكون هذا الاختزال واضحا خاصة في مرحلة ما قبل الجامعة، فالتحويل يقتضي التدرج الذي يراعي القدرات العقلية لدى المتعلم حسب الفترات الحاسمة في نموه الزمني والعقلي"[1].

لكن كيف يمكن لنا أن نستثمر بوعي علمي عميق الانجازات المعرفية والمنهجية المحققة في التجربة اللسانية لترقية تعليم اللغات؟. وما هي الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها لتوظيف المرتكزات اللسانية في الموقف التعليمي؟. وما السبل المؤدية إلى إدماج حسن للمقاربات اللسانية في الميادين التعليمية؟.

لقد تعددت المشارب التي استقى منها النحو التقليدي نظرياته والتي يصعب انسجام بعضها مع بعض، ومن هذه المشارب: المنطق والفلسفة والبلاغة والأدب والنظريات الفردية للنحويين، وحتى ما يمكن استيراده من نظم نحوية خاصة بلغات أخرى، وغير ذلك مما يجزم الباحثون بأن لا انسجام بينها، فكانت النتيجة "اختلافا كبيرا بين المبادئ من حيث طبقت بصورة متناثرة أو لأغراض مختلفة"[2].

وأهم ما يمكن حصره عن أسباب فشل هذه النظم في إسداء النفع المرجو للمتعلم:

- غموض الأسباب التي بنيت عليها وعدم اطرادها؛
- التركيز فيها على الممنوع من القول والكتابة؛
- الانفصام بين الصورة المقننة للغة واستعمال الناس لها في حياتهم اليومية [3] (إهمال جانب التفعيل اللغوي).

فنتج لقاء ذلك نفور من النحو التقليدي، وتوجه الباحثون نحو قبلة أخرى أكثر دقة وانسجاما في نظمها مع العملية التعليمية، تستطيع تجنب الانسدادات التي عرفها التوجه السابق وذلك بالانتقال إلى:

[1] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص29.

[2] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص 560.

[3] المرجع نفسه، ص 561.

-*توحيد المرجعية الفكرية.

-*التركيز على المطرد من اللغة.

-*الاعتماد على لسانيات التفعيل اللغوي.

ولا يتسنى لنا مثل هذا إلا في لسانيات تتجاوز النظرة الافتراضية للنحو التقليدي والرؤية الضيقة المحدودة للسانيات الجملية، لأن دراسة النظم المجردة للوحدات الصوتية والوحدات الصرفية وأنماط الجمل، لا يمكن إلا أن تمدنا بفكرة ناقصة فقط عن العمليات اللغوية في حالات الاستعمال. ومع وجود الكثير من الخيارات في هذه المجموعات التجريدية، لا نجد إلا بعضها ذا كفاءة في حال الاستعمال، وذا أثر في إتمام المطلوب وملائما لمطالب النصية في موقف بعينه"[1]. وتخطي مثل هذه العوائق يتجاوز الجملة إلى فضاء أرحب وأكثر تعلقا بالواقع، وتلكم الخاصيتان تمثلان جوهر اللسانيات النصية. إذ أن أبرز فكرة تتبناها اللسانيات النصية هي التحول من نطاق تحده الجملة إلى نطاق أوسع هو النص، مما أهلها إلى أن تمثل نقلة نوعية في مجال الدراسات اللغوية، تحوّل معها اهتمام اللغويين عن الجملة التي مثّلت موضوع الأبحاث اللغوية منذ أقدم العصور، لينصبّ على النص، وذلك بعد الاقتناع بأنه الوحدة الأساسية التي تتحقق من خلالها الوظيفة التواصلية للغة.

وما لا يغيب على أحد " أن تعليمية اللغات في مسارها الإجرائي، ما فتئت تتخذ من المنجز بعامة والنص الأدبي بخاصة مرتكزا تعليميا يعكس بصدق الشكل المكتوب من اللغة، إذ يعد النص من الروافد الأساسية لتعزيز فاعلية التبليغ والتحصيل"[2]، ذلك أن مباحث علم النص عملت على إبراز خصائص تحدد نصية النصوص. "وإذا كانت الإجراءات والاستراتيجيات الفاعلة في أثناء إنتاج النصوص واستقبالها تخضع حقا لمعايير الجودة

[1] المرجع السابق ، ص 562.

[2] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 21.

والفاعلية والملاءمة، فلا بد عندئذ من أن يمتلك علم لغة النص من الطاقة ما يجعله قادرا على الإسهام في تعليم اللغة"[1].

ويؤكد "فان دايك" هو الآخر على فاعلية علم النص وقوانينه في مجال تعليم وتعلم اللغات، خاصة لانصباب مجاله على النص وقدرته على الإسهام في إبراز نظم وميكانزمات تحليل وبناء النصوص على حد سواء، وهو يرى أنه « لا يجب أن يفهم التلميذ جملا فقط، بل يجب أن يتعلم أيضا على أي نحو تنتظم المعلومات في نص أطول: في مقالة أو صحيفة مثلا كما يمكن أن يتعلم هذه المهارة بشكل فعال ما أمكن ذلك، كيف يلخص نصوصا تلخيصا سليما وصحيحا، وأخيرا كيف تترابط الأبنية النصية مع الوظائف البراجماتية والاجتماعية للنصوص»[2].

ويقول الباحث في هذا الصدد الباحث محمد يحياتن مؤكدا على التكافل بين البعدين النصي والتعليمية بين المستويين الشفهي والكتابي: "إن للاستغلال التعليمي والتربوي للسانيات النص في مرحلة لتعليم الثانوي من شأنه أن ينمي لدى التلميذ ملكة لقراءة النشطة، وملكة الكتابة الإنتاجية. وذلك أن هذا التناول سيسمح له بتجاوز مستوى الجملة والنظر إلى النص من حيث شموليته، وذلك عن طريق اكتشاف تناميه من نقطة الصفر إلى نقطة النهاية؛ أي بتحليل كيفية سريان المعلومة أو المعلومات فيه. أما على صعيد المكتوب فإن التلميذ عند إنتاجه لنصوصه سيولي الاهتمام لاتساق نصه هذا بالسهر على جعل الوحدات التي تكونه مترابطة لخلل فيه"[3]. والباحث يحدد مجال التكافل بين علم النص والتعليم في الجانبين الشفهي والكتابي، ويؤكد قدرته على تطوير هذه الملكات لدى المتعلم.

[1] إلهام أبو غزالة وآخرون: علم لغة النص، ص 268.

[2] فان دايك: علم النص، ص334.

[3] محمد يحياتن: تحليل النص الادبي في التعليم الثانوي، ملاحظات أولية، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر،ع1، ديسمبر1997م، ص ص424- 425.

إن كون النص بنية مركبة تقوم على ما بين عناصرها من علاقات وروابط، يتيح دراسة تلك الظاهرة اللغوية دراسة علمية، والوصول بشأنها إلى حقائق وقوانين ثابتة نستعين بها في مجال التعليم، وذلك ما يؤكده "ديبوجراند" بقوله:" هناك تكافل بين التربية وعلم النص وذلك أن اكتساب نوعي المعرفة الإنساني منها والعلمي لا يمكن أن يتم إلا بواسطة خطاب حسن التنظيم، حقا إن قسطا كبيرا من العمل في قياس فرع من فروع المعرفة يقع في نطاق المهارة في امتلاك ما يخصه من طريقة الخطاب، وينبغي لعلم النص أن يهيئ معايير واضحة صالحة للتطبيق من أجل إنتاج النصوص المستعملة في التعلم"[1]. بناءً على قول دي بوجراند فإن النص الصالح للتعليم لا بدَّ أن يتوفر على صفة حسن التنظيم، وأن يخضع لجملة المعايير التي ينص عليها علم النص.

أن فكرة لسانيات النص ستسهم إسهاما مهما في التفعيل اللغوي، غير أن تطبيقاتها في مجال تعليم اللغة من دون مراعاة الخصوصيات التعليمية التربوية إجحاف في حق المتعلم، ذلك أن هناك فرقا بينا بين تناول اللغة كغاية في حد ذاتها بالوصف والتفسير والتعامل معها على أنها وسيلة لتحقيق غاية أخرى، كالبحث عن تطبيقاتها في الجانب التعليمي والبحث في كيفية اكتساب اللغة وطرق استعمالها، والسعي إلى تطوير قدرات المتعلم على اكتسابها من خلال ممارسة موجهة ومدروسة ومقننة في ظل الممارسة العلمية الملائمة. الأكيد أن الحقل المسموح به أو المادة المتاحة لعلم اللسانيات أوسع بكثير من ذلك المتوفر للمتعلم، ذلك أن الجانب التداولي البراغماتي يراعى أكثر بالنسبة للمتعلم.

يمكن إظهار الاختلاف بين منطلقات اللسانيات التقليدية واللسانيات الحديثة على النحو التالي:

اللسانيات التقليدية تدعو إلى:

-الاهتمام بالظواهر اللغوية المنعزلة عن بعضها والمتقطعة الأوصال؛

[1] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص558.

-الانطلاق من أصغر الوحدات اللغوية صعودا إلى أوسعها وأعلاها؛

-اعتماد معيار تراكمي في محاولة لجمع القطع المبعثرة من المعلومات؛

-المنطلقات التعليمية للسانيات الحديثة:

-الاهتمام بالظاهرة اللغوية في سياقها وبكلياتها؛

-الانطلاق من الظاهرة ككل ثم التغلغل في جزئياتها ومتعلقاتها؛

-الانتقال من النص في سياقه للتعرف على أصغر جزئياته، ثم إعادة بنائه من جديد.

العملية التعليمية المعتمدة على اللسانيات التقليدية تنتج صورة قاتمة ومشوشة تعتمد ومضات معرفة وشظايا نصوص، بعكس الصورة التي تتراءى لنا باعتماد اللسانيات النصية الحديثة التي تعطي صورة واضحة للاتصال في عمومه، نظرا لتفتح كل الفروع المتصلة باللغة على بعضها البعض، إذ أن فيها دعوة إلى عدم الفصل بين التعليم وعملياته فالمعرفة تبنى ولا تنقل. ثم إن العدول عن التحليل "الذي يجنح إلى تذرية النص إلى وحدات مفصول بعضها عن بعض..، كما يسمح لنا في ذات الوقت من العدول عن القراءة الخطية التسلسلية التي تجعلنا لا نحيط بمعمار النص وهندسته"[1] ، أو ما يصطلح على تسميته بنمط النص.

لقد اعتمد المنهج التقليدي على الحفظ والتلقين والاستظهار، وذلك بالنظر إلى تشبع المناهج الدراسية بالفكر السلوكي على الرغم من سقوط السلوكية، يرى "دي بوجراند" مثل كثير من الباحثين أن التعليم التقليدي القائم على التفكير السلوكي عقيم، لأنه يسعى إلى خلق الكم المعرفي بالدرجة الأولى ويُهمل القدرات والاختلافات البشرية ويحد من عوامل الإبداع، والأكيد أن" التربية تسير في الطريق الخطأ طالما زاد اهتمامها بالمعلومات الواقعية على اهتمامها بالمعرفة العلائقية، عندئذ يحشى ذهن المتعلم بطائفة من الحقائق العرضية التي تستعصي على التوحد في نظام محكم ملتحم وعملي قوامه

[1] محمد يحياتن: تحليل النص الأدبي، ص426.

المعرفة بالعالم، وسرعان ما تنسى كل مجموعة من الحقائق السيئة الهضم بعد الامتحان مباشرة، لأن الترتيب التنظيمي المطلوب من أجل التطبيق لا وجود له"[1]. من حيث كون "الكثير من الجهد قد انصرف إلى اكتساب الجذور الاشتقاقية وتلاوة الحقائق المعرفية، أين يحتل الاختبار والتقويم عالما قلقا يبدو كل شيء فيه إما صوابا وإما خطأ"[2]. ولعل من أكبر عيوب التوجه التقليدي عند "دي بوجراند" اعتماده على معايير سطحية، واعتمادها على "نظم افتراضية عاجزة عن فهم طبيعة النصوص النصية..، وكان هذا لعدم وجود فكرة ناجعة عن جانب التفعيل"[3] .

أبرز ما جاءتنا به الدراسات الحديثة للنص هي وجوب تفعيله واستعماله في إطار تواصلي، سواء تعلق الأمر بإنتاج النصوص أو فهمها. إذ لا تتحقق الكفاءة إلا في إطار تواصلي، وبذلك تظهر أهمية كل من المتكلم والمتلقي، بل والكون الخطابي ككل وذلك ما يمكن تصوره في شكل ثلاث سلطات: المنتج والمتلقي والنص في حد ذات.

2. مواصفات النقلة من علم النص إلى العملية التعليمية [4]:

يتطلب الانتقال من الجانب النظري للسانيات النص إلى الجانب التعليمي التعلُمي مصفاة تنقل محتويات ومضامين النظرية، معتمدة على معايير تحقق التوازن بين الجانب المعنوي التصوري للنظرية والجانب التطبيقي لها، معايير تُكيف النظرية مع الأجواء التعليمية تسمح بنقل المحتويات النظرية دون إحداث خلل.

ولعل أبرز مواصفات هذه النقلة:

---

[1] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص555.

[2] المرجع نفسه، ص554.

[3] المرجع نفسه، ص 564.

[4] ينظر: بوعمراني نسرين: آ ليات تحويل النظرية النصية إلى مقاربة تعليمية في تعليم اللغة العربية للمرحلة الثانوية بالمدرسة الجزائرية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير تخصص تعليمية اللغة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر ، 2010-2011م، ص ص 69-70.

❖ **القـــوة:** ويتحقق ذلك ببنائها على أسس علمية واضحة متصلة بالنظرية في حد ذاتها غير محورة ولا محولة، وينبغي لمفهوم القدرة أن يحظى بنظرة أكثر اتساماً بالتكاملية مما يجري في العادة في قواعد الجملة. فعلينا أن نبحث في تحديد القدرات التي تجعل الناس في العادة من أصحاب المقدرة على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم، وهذا النوع من نظرية النص سيكون ذا طابع ذهني في معناه الأساسي،

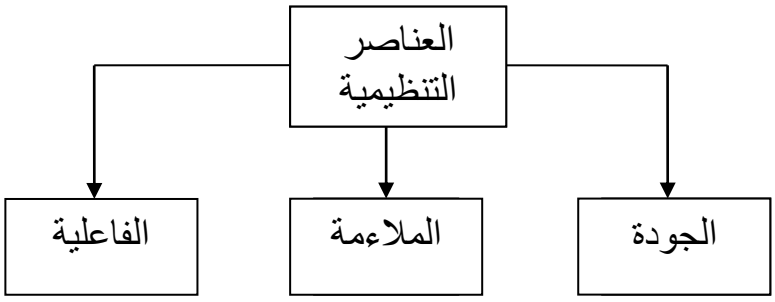

وصالحاً من الناحية العملية للتصديق والتكذيب.

❖ **المرونـــة:** إن أية محاولة لقولبة النظرية أو حصرها في قوالب جاهزة يمكنها أن تكسر أسسها وتبعدها عن هدفها الأساسي، لا بد إذن أن تكون آليات التحويل مرنة تراعي المادة التعليمية ومتعلقاتها وأطوارها ونوعية المتعلم...

❖ **فـــاعلة:** كثيرة هي التصورات التي لا يمكن أن ترى النور أو أن تتحقق على أرض الواقع وتظل حبيسة الأذهان التي تصورتها لأنها غير فاعلة، لابد من انتقاء معايير صالحة للتطبيق من أجل إنتاج نصوص تعليمية، ثم لابد من تطبيق مجموعة من الضوابط لتحقيق المهارة النصية، يحددها "دي بوجراند" في كتابه النص الخطاب والإجراء نلخصها في المخطط التالي:

* الضوابط التنظيمية:

وهناك ضوابط تنظيمية مهمتها ضبط الاتصال من خلال النصوص هي:

❖ **الجـــودة:** تتحقق من خلال حسن استغلال أدوات الاتصال، في محاولة لتحقيق أجود مردود، وتحميل الاتصال أكبر طاقة إعلامية ممكنة "تنجم جودة لاتصال عن استغلاله في الاتصال مع تحقيق أكبر مردود.

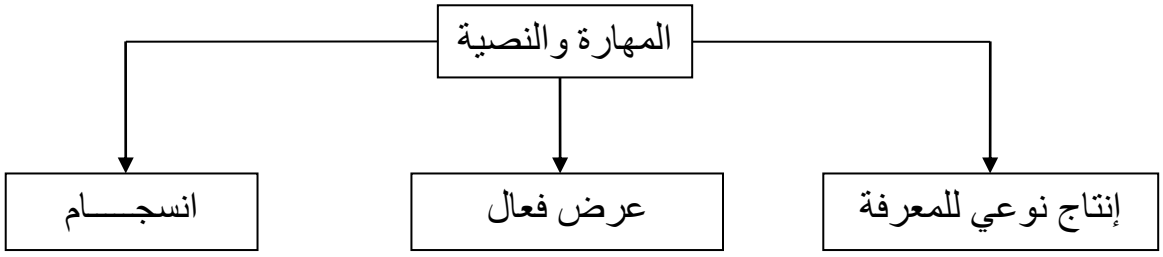

❖ **الفـــاعلية:** يعرف دي بوجراند النص بأنه "تجل لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصا ويوجه السامعين به، إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة، "ولا يتم هذا التوجيه إلا بتوفر عنصر القادر على التأثير في السامع من ثم إقناعه لتبني وجهة نظر معينة وبناء. على ذلك ينظر إلى الفاعلية على أنها شدة وقع النص وتأثيره في المستقبل، بحيث يتوفر عمق المعالجة، الإسهام القوي في تحقيق الفاعلية.

❖ **الملاءمـــة:** النص سواء أكان مكتوبا أم منطوقا، هو نتيجة لتفاعل وتضافر مجموعة من الآليات التي لا بد لها من خطة ونظام محكم، يربطها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المدروسة وما يحقق مبدأ الملاءمة.

إن اعتماد مثل هذه المواصفات، يسمح بنقل متزن لمرتكزات النظرية وعناصرها التنظيمية والقدرات المحققة لها إلى الجانب التعليمي.

3. خصائص المقاربة التعليمية الجديدة:

يتبين لنا من خلال ما سبق مفهوم جديد للمقاربة التعليمية أهم خصائصه[1]:

1.3. تثمين دور المتعلم في العملية التعليمية:

أنه يهتم باللغة وبالمتعلم في آن واحد،" يمثل المتلقي في مجال لسانيات النص ذاتا متميزة تحمل تجربة خاصة، مما يجعله عضوا مساهما في عملية بناء الرسالة التي يقدمها النص وبهذا تتحطم فكرة النص المغلق التي سادت في الفكر البنيوي"[2]، فهو ينظر إلى متعلم اللغة على اعتبار أنه كائن حي يقوم بأنشطة مختلفة منها: العقلية والانفعالية والحركية، ولا يمكن أن نفصل بين هذه الأنشطة وبعضها البعض. فعندما يتكلم الفرد باللغة فإنه بذلك يمارس نشاطاً حركياً يستدعي استعمال الأجهزة الصوتية، ولكنه في نفس الوقت يفكر فيما يقول، كما أنه ينفعل بما يقول ويضمنه أحاسيسه وانفعالاته، كما أن هذا المفهوم يرى أنه يجب أن تتكامل خبرات المنهج بحيث لا يطغى جانب من تعلم اللغة على بقية الجوانب، فإذا اقتصرنا على الاستماع دون الكلام، أو القراءة دون الكتابة فإن ذلك يؤدي إلى قصور والانفعالية والحركية، ولا يمكن أن نفصل بين هذه الأنشطة وبعضها البعض. فعندما يتكلم الفرد باللغة في تعلم اللغة، ومن هنا ينبغي أن تتكامل خبرات منهج تعليم اللغة لتؤدي إلى استعمال اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.

2.3. النص دعامة محورية في تعليم اللغة:

لا يتم التحصيل العلمي المعروف بصورة جيدة إلا من خلال النصوص، وأن الاهتمام بدراسة النصوص المكتوبة والشفهية ينبع من إدراك حقيقة "كون دراسة الجملة باعتبارها أكبر

---

[1] آليات تحويل النظرية النصية، ص75.

[2] عبد الجليل غزالة: لسانيات النص والمتلقي، مجلة نزوى، عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلام، ع56، 2009م، ص36.

الوحدات اللغوية تعقيدا، لا يكفي لفهم وشرح طريقة استخدام اللغة؛ أي الكلام التواصل الكلامي بين الناس يجري في العادة عن طريق النصوص، إذ حتى لو تم الحديث الكلامي باستخدام الجملة الواحدة فإنها في سياقها المقامي ستعتبر نصا.

التدريس عبر استعمال نصوص متكاملة يسهم في تحقيق الكفاءة النصية ويزيد من نجاح المشروع التربوي، يرى "دي بوجراند" أن« نشاط استعمال النصوص هو مركز هذا المشروع التربوي. ذلك أن الإنتاج والاستقبال للنصوص ذات الكفاءة والتأثير والمناسبة يتطلبان كل القدرات العقلية..، ومن هنا تمنحنا العلوم المبنية على اللغة مجالا محوريا يمكن به للنمو العقلي أن ينسق من خلال مناهج دراسية،»[1] ومن هنا يتضح لنا الدور الجوهري الحاسم الذي يقوم به النص في العملية التواصلية.

ويمكن الوقوف على اتجاهات ثلاث لتعامل مع النص:

- ✓ الاتجاه الأول يركز على كون النص متوالية من الجمل.
- ✓ الثاني يؤكد على المنحى الإنجازي للغة باعتبار النص انجازا واقعيا لحدث لغوي.
- ✓ الثالث يتعامل مع النص بوصفه علامة كلية أو كتلة واحدة.

3.3.التركيز على كلية النص:

النص كما أسلفنا يمثل محو العملية التعليمية، ولا يتم التحصيل العلمي بصورة جيدة إلا من خلال نصوص حسنة التنظيم، ذلك أن المعلومات التي ترد في مقاطع نصية مفككة ومبعثرة تجعل التحكم مضطربا وشاقا. ويرى "د. أحمد المتوكل" أن النص لا يمكن أن يكون جملا متناثرة وغير مرتبطة، بل يجب أن يكون مجموعة منتظمة ومرتبطة ومتماسكة تؤدي دلالة حتى نسميها نصا. وقد تكون الجمل المكونة للنص جملا بسيطة أو جملا معقدة أو جملا من الفئتين معا ،وليس كل مجموعة من الجمل نصا، إذ لا يقوم النص إلا إذا ربطت

[1] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص557.

بين وحداته علاقات اتساق، بعبارة أخرى لا تشكل مجموعة من الجمل نصا إلا إذا كانت تكون خطابا أي وحدة تواصلية ذات موضوع وغرض معين، وضمن هذا المنحى أضحت الأنشطة مثل القواعد والبلاغة والعروض والنقد التي كانت تدرس مستقلة، مرتبطة بالنص الأدبي تنطلق منه وإليه تعود...[1]

4.3. التركيز على السياقات الدلالية وترابطها:

إن وظيفة كل من المرسل والمتلقي – طرفا معادلة الاتصال–هي فهم النص وإعادة بنائه أيضا، فالنص بنية منفتحة على سياقاتها التواصلية يُعد بحث العلاقات السياقية من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي. انشغل عدد كبير من الباحثين في علم اللغة النصي أو لسانيات النص في بحث أدوات بناء النص واتّساقه وانسجامه، منهم: فان ديك، روبرت دي بوجراند، درسلر، وبتوفي، إذ حاولوا جميعًا الكشف عن العلاقات النصية، لأنها هي التي تدعّم البنية النصية، التي تقوم على التماسك والانسجام؛ نظراً لأهميتها في تحقيق ما اصطلحوا على تسميته "بالكفاءة النصية".

إن العلاقات السياقية هي الأساس في عملية بناء النص، فهي محور النص وبدونها يظهر النص على أنه مقاطع صوتية غير مفهومة، ونتيجة للبحث والتحليل فإنها تقوم بالوظائف التالية:

أ- إنتاج نص متماس: لأنها تعطي النص سمة المقبولية الصحيحة، وما دام النص قد حصل على المقبولية من قبل المستقبل، فإن هذا يضمن – كما سبق ذكره – نجاح عملية الاتصال اللغوي، وذلك لتحقيق معايير النصية أو الكفاءة النصية.

[1] ينظر: أحمد المتوكل: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، مصر، د ت، ص 82.

ب–تجعل النص شبكة نسيجية من الصعب فك عراها: لأنها تعزِّز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تترابط فيما بينها لتشكّل النص، وذلك على اعتبار أن النص هو "نسيج من الكلمات يترابط بعضها مع بعض"[1].

ج–إنّ الفعل النسيجي الذي تقوم به هذه العلاقات يعزِّز المنحى التداولي النصّي، ويؤدي إلى نجاحه واستمراره، فالحديث عن العلاقات السياقية ليس حديثاً عن علاقة لفظة بأخرى داخل الجملة، وإنما علاقة جملة بأخرى، ومعلوم أن مستخدم اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة وإنما يكون على أساس النصوص[2].

كما أنّ وجود المكوّن التداولي إضافة إلى المكونين النحوي والدلالي، سيؤدي إلى تحديد مدى مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً، وهذا كلّه في النهاية يؤدي إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل، ممّا يجعله يتفاعل مع النص ويستمر.

د–تعمل العلاقات السياقية على تحقيق الفهم الصحيح للنص، وتنظيم أفكاره وتتابعاته الدلالية المختلفة، نظراً لما توفره من أسباب الربط القائم على الإحالة والحذف والاستبدال والاتساق المعجمي أو الانسجام المعجمي، وهذا من شأنه أن يجعل الأجزاء النصيّة تقوم بوظائفها الحقيقية ضمن كلّ مرحلة من المراحل المنجزة. لذا فإنّ دراسة العلاقات السياقية تعني الكشف عن الأدوات التي تمكّن المرء من اكتشاف طرق بناء النص، ولِمَ يكون هذا النصُّ ناجحاً وذاك غير ناجح؟ ولِمَ يؤثّر هنا النص في الإنسان فيدفعه إلى التواصل؟ ولِمَ لا يؤثّر ذاك النص ويدفع الإنسان إلى الملل؟ باختصار، إن دراسة هذه العلاقات هي دراسة لطرق بناء النص ودراسة لأدوات اتّساقه وانسجامه.

يعمل الخطاب العملي التداولي على تفعيل الأنظمة اللغوية وغير اللغوية، ثم إن فكرة اللسانيات التطبيقية ستسهم إسهاما مهما في التفعيل اللغوي، لأن دراسة النظم المجردة

[1] الأزهر الزناد: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص30.

[2] ينظر: البحيري: علم لغة النص، ص 12.

للوحدات الصوتية والوحدات الصرفية وأنماط الجمل لا يمكن إلا أن تمدنا بفكرة ناقصة فقط عن العمليات اللغوية في حالات الاستعمال "[1].

يصبح النص المدروس عبارة عن جنين ينمو باستمرار خلال مراحل تكوين الخطاب؛ أي منذ البداية وحتى النهاية إنه يتحرك على مستوى الانجاز ضمن نسق جمالي وفكري وفني مستند إلى حرية المتكلم في تنميطاته المتنوعة الحالات"[2]، ونتيجة لما وجه لهذا المفهوم القاصر لمنهج تعليم اللغة اتجه العاملون في هذا الميدان إلى التفكير في مفهوم واسع وفعال للمنهج، يرى أن تعلم اللغة لا يتم إلا من خلال مواقف لغوية طبيعية حياتية اتصالية يمارس المتعلم من خلالها اللغة ممارسة طبيعية، لذلك رأوا أن المنهج يعني مجموعة من المواقف والخبرات اللغوية والأنشطة الاتصالية التي تُهَيَّأ وتعد وتختار وتخطط وتنظم، لكي يعايشها متعلم اللغة ودراستها ويتمرس بها، ليصبح قادراً على استخدام اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.

تنطلق هذه الفكرة من أن التعليم لا يتم إلا من خلال مواقف لغوية طبيعية حياتية اتصالية يمارس المعلم من خلالها ممارسة طبيعة، من خلال محاكاة مواقف حياتية تماثل الواقع المعيش الذي قد يصادف المتعلم خارج أسوار الفصول الدراسية، لذلك كان لزاما على المختصين الانتقال من كفاءة لغوية تحدها حدود النص إلى كفاءة اتصالية يمكنها محاكاة مواقف حياتية.

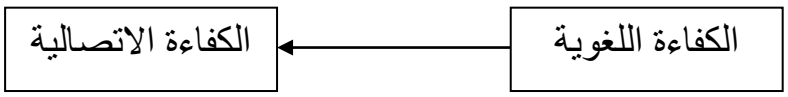

يقف الأستاذ رشيد أحمد طعيمة بناء على ما سبق على مجموعة من الأخطاء التي يقع فيها المنهاج نتيجة لاعتماده على الكفاءة اللغوية فحسب:

[1] دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص 562.

[2] عبد الجليل غزالة: لسانيات النص والمتلقي، ص35.

- ✓ اهتمام العديد من المناهج الحالية باللغة ذاتها من حيث ما يدور حولها من معلومات ومعارف، وقصور الاهتمام بتعليم استعمالها وممارستها؛
- ✓ الاعتماد على المعلم كملقن للغة وليس مهيأ لمواقف لغوية، يتيح الفرصة للمتعلم لاستعمال اللغة استعمالاً حقيقيًا؛
- ✓ الاعتماد على مادة الكتاب المؤلف لتعليم اللغة دون أن يصحب هذا الكتاب أنشطة لغوية معملية، أو ممارسة عملية للغة في مواقف حية وطبيعية؛
- ✓ اعتماد العديد من كتب تعليم اللغة العربية المطروحة في الميدان على مداخل تقليدية في تعليم اللغة متأثرة بتعليمها لأبنائها، ومستندة إلى نصوص صعبة أو غير شائقة أو غير عصرية، وعلى موضوعات تقليدية بعيدة عن مواقف الاتصال اللغوي الشائعة في حياة الدارسين؛
- ✓ الاهتمام بحفظ الطالب لما يوجد بالكتب من كلمات وجمل وتراكيب، دون الاهتمام بتوظيف هذه الجوانب في مواقف لغوية جديدة؛
- ✓ الافتقار إلى تخطيط منهجي لتعليم اللغة العربية يأخذ في اعتباره الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية للغة، كما يأخذ في اعتباره المحتوى الثقافي والمعالجة التربوية، ويتمرس بها ليصبح قادراً على استخدام اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة[1].

[1] ينظر: رشيد أحمد طعيمة، أحمد الناقة: تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة، الرباط،2006م، ص ص16- 17.

4. الجهود العربية في مسألة التكافل بين لسانيات النص والتعليم:

البحوث المؤكدة على نجاعة لسانيات النص في ميدان التعليم والتعلم كثيرة على المستوى العالمي، مما أهلها لتمثل منهجا ومرتكزا لترقية التعليم. ولم تحد أغلب البحوث العربية في هذا المجال عن هذه الفكرة، بل إن هذا المنهج قد فُعل في النظم التعليمية الرسمية كما حدث في الجزائر مثلا؛ إذ اعتمدت المناهج التعليمية الإصلاحية على مقاربة نصية تتخذ من النص منطلقا تعليميا وهو ما تقر به هذه المناهج إقرارا صريحا، نقرا مثلا في الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثانية من التعليم العام والتكنولوجي "أن منهاج اللغة العربية هذا مبني على المقاربة بالكفاءات من حيث هي مقاربة بيداغوجية، ويتم تفعيله بدلالة المقاربة النصية من حيث هي مقاربة تعليمية "[1].

وفي توصيفهم للمقاربة النصية نقرأ أنها "مقاربة بيداغوجية تهتم بدراسة بنية النص ونظامه،" هذا باعتبار النص البنية الكبرى التي تظهر فيها بوضوح كل المستويات اللغوية (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، أسلوبية)، والمؤشرات السياقية (مقامية، ثقافة، اجتماعية)، وبهذا يصبح النص بؤرة العملية التعلُمية بكل أبعادها، منه تنطلق وحوله تدور الأنشطة جميعا، وذلك خدمة لغرض محدد هو العمل على تنمية الملكتين الشفهية والكتابية.

في ظل هذه الأهمية التي يكتسيها البحث النصي باعتباره هيكل العملية التعلُمية التعليمية التي يعتمد عليها مشروعنا تربية أجيال وبناء أمة بأكملها، هل نجذ من المؤلفات والبحوث ما يعطي هذه العملية حقها من المناقشة؟. ويتباحث أبعاد القضية وإسقاطاتها التطبيقية.

هل من أبحاث جادة سبقت هذا الانتقاء لدراسة أُطر هذه النقلة وطرق تحويلها من طابعها النظري إلى الطابع التطبيقي؟. هل من آليات دقيقة ومضبوطة تضمن هذه النقلة؟.

[1] الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثانية من التعليم العام والتكنولوجي اللغة العربية وآدابها، ص17.

ثم هل ثمة دراسات متخصصة في مجال اللغة العربية بل والمدرسة العربية؟ أم أن ما حدث ليس إلا نسخا لبرامج أجنبية مأخوذة عن دراسات أجنبية؟

الحقيقة أن البحوث التي استطعنا الوقوف عليها في هذا المجل تكاد تعد على الأصابع وأغلبها لا يجاوز أن يكون مقالات منشورة موجزة أو أعمال تمت في إطار بعض الندوات، أو رسائل جامعية، أو مبحثا يخصص لهذا الباب الواسع في طيات مؤلف أكثر ما فيه تعريف بالنظرية وخصائصها؛ لذلك يمكن الجزم بأن القناة التي تحولت منها النظرية النصية على الإطار التطبيقي التعليمي لا تزال غير واضحة المعالم عند العرب، وتحتاج منهم على بحوث معمقة في هذا الميدان وقد وقف هذا البحث على جملة من الأعمال التي خاضت في هذا الباب.

النموذج الأول: مدخل إلى علم لغة النص

مؤلف "إلهام أبو غزالة وخليل أحمد"، عبارة عن تطبيقات لنظرية "دي بوجراند" و"ديسلر" التي تناولاها في مؤلفهما الشهير (النص الخطاب والإجراء)، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1996. يُقدم هذا البحث للقارئ العربي على أنه ناقل لنظرية جديدة تمثل " ثورة علمية في الدراسات اللغوية الحديثة "[1]،وإنما الثورة التي تقصد هي الانتقال من محدودية الجملة إلى آفاق النص، لاعتباره الوحدة الأساسية للتحليل اللغوي "وحدة لغوية فاعلة في عملية الاتصال الإنساني"[2].

ولعل أبرز ما في هذا البحث تكريسه للجانب التطبيقي لهذه النظرية، حيث اشتمل على وفرة من الأمثلة الإيضاحية المأخوذة من النصوص العربية القديمة والحديثة جميعا، كما خصص فصله الأخير إلى تطبيق المعايير المتداولة في النظرية على آية قرآنية.

[1] إلهام أبو غزالة وآخرون: تمهيد كتاب مدخل إلى علم لغة النص، ص268.

[2] المرجع نفسه، ص268.

يتكون هذا البحث من أحد عشر فصلا، خصص أولها لطرح الأفكار الأساسية التي يتبناها البحث، فيما اتسم الفصل الثاني بطابع تاريخي، إذ اتبع السيرورة التاريخية لعلم النص.

وكان الثالث مدخلا إجرائيا، فيما خُصصت الفصول من الرابع إلى التاسع للتعريف بالمعايير النصية. وقد خصص الفصلين الأخيرين للبحث في تطبيقات علوم النص على التدريس، ثم تطبيق النظرية بكل جوانبها على آية قرآنية.

ما يهمنا في بحثنا هو حيثيات الفصل الحادي عشر المعنون بـ:" في البحث والتدريس"، الذي تضمن تطبيقات علم النص على الجانب التعليمي، فضلا على جوانب أخرى متعلقة باللغة على النحو التالي:

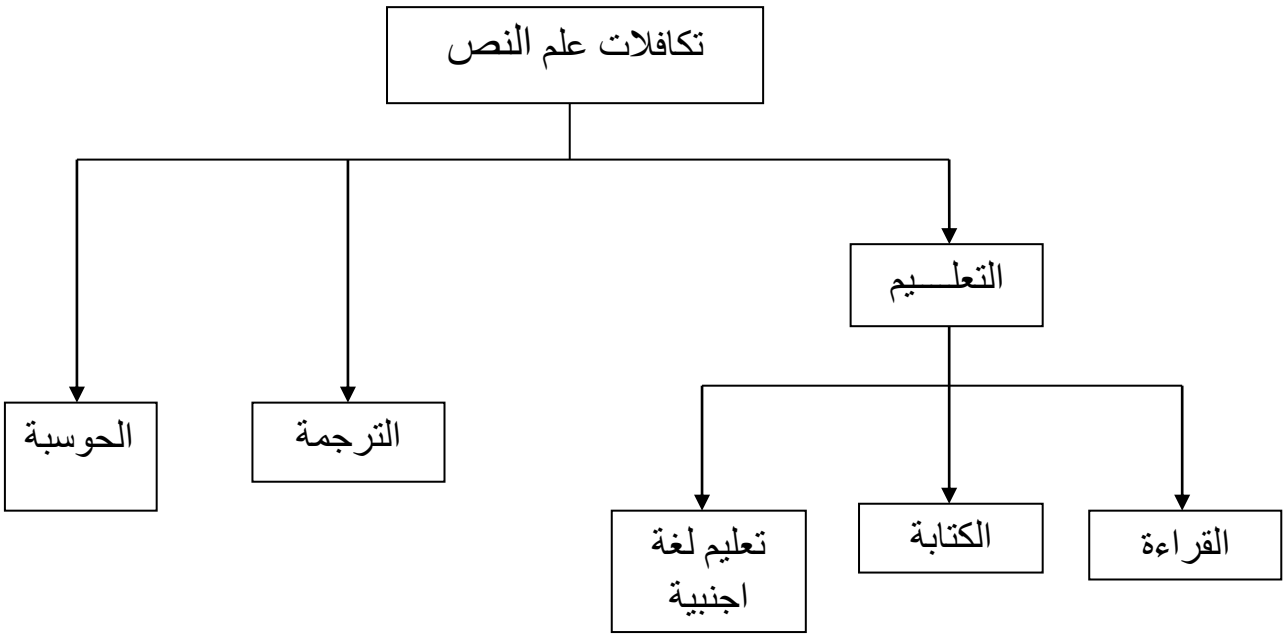

يُستهل البحث بالإشارة إلى الاهتمام الذي يوليه علم النص للجانب التفعيلي التطبيقي لإسداء النفع للأنظمة المتصلة باللغة، أو في "مناهج البحث المؤدية إلى تحسين المهارات القائمة على اللغة في المجتمع الواسع"[1]. إذ يُعلن الباحث أن هدفه "أن يقدم إجمالا لبعض

[1] إلهام أبو غزالة وآخرون: مدخل غلى علم لغة النص، ص 268.

الطرق التي يمكن للمدخل الذي عرضناه..، أن يسدي بواسطتها نفعا للبحوث من مختلف أنظمة المعرفة، وكذلك التعليم المرتبط باللغة[1].

يؤكد البحث أن علم لغة النص قادر على إفادة البحوث التعليمية، ما دامت الاستراتيجيات والإجراءات الفاعلة في أثناء إنتاج النصوص واستقبالها تخضع لمعايير محددة الجودة الفاعلية، والملاءمة (التي يحددها "دي بوجراند")، "فلا بد حينئذ من أن يمتلك علم لغة النص من الطاقة ما يجعله قادرا على الإسهام في تعليم اللغة "[2]. إذن فالنصوص تحمل من النظم والميكانزمات العلمية التي تؤهلها لأن تكون مادة تعليمية، وذلك بمجرد الكشف عن تلك النظم التي "تشتمل على جميع المهارات الأساسية الموجودة في السلوك البشري العقلاني"[3]، وهذه الأنظمة بوجه عام يمكن حصرها فيما يلي:

مقدرة حل المشكلات؛

مقدرة التخطيط؛

مقدرة صنع الفرضيات؛

مقدرة مزاوجة الأنماط؛

سهولة المعالجة؛

عمق المعالجة للوقائع غير المحتملة؛

مقدرة تقليص التعقيد لمواجهة قيود المعالجة؛

مقدرة الحفاظ على استمرارية الخبرة؛

مقدرة الإسقاط أو الاستنتاج لمختلف هذه الميول والنشاطات لدى المشاركين الآخرين[4].

---

[1] ينظر: المرجع السابق ص 268.

[2] المرجع نفسه، ص268.

[3] المرجع نفسه، ص268.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص268.

2.4. تعليم القراءة والكتابة بمدخلات نصية:

سار البحث على خطى "دي بوجراند" في مؤلفه النص الخطاب والإجراء الذي خصص القسم الأخير منه للبحوث التطبيقية الممكنة الانجاز، بالاعتماد على مدخلات النظرية النصية والتعليم على رأس القائمة، سواء تعلق الأمر بتعليم القراءة أو الكتابة، والذي أخذ منحا جديدا باعتماده على النحو النصي الذي خلصه من مآزق ظلت تورقه عند اعتماده على النحو الافتراضي، وطرقه التقليدية في القراءة التي تعتمد على المكونات الظاهرة للنص من طول أو تكرار، وهي طريقة وصفت بأنها "بسيطة تتسم بالمباشرة في التطبيق، ولكنها ليست حاسمة الأهمية في دقة القياس"[1]. وهو ما دعا إلى منهج فكري جديد يغطي عجز الأنظمة الافتراضية التي أثبتت عجزها، "ومن الجدير بالذكر بوسع علم النص الإسهام في تعريف قابلية القراءة، بأنها ملاءمة المادة المعروضة للتقبل عند جماعة معينة"[2]، تعتمد هذه النظرة الجديدة المرتكز على مدخلات علم النص التي تزاوج بين البنية العميقة والنظر إلى البنية السطحية للنص، مع الاهتمام بالمقام والسعي إلى تفعيل اللغة.

بخلاف النظرة التقليدية التي ظل البحث فيها عاكفا على: " آليات ظاهر النص: كالترقيم والتوافق بين الفعل والفاعل واختلالات النحو"، ويتم تقييم العمل الناجح بالنظر إلى خلوه من الأخطاء في آليات ظاهر النص.

3.4. الترجمـــة:

تعتبر من الميادين التي أعاق النحو الافتراضي تطورها، باعتماده أسلوب الترجمة الحرفية، أين يتم "تحليل النص على عناصر مفردة (أو مجموعات صغيرة من العناصر)، ثم يستبدل كل عنصر (أو مجموعة عناصر) بما تناظرها في اللغة المترجم إليها"[3]. وقد

[1] المرجع السابق، ص271.

[2] المرجع نفسه، ص271.

[3] المرجع نفسه، ص276.

استبدلت الترجمة الحرفية بترجمة حرة يمتلك فيها المترجم حرية التقدير، " فيقدر وظيفة النص بتمامه في المثال ثم يبحث عن العناصر التي تحقق تلك الوظيفة في موقف ما من اللغة المترجم إليها "[1]، ولا يتم مثل ذلك إلا بالإحاطة بكلية النص.

4.4. تعليم اللغات الأجنبية:

يتعرض تعليم اللغات الأجنبية للمخاطر في الوقت الحاضر، حتى كاد الناس يحسبون العجز عن اكتساب اللغة الجديدة اكتسابا لائقا أمرا طبيعيا، وإذا بحثنا عن الآليات والطرق المعتمدة في تدريس اللغة الثانية، لاحظنا أن المدخل السلوكي المعتمد على الطرق المباشرة السمعية، "ما يزال قائما بالرغم من سقوط النظريات السلوكية في التعليم وفي مجال علم النفس ذاته"[2].

وقد أدى هذا الأمر إلى تركيز الاهتمام على الجانب الافتراضي التقعيدي للغة (قواعد اللغة) وإهمال الممارسة الفعلية الواقعية لها، حتى "يُحمل المتعلم على التصرف. وكان إتقان علم القواعد هو الأولوية العليا عند التفوه بأي شيء (هذا هو المعيار المألوف للتقييم والاختبار)، مما يجعل أولئك المتعلمين غير قادرين على التفوه بأي شيء"[3]. ولا يمكن لعاقل أن ينكر التمايز بين اللغة كنظام افتراضي ثم كتجلي طبيعي واقعي فعلي، ولو كان عقال اللغة يؤخذ من نحوها، لما تسنى للصبي أن يتكلم في سن حديثة جدا وهو لا يعقل من النحو شيئا، ولا تمكن الأميون من الأخذ بناصية اللغات، ولكان وجود القاعدة أسبق من وجود اللغة.

لذلك كان لزوما على أهل اللغة ردم الهوة بين الممارسة الفعلية والجانب الافتراضي للغة، وأكثر ما يساعدنا على بناء هذا الجسر هو الاعتماد على مدخلات اللسانيات النصية

---

[1] المرجع السابق ص276.

[2] المرجع نفسه ، ص278.

[3] المرجع نفسه ، ص 278.

التي تعتبر الجانب التفعيلي للغة مرتكزا من مرتكزاتها. كما "يستطيع علم النص الإسهام في إعداد أولويات جديدة، وفي اختيار قوانين وإجراءات كافية للاتصال من خلال النصوص."[1]

كما أشار البحث إلى نظم أخرى يمكن تطويرها بالاعتماد على النص مثل الحاسوب الالكتروني، لكنها إشارات مقتضبة. يمكن تلخيص هذه التجربة البحثية في أفكار أهمها:

*اعتمد البحث على أفكار مبثوثة في مؤلف النص والخطاب والإجراء، حتى يمكننا اعتباره ترجمة لتلك الأفكار، ويعتبر من الكتابات التمهيدية العربية التي مازالت مستمرة لعقود تحاول التعريف بلسانيات النص.

*لم يكتف البحث بترجمة الأفكار الثورية لـ "دي بوجراند"، لكنه حاول أن يجد لها تطبيقات في نصوص عربية متنوعة.

*البحث في التدريس في مؤلف إلهام أبو غزالة، لا يمثل إلا مبحثا واحدا مختصرا اعتصر فيه البحث أفكار الكتاب الأصلي، وهو لا يزيد عن بضعة صفحات (12 صفحة).

النموذج الثاني: مقدمة نظرية في تعليمية اللغة بالنصوص

النموذج عبارة عن مداخلة للأستاذ "**بشار إبراهيم**"، نشرت بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية بتاريخ جوان 2010م. يصف الباحث مداخلته بأنها مراهنة "على أهمية النصوص في العملية التعليمية، ومحاولة تسليط الضوء على مختلف الخيارات التي يقدمها النص في تعليمية اللغة العربية، والتي لم تعرها النظريات السابقة اهتماما كبيرا ونافذة في الوقت نفسه إلى طريق استثمارها في العملية التعلمية القريبة والبعيدة".[2] يؤكد الأستاذ بشار في بحثه على أحقية النص وأولويته في العملية التعلمية، باعتبار أن التعليم واحد من القطاعات العديدة

[1] المرجع السابق، ص278.

[2] بشار إبراهيم : مقدمة نظرية في تعليم اللغة بالنصوص ، قسم الأدب العربي، كلية الأدب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ع7، جوان 2010م، ص120.

التي سارعت لاحتوائه بوصفه" ممثلا شرعيا للغة الطبيعية، ونموذجا فعالا للتفاعل بين اللغة وغيرها من المعارف"[1]، فينتقل البحث بذلك من ضيق الجملة إلى آفاق النص ومن افتراضية النحو وتجريداته إلى واقعية النص.

وقد تلقت المناهج التعليمية هذه النقلة النوعية في محاولة للحد من الخلل والوهن اللذين ظلا يسيطران على الجانب الأدائي في العملية التعليمية، نظرا "لاكتفائها بتدريس اللغة العربية بصورة نمطية مملة قوامها التجريد، وذروة سنامها إيصال القاعدة النحوية، وأما الحديث عن مناخ لغوي فصيح يشتمل جميع بنيات اللغة ووظائفها فلا أثر له"[2].

ينطلق البحث من جملة إشكالات أهمها:

-ما طبيعة المؤهلات التعليمية الموجودة في النصوص والممكنة الاستثمار في تعليمية اللغة؟. وما الذي يمكن أن يقدمه النص لمتعلم اللغة؟.

يجد الباحث في علم النص الحل الذي يعالج به مشكلات التعليم عبر بناء جسور تربط بين اللغة والواقع الاجتماعي والنفسي للجماعة اللغوية، من خلال "الانطلاق من الموجود إلى ما يجب أن يكون، وتقديم الأهم المتداول على الأقل تداولا والأعسر متناولا..، وهذا يتجسد باستراتيجية مدروسة قوامها النصوص لا الجمل "[3].

هذا طبعا باعتبار أن الجمل امتداد لنظام افتراضي، أما النصوص فتلامس واقعا تواصليا مما يؤهله ليمثل نموذجا تعليميا لغويا أهم ما يميزه:

* ملامسة الاستعمال اليومي للغة حيث نتواصل بنصوص لا بجمل.

*مرتبط بحالات الاستعمال أكثر من النظم الافتراضية.

[1] المرجع السابق، ص 2.

[2] المرجع نفسه، ص3.

[3] المرجع نفسه، ص5.

1. أثر المعايير النصية في تعليمية النصوص:

2.1. الإتســـــاق: أو الـربط النحـوي، وهـو التـرابط الرصـفي القـائم علـى النحـو فـي البنيـة السطحية..، وهو يشتمل على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق متتابعة بشكل أفقي، يعتمد كل عنصر على العنصر الآخر وفقا لقواعد التبعية[1]، أما في الجانب التعليمي المعتمد على النحو التقليدي فلا نكاد نجد اهتماما يذكر بهذه الظاهرة في بحثه عن الوصف العلمي للظاهرة اللغوية رغم أهميته في تحصيل كفاءة نصية للمتعلم. "وتتعلق أهمية هذه الوسائل في أنها تتعلق بمستويات اللغة المختلفة المنظور إليها من جانب البنية الكلية للنص المتعلم، بمعالجته لاتساق النص لا يكتسب قاعدة نحوية فقط، بل يتمثل في البنيات كاملة في تناغم عميق بينها لا بانفصال بعضها عن بعض"[2]. وتساعد هذه الآليات الترابطية على بناء وهندسة عالم النص، ومنحه تلك الكلية والكتلية التي يتميز بها عما يمكن تسميته اللانص.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قدرة التلميذ على هندسة نصه وبنائه بناء متكاملا ،لا يتم إلا بإحاطته بآليات الاتساق التي تيسر له ربط أداءاته فكرا كتابة ومشافهة، وبغيابها تغيب نصية النص التي تصنعها هذه الوشائج الترابطية بمختلف أنواعها.

2.1. الانسجـــام: انسجام عالم النص يعني الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، ويظهر الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث داخل بنية النص، وتُعتبر العناصر المقامية والعلاقات الداخلية المتعاقبة من الأمور المهمة التي يعتمد عليها الحبك (الانسجام).

تطفوا آليات الاتساق على سطح النص بحيث يتمكن المتعلم من حصرها، بعكس آليات الانسجام التي تتسم بعمقها؛ أي أنها لا تظهر على سطح النص إلا بمفعولها

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص103.

[2] بشار إبراهيم: مقدمة نظرية، ص7.

وأثرها، لذلك فهو يُفعِل خاصية التذكر عند المتعلم ليجعل أنشطته التعلُمية متعلقة بفكرة واحدة وهدف واحد وعاطفة متناسقة. أما في حالة تفكيكه أو تحليله للنص فإن وقوفه عند هذه الخاصية ينمي قدرته على التحليل بإبراز العلائق الخفية والوشائج العبر نصية، باعتبار أن الانسجام مرتبط بالدلالة التي تتحكم فيها عوامل منها لغوية ومنها غير لغوية.

وبهذا تصير قراءته للنصوص إنتاجية وعملية، لا مجرد قوالب جاهزة يتم إسقاطها على جميع النصوص. ويتسنى مثل هذا للمعلم في تعامله مع النصوص الرمزية مثلا التي تستدعي نصوصا ومعارف سابقة لفك ألغازها، والربط بين المعارف والصور والتأويل، وتظهر بذلك أهمية الانسجام في "تنشيط ذاكرة المتعلم وتحسين مقدرته على نسج ملفوظات مفككة وفهم رسائل مبهمة، ويتوقف ذلك على تشغيل المتعلم لمعلوماته ومعارفه بالعالم وسيرورة الأشياء فيه، واستثمار معطيات السياق اللغوي وغير اللغوي في ترتيب محمولات النص وتأليف أفكاره"[1].

ومن المزايا التعليمية التي يؤكد عليها البحث للانسجام تمكينه للمتعلم من "الفهم والقدرة على مقاربة المعطى الشمولي للدروس، كما أنه يسمح له بالاستغناء عن التذكر الحرفي السطحي للمعلومات..، كما يفيد الانسجام (نقصد فهم آليات الانسجام) المتعلم في إكسابه المقدرة على التأويل والتعمق في إبراز العلاقات الخفية بين أفكار النص"[2].

3.6. التنـــاص: يعرفها جيرار جينت بأنها علاقة حضور مشترك بين نصية أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية، وهي في أغلب الأحيان الحضور الفعلي لنص في نص آخر.* وهل يوجد نص صاف؟. بعيد عن النصوص التي تدخل في صلب وشائجه بوعي أو بدونه؟. هذا النص الصافي لا يمكن أن يتواجد في ظل الطابع الاجتماعي للغة وخصائصها التي تجعل منها عملية مترابطا بعضها ببعض في تأثير وتأثر عجيبين، تتوازى

[1] المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص8.

النصوص فيستدعي بعضها بعضا..، أن قدرة المتعلم على فهم هذه التداخلات وإدراكها يمكنه من تفعيل آليات أهمها التذكر والاستنتاج، وينمي قدرته على التواصل مع النصوص بفهم مكنوناتها إذا استلزم الأمر العودة إلى نص آخر، وباستعمال أجزاء منها أيضا لبناء نصوصه الشخصية.

التناص يُمكّن التلميذ من المقاربة بين النصوص المتشاكلة فيتدرب على ربط العلاقات والاستنتاج، ويخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن "تدريس التناص يفضي بالمتعلم إلى هيكلة استراتيجية شمولية يجمع فيها المؤتلف ويصنف فيها المختلف، ويتحاور على ضوئها النسق اللغوي بغيره من الأنساق"[1].

4.6. القصديـــة: يتضمن موقف منشئ النص لإنتاج نص يتمتع بالسبك والحبك ليكون وسيلة للوصول إلى هدف مرسوم وغاية بعينها، وتلك الغاية مقصد المنشئ..، وهي عملية تفترض طرفين (مرسل ومتلقي).

أما في الجانب التعليمي فغني عن الذكر أن فهم المقاصد هو السبيل الأوحد لتبليغ الرسالة التعليمية، فإذا كان فاقد الشيء لا يعطيه فأن المعلم الذي لا يعي المقاصد المتوخاة من العملية التعلمية التي هو بصددها يبعده عن أهدافه ويحكم على العملية التعلمية بالفشل، إذ لابد من تحديد المقاصد بدقة ثم بحث السبل الميسرة لنقلها. وتؤخذ هذه المقاصد من المنهاج أولا ثم من الوحدات التعليمية والمحاور المنتقاة، وصولا إلى النصوص الخادمة لتلك الأهداف والقادرة على إبراز الكفاءات المطلوبة وتنميتها.

5.6. المقبوليـــة: موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك وحبك، وأن تتوفر لها شراكة في الغايات بين المستقبل والمنتج. وإذا ما ضعفت هذه الشراكة أو انعدمت جراء تقبلية النص للتقييد تحول الاتصال من مجراه بقيام مستقبل النص، بالإمعان في طرح الأسئلة حول تقبليته.

[1] المرجع السابق، ص12.

المستقبل في الحقل التعليمي هو التلميذ الذي تبنى هذه العمليات لجعله قادرا على اكتساب كفاءة معينة، وتهميش التلميذ يذهب كل تلك الجهود أدراج الرياح. لذلك يتوجب مراعاة موقف التلميذ من المادة الموجهة إليه ومما ينتقى له من نصوص، "فالتلميذ إذا لم يوفق في إثبات النصية تقل بذلك مقبوليته للمادة التعلمية "[1]. وهذا العجز قد يكون مرده نفورا من النص إن لم يراعي أهمية اعتماد نصوص مأخوذة من حيز اهتمامات المتعلم، أو عجزا حقيقيا عن فهمه إذا لم يراعى مثلا تناسب المستويات بين التلميذ والنص المقترح. ذك فإن "تدريس القواعد بطريقة النص ضروري جدا لتحقيق اهتمام المتعلم ومقبوليته، يظهر ذلك جليا في خطوات هذا الأسلوب في التدريس والرامي إلى وضع القاعدة النحوية في مقام مناسب لتلقيها"[2]، والابتعاد عن الشواهد الجاهزة والمكيفة بحسب القواعد النحوية الافتراضية التجريدية.

6.6. الإعلاميـــة: هي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة؛ أي أن معيار الإعلامية النصية يرتبط بمدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول (بالنسبة للمتلقي). كلما استطاع المرسل تفعيل دور المتلقي في بناء النص، كلما جعله ذلك أكثر مشاركة في العملية التواصلية، وكلما كانت بذلك درجة الإعلامية أكبر، والعكس صحيح، فإذا نقص هذا الهامش نقصت الإعلامية.

إشراك المتعلم في العملية التعلمية يساعد على إنجاحها بجعله مساهما حقيقيا فيها يشارك في بناء النشاطات مشاركة فعالة، وكلما انتقيت له نصوص ذات إعلامية مرتفعة كلما كان له دور وهامش في بنائها وتشريحها أيضا. ولابد من تجنب النصوص المنتقاة على مقياس السهولة والشيوع الذي يكفل الاقتصاد في الجهد، والذي قد يكون "على سبيل الخطأ المعيار للأنشطة الإنسانية في عمومها ولقراءة النصوص بشكل خاص..، إن مثل هذه

[1] المرجع السابق، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص10.

الطرق في التفكير والإجراء تتجاهل الإجراءات العقيمة، فيمدنا بمستودع لكتب القراءة التافهة المملة للأطفال"[1] .ويضيف "دي بوجراند" أن «استعمال النصوص الخلاقة، يعين على حفز الطفل لتعلم القراءة»[2] .

7.6. المقاميـــــة: العلاقات المتصلة بالنص والمساعدة على فهم عالمه تدرج فيما يعرف بالسياقات أو المقام الذي يؤطر العملية التواصلية، ولا تقدم العمليات التعلمية إلا في سياق محدد له سماته المميزة، ورعاية هذا الموقف سبب من أسباب نجاح العملية التعلمية، "بل إن المعايير السابقة تصبح بلا أهمية إذا ما بترت عن مقامها واستغنت عن امتيازاتها الاتصالية ومقتضياتها التواصلية"[3]. لذلك يتوجب مراعاة المقامات المختلفة في انتقاء المادة التعليمية حجما ونوعا ولونا وتدرجا..، ويراعى التوقيت الذي تدمج فيه، والمساحة التي تخصص لها كما يراعى التنويع والتلوين والتغيير، حتى لا نصيب المتعلم بالسأم، ويحرص على أن تكون المادة المنتقاة قريبة من نفس واحتياجات المتعلم، حتى يكون قادرا على تذوقها.

خلاصة: لعل أبرز جهد بذل في بحث الأستاذ "بشار إبراهيم" هو استقراء الأبعاد التعليمية المنبثقة من صلب المعايير النصية التي تمثل عنصر ارتكاز في اللسانيات النصية، وهي المعايير النصية السبعة التي اقترحها دي بوجراند و التي وجدت اهتماما وقبولا عند اللسانيين المعاصري، وهي معايير تتجلى اغلبها في النص ولا يُؤخذ بها في مجال الجملة.

وأهم خصائصها:

*البعد التواصلي: أو التفعيل اللغوي؛

*الترابط ببعديه: المفهومي والرصفي؛

*السياق بأوجهه وأنواعه؛

وكلها تسهم في الانتقال من الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة النصية.

---

[1] روبرت دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص 565.

[2] المرجع نفسه، ص 566.

[3] بشار إبراهيم: مقدمة نظرية، ص 10.

النموذج الثالث: مدخل إلى علم لغة النص، ومجالات تطبيقه، "محمد الأخضر الصبيحي"

العنوان اختصار لمحتوى المؤلَف، الذي تضمن توصيفا لعلم النص يليه بحث عن المجالات التي يمكنها الإفادة منه. توزع ذلك بين مدخل ضم تجليةً لمفهوم النص باعتباره المصطلح الرئيس، فيما خُصص الفصل الأول للمحة تاريخية تضمنت التوجهات اللسانية التي سبق ظهورها علم النص (ق 18 – ق20)، فيما تمحور الفصل الثاني حول نشأة وتطور علم النص ثم حده، مباحثه، ومفاهيمه الرئيسة.

لتكون الفوائد التطبيقية لعلم النص من نصيب الفصل الثالث وقد قسمه البحث إلى: فوائد التعليمية العامة، ثم فوائد تعليمية اللغة بشكل خاص وقد خص بالبحث جانبي التدريس (التحليل)، ثم تعليم التعبير الكتابي (البناء). ولم يغفل البحث الدرس الأدبي وإمكانيات إفادته من علم النص، ليختم هذا البحث بنموذج تحليلي لنص شعري من منظور علم النص، يقابله نموذج من أبحاث العرب القدامى حول تماسك النص.

1.الفوائد التعليمية العامة:

يؤكد الباحث أن كل المجالات التي تمثل فيها اللغة العنصر الرئيس قادرة على الإفادة من علم النص، ولن يشذ التعليم عن هذه القاعدة ما دام النص يمثل فيها الدعامة الأساسية، «فإن التحصيل المعرفي والعلمي لا يمكن أن يحقق بطريقة جيدة» –كما يرى "دي بوجراند"– إلا من خلال نصوص حسنة التنظيم، لأن المعلومات التي ترد في مقاطع نصية مفككة ومبعثرة تجعل التعلم مضطربا وشاقا"[1]، ويمكن أن نستنتج جملة من إمكانيات الإفادة أهمها:

*يتيسر الفهم من خلال نصوص حسنة السبك، ففهم المتعلم للخصائص المميزة لخطاب المادة المدروسة ييسر عليه استيعابها، لذلك" يهتم جانب من علم النص بوضع المعايير التي تصاغ أو تنتج ومنها النصوص التعليمية في مختلف

[1] الصبيحي: مدخل إلى علم لغة النص، ص115.

التخصصات والمجالات، وذلك بتحدي خصائص الخطاب التعليمي بصفة عامة وخصائص نصوص كل مادة تعليمية بصفة خاصة"[1].

*إن البناء الجيد حسن السبك للنصوص يساهم في بناء عقل منظم منطقي وممنهج، يمكن صاحبه من "اكتساب مهارات نصية متعددة كمهارة الحجاج والاستدلال وغيرها، وكذلك اكتساب أنواع التفكير المنهجي كالتفكير القياسي والتفكير التدرجي والتفكير التصنيفي"[2].

*إن التمكن من ناصية تقنيات مثل الشرح والتلخيص، لا يتسنى للمتعلم إلا إذا أخذ تماسك البُنى النصية بعين الاعتبار فحافظ على سلامة بناء نصه رصفا ومفهوما وتخطيطا.

2.علم نص وتعليم اللغة:

ينطلق الباحث من مقولة لفان دايك توضح الفوائد العلمية العديدة في مجال تعليم اللغة خاصة بعد فشل الطرائق المرتكزة على الجملة، يقول "فان دايك": « فلا يجب أن يفهم تلميذ جملا فقط بل يجب أن يتعلم أيضا على أي نحو تنتظم المعلومات في نص أطول، في مقالة صحفية، كما يمكن أن يتعلم من خلال هذه المهارة بشكل فعال –ما أمكن ذلك – كيف يلخص نصوصا تلخيصا سليما وصحيحا، وأخيرا كيف تترابط الأبنية النصية مع الوظائف البرجماتية والاجتماعية للنصوص »[3].

ويمكن من كلام فان دايك أن تستخلص جملة من الاستنتاجات أبرزها:

- من الواضح عجز الجملة عن تحقيق المبتغيات التعليمية التي تتحقق في نصوص الاستعمال الفعلي (المقال الصحفي مثلا).

[1] روبرت دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء ، ص 565.

[2] الصبيحي: مدخل إلى علم لغة النص، ص116.

[3] فان دايك: علم النص، ص 334.

- كما يظهر عجزها عن التحكم في مقاليد التقنيات البارزة في التعلم، مثل الشرح والتلخيص الذي يعتمد على فهم النص قبل الشروع في شرح فكرته أو تلخيصها.
- الفهم الحسن للنصوص يتم إذا تم ربط أبنيتها النصية بمقاماتها البرجماتية والاجتماعية، وهو ما لا يمكن للجمل تقديره إذ هي معزولة عن سياقاتها.

إن الحديث عن تعليم وتعلم اللغة لا يتم دون تحقيق هدفين أساسيين يبتغيهما تعلم اللغات وهما: القراءة قراءة سليمة والكتابة بشكل صحيح، لذلك نجد أن علم لغة النص قد أفرد لهذين المبحثين مجالا هاما.

ولتحقيق هذه الأهداف يمكننا الاستفادة من النتائج البحثية لعلم النص لتيسير المقروئية مثلا، دون اللجوء إلى الحلول الإقصائية التي لجأت إليها الطرائق المرتكزة على نحو الجملة، باعتمادها على حذف المفردات الصعبة وتبسيط الجمل، التي قد تبدو للمتعلم معقدة وهي في الحقيقة ليست إلا تجل للمشكلات التي كان حلها واجبا على المتعلم، لو اعتمدنا على طريقة حل المشكلات التي تعتمدها الطرق التعليمية الحديثة.

إن اعتماد هذه الطريقة الاستقصائية يُخِل بجماليات النصوص المنتقاة للتدريس، وهذا ما يرفضه كثير من العلماء بدعوى "أن مبدأ الاقتصاد في الجهد قد جُعِل على سبيل الخطأ معيارا للأنشطة الإنسانية في عمومها، ولقراءة النصوص بوجه خاص (...)، ولقد أمدنا مبدأ الاقتصاد في الجهد بمستودع لكتب القراءة التافهة المملة للأطفال (...)، نظرا إلى الاعتقاد أنه ينبغي لنا أن نتابع الإجراءات السهلة، وأن نتجاهل الإجراءات العميقة "[1].

وإنما الذي نتج عن هذه الممارسة هو تتفيه وتشويه النص، ومعه تشوه التذوق الفني للمتعلم. "لقد أفقرنا النص، وجردناه من أهم مغريات القراءة التي تتمثل فيما يحتويه النص

[1] روبرت دي بوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص565.

الأدبي عادة من غموض، ومن أساليب غير مألوفة"[1] ، ولا يخفى بعد ذلك الأثر السلبي لهذه النصوص على قدرة المتعلم على اكتساب كفاءة تواصلية.

بحثُ "الصبحي" كشفَ عن نقاط هامة في إمكانات إفادة تعليم اللغة من علم النص، معتمدا على آراء لغويين مشهورين أبرزهم/ "دي بوجراند" الدي تأثر به أغلب الباحثين العرب، لكن إذا قارنا بحث "الصبيحي" مع بحث "إلهام أبو غزالة"، نجد أن الثاني أكثر تأثرا والتصاقا بمدخلات "دي بوجراند"، بينما استطاع "الصبيحي" أن يستفيد من آراء لسانيين آخرين أمثال فان دايك في مؤلفه: علم النص، ومؤلفات عديدة باللغة الفرنسية نذكر مثلا:

Courier (p) Psycholinguistique textuelle.

Beacco (Jean- Claude) et Darot (Mireille).

Analyse de discours. Lecture et expression Vigner (Gerar). Didactique fonctionnelle du Français.

VVE-Renter-enseigner et apprendre à ecrire E.S.F.

Beacco (J-C) et Darot (M) Analyse de discours : Lecture et expression

Adam (J-U) Linguistique textuelle : des genres de discours textes.

Vigner (G) lire : du texte au sens

Herbert Rûck : Linguistique textuelle et enseignement du français

تنوعت مراجع الرجل الأجنبية ولعل ذلك راجع إلى تمكن المغاربة عموما من اللغة الفرنسية، مما مكنهم من الاطلاع على المراجع المدونة بلغتها الأصلية.

[1] الصبيحي : مدخل إلى علم لغة النص، ص 119.

الخلاصـــــة:

تنتهي هذه الوريقة البحثية إلى جملة من النتائج أهمها:

التكافل المشروع بين اللسانيات النصية والمشروع التعليمي التعلمي؛ إذ يمكن اعتباره منهجا ومرتكزا مساعدا على ترقية التعليم، وهي مقاربة تستمد منطلقاتها من مرجعية لسانية معاصرة.

تتأسس المقاربة اللسانية النصية على أساس النص بوصفه إنجازا فعليًا لحدث لغوي، ويعتمد نجاح هذه المقاربة على قدرة التلميذ على تفكيك النص المقترح ثم إعادة بنائه.

المبحث الثالث: تطبيقات لسانيات النص على النص الشعري

نال النص الشعري نصيبا وافرا من الدراسة والبحث، وقد مثل حقلا خصبا لتجارب نقدية عديدة، كما سُلطت عليه مقاربات لسانية مختلفة تدعي كل منها قدرتها على بلوغ أغواره. ويعتبر بذلك "البحث في تحليل النص الشعري تاليا للبحث في البنية على وجه العموم، من ناحية لأن استثمار هذا المنظور من معالجة الشعر كان لاحقا لاستثماره في دراسة أنظمة العلاقات بين المرسل والمتلقي في حقل اللغويات المعاصرة، ومن الناحية الأخرى لأن مدخل التحليل الذي سلكته التحليلية النصية مثل إحدى السمات المميزة لمرحلة ما بعد البنوية، وهي المرحلة التي بدأت مع مطالع السبعينيات، وربما قبلها ثم استمرت يشكل أو بآخر طيلة العقد الثامن وما تزال تطرح آثارها على دراسات الآداب الأوروبية على اختلاف لغاتها وتنوع بيئاتها"[1].

ويعطي المختصون مثالا على ذلك كتاب "لوتمان" تحليل النص الشعري بنية القصيدة، الذي لا يعتبرونه فقط "أهم وثيقة نقدية تستغل هذا المنظور التحليلي في البحث الأدبي، ولكنه أيضا يمثل واحدا من بواكرها"[2] ، إذ يعتبر من أوائل الذين أعملوا التحليل النصي على النص الشعري.

1. خصوصية النص الشعري:

إذا كانت قداسة النص القرآني وخصوصية كونه خطابا ربانيا متعاليا عن الخطاب البشري، تقف حاجزا عند بعض الباحثين أمام تعريضه لمناهج التحليل الأوربية، فإن النص الشعري وإن كان بشريا إلا أنه يحمل خصوصية جعلت اللغويين يتساءلون عن مدى إمكانية إخضاعه للمناهج اللسانية. وقد طرح "أ.د إدريس بلمليح" هذه الفكرة في تقديمه لكتاب السياق والنص الشعري لصاحبه "علي آيت أوشان" وأكد « أن تقديم مفاهيم اللسانيات المعاصرة في

[1] يوري لوتمان: تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ترجمة: د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف،القاهرة،1995 م، ص5.
[2] المرجع نفسه، ص5.

مجال الدرس الأدبي محفوف بكثير من المخاطر، وطريقٌ تعترضه صعوبات متعددة، ذلك أن التطابق المبدئي بين لغة الكلام اليومي ولغة الشعر يبتعد بنا لامحالة عن الأهداف المتوخاة من علمين اثنين متمايزين ومتباعدين في مستوى التصورات العامة، وفي مستوى مجال الاهتمام اليومية وعلم جمالية اللغة »[1] . وهو يحدد الفرق بين المجالين، فيعتبر أن مهمة الأول "إيجاد مقولات كبرى وشاملة لدراسة البنية الصوتية والمعجم والتركيب والدلالة"[2]، فيما تكمن مهمة الثاني في استقراء مواضع الجمال ومكامن الشاعرية في النصوص الأدبية والفنية.

غير أن الباحث رغم ذلك لا ينكر ما قد نجده من تداخل واشتراك بين العلمين وبين الأدوات الإجرائية التي يختصان بها، وذلك ما أغرى الباحثين للمقاربة بين اللسانيات والشعرية.

ويمكن حصر أهم الاختلافات بين الجانبين في أمور أهمها:

- اللسانيات تتبنى منهجا علميا، وتمثل الدراسة العلمية للغة، في حين أن الشعر ذاتي وجداني الطابع. وقد أصبح تحليل النصوص بذلك فعالية تستخدم النص للتوثق من أسس المناهج المطبقة، أو ميدانا لتجربة الفرضيات المستعان بها باعتباره شبكة معطيات، يبحث فيها كل فريق من المحللين عما يثبت نظرياتهم بعيدا عن جماليات النص الشعري وفنياته.
- اللغة الشعرية لها نظامها الذاتي المتميز والمختلف بحيث تبني دلالتها الخاصة التي لا يمكن أن تقارن بنظام التواصل اليومي، كما أنها تتضمن نوعا من التفاعل مع الواقع يخضع للتأويل. وهو تفاعل يتم وفق تصور تخيلي لقارئ أو مستمع

[1] إدريس بلمليح: تقديم كتاب السياق والنص الشعري، علي آيت أوشان، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، ط1، 2000 م، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص7.

مفترض يحضر في النص، باعتباره أنه ذو أفعال إرجاعية متأثرة وناقدة ومقومة[1]. إن هذه اللغة تتميز بانفجاراتها التعبيرية التي تهيئ لها سيولة حركية وانفتاحات دلالية، حتى أن بعض الدارسين قد شبه "الدرس الأدبي عموما والنص الشعري خصوصا بالعبوة الناسفة الجاهزة والقابلة للتفجير، والتحليل الذي يعالجها لا يحاول تعطيلها عن الانفجار، بل إطلاقها باعتبار أن هذا الإطلاق عن إبداعها فتبرز عناصرها الجمالية الشعرية "[2].

- يفرض النص الشعري مستوى من التماسك يتجاوز التماسك الرصفي السطحي، يطلق عليه صلاح فضل التماسك الكلي "يتجاوز الأبنية النحوية السطحية للنصوص، ويتصل بمجمل عالمه الدلالي والشعري، وهو يتجلى في تلك الحالات التي قد يبدو فيها النص مفككا من السطح، لكننا لا نلبث أن نتبين وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكها، تفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها مع تشتتها الخارجي"[3]. لذلك فإن تعلق المحللين بأدوات الرصف وتجاهلهم لأهمية الربط الكلي يغير الكثير من الأحكام.
- السياق في للنص الشعري يحمل خصوصية باعتبار أن الرسالة الشعرية تفتقر إليه، "إذ تنتمي إلى تواصل تخيلي ومفترض بين الباث والمتلقي، فالمبدع يجرد من ذاته ذاتا تخيلية تمكنه من اختلاق سياق معين يضمن له التواصل والتفاعل وبث الرسالة، كما أن المتلقي يقلب اللغة فيتخيل ذاتا تبث الرسالة وتعتبره مقصودا بها، فيتفاعل وينجز حدث القراءة ثم يتخيل سياقا معينا لهذا الحدث وذلك التفاعل.[4]
- الإعلامية أو أفق الانتظار مختلف في النص الشعري الحديث خاصة، فلو نظرنا إلى النصوص الشعرية القديمة لوجدناها تقدم مرفقة بما يعرفنا بمحيطها ومقامها

[1] ينظر: علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري ، ص137.

[2] قدور عمران: تحليل الخطاب الشعري، مقاربة نصية لقصيدة البارودي، مجلة العربية، مجلة علمية محكمة تصدرها مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، ع3، 2011م، ص ص185-186.

[3] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ص 144-143.

[4] ينظر: إدريس بلمليح: التقديم، ص9.

وظروف إنتاجها وتلقيها، ويتم ذلك من خلال الكشف عن المتكلم (الباث) والمتلقي والمناسبة "وكلها إحالات مرجعية تقلص المسافة بين النص والقارئ وتساهم في تأويل النص"[1]، وهذا ما يغيب عن النص الشعري الحديث، وحتى إذا وفرها فإنه قد يخيب أفق انتظار القارئ، مما يجعله مفتوحا على لعبة القراءة التي تنتج للقارئ افتراضات تجعله يتجاوز القراءة الأحادية ليحقق ما يسمى بقراءة الجمع اللامتناهية"[2] .

لهذا فإن خصوصية النص الشعري تجعل منه نصا متطلبا، "يحتاج إلى أدوات طارئة لها قدرة على الكشف المزدوج الذي يجمع بين السطح والعمق..."[3] ويتحمل كذلك التأويلات المفتوحة التي يطرحها هذا النص بانفجاراته التعبيرية.

إن مثل هذه العملية التحليلية تحتاج إلى نمط من التحليل الاستقصائي، القادر على تقصي " كوامن الإبداع القائمة في تفاصيل النص والأبعاد الدلالية التي تغمره، بحيث تتفتح على أكثر من ميدان جمالي وثقافي بل واجتماعي وذاتي"[4].

لكن كيف السبيل إلى مقاربة النص الشعري الملغم بالذاتية والزئبقية مع الحفاظ على الجانب العلمي الموضوعي للمقاربة التحليلية اللسانية النصية؟. يحمل حاتم الصقر رؤية في هذا المجال يوضحها مقترحه الموسوم "بموجهات قراءة النص الشعري.

2. التحليل النصي وموجهات قراءة النص الشعري:

بالنظر إلى الخصوصية المميزة للنص الشعري، وفي الوقت الذي يواجه فيه التحليل النصي بالتشكيك والسؤال عن إمكانية تحقيقه أو جدواه في عملية القراءة، التي يتفق النقاد على اختلاف مناهجهم على أنها نشاط فردي قابل ـ بسبب ذلك ـ للتعدد والتنوع، منوهين بصعوبة تحليل الشعر نظرا للطبيعة الفنية للقصيدة من جهة، ولغياب القواعد المقررة لنقد

[1] علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري، ص145.

[2] المرجع نفسه، ص145.

[3] المرجع نفسه، ص145.

[4] قدور عمران: تحليل الخطاب الشعري ، ص 185.

الشعر نستعين بها عند عرض النص لتعدد القراءات، ذلك أن إبداعية النص الشعري ليست عملا مباشرا ولا بسيطا، وليست عملية الفك أو التحليل هذه بدورها عملا ميكانيكيا أو كيميائيا إنها بغض النظر عن شموليتها آو صعوبتها ليست أمرا ناجحا بالضرورة لكنها بالتأكيد عملية دقيقة إلى حد بعيد[1].

يفترض "حاتم الصقر" وجود موجهات ومحددات، تسهم في تقريب النصوص من متلقيها، ويقترح جملة من الإجراءات الهادفة إلى فحص تلك الموجهات وتشخيص وجودها، مفترضا وجود طرق ووسائل تحليلية نصية تتماشى وخصوصية النص الشعري. وهو في كل ذلك يؤكد على أهمية المتلقي في قراءة النصوص واستقبالها الاستقبال اللائق، لذلك ترى الناقد يؤكد على ضرورة تأهيل القارئ ليتمكن من تأدية دوره في استقبال النصوص وإعادة تشكيلها وإعطاءها ملموسية ووجودا متعينا، من حيث قابليتها للقراءة والتحليل وكشف عناصرها البنائية[2]. التأكيد على هذه الجزئية تأكيد على فعل المقبولية، الذي يعد من العناصر الأساسية في المعايير النصية.

ويقترح الباحث تفعيل المقروئية من خلال بعض الوسائل التي نستعين بها على الإحاطة بجماليات النصوص واستيعاب دلالاتها الزئبقية، ومحاولة إزالة بعض القلق الذي تحدثه زئبقية النصوص بشكل عام والنص الشعري بشكل خاص، وأهم ما يقترحه الباحث لتحقيق هذا المقصد، إشراك القارئ في إظهار مقصدية النص وجمالياته بالاستعانة بما يسميه الباحث "موجهات قراءة النص الشعري" واتباع خطوات أهمها:

- تعيين بؤرة أو مركز النص؛
- معاينة الملفوظ النصي؛
- تجنيس النصوص وإعلان هويتها؛
- الانتباه للمستور الخطي الذي يتيح التعرف هيئة النص، ومعاينة تكتله الجسدي المعروض لفعل القراءة.

[1] ينظر: قدور عمران: تحليل الخطاب الشعري، ص 185.

[2] ينظر: حاتم الصقر: التحليل النصي مقترحات وإجراءات، مجلة غيمان ع10 ،2010م، ص13.

- الاهتمام بما يعرف "بالنصوص المحايثة"[1] أو عتبات النص والمتمثلة في: الأغلفة، العناوين الرئيسة والفرعية، الأمكنة التي تحين النص وتموضعه، التواريخ المعينة لزمن الكتابة، الملاحظات والهوامش، الحواشي، الاقتباسات، التصديرات، وجمل الاستهلال والاختتام.

إن شكل التحليل الأكثر شيوعا في التحليلات النصية، لاسيما في مجال القصيدة هو تقسيم النص إلى مستويات مفترضة تتكفل القراءة بكشفها وتعيين حدودها ولا تتعين إلا بفعل القراءة[2]، تعتمد على مستويات أهمها: المعجم، الصرف، النحو، الإيقاع، البلاغة، المستوى الدلالي، والمستوى الخطي (هيئة النص الكتابية)، لكن النص الشعري الحديث لا يمكن أن يخضع لمثل تلك الافتراضات، نظرا لما يقدم من رؤى متشابكة تلغي الموضوع أو الغرض الواحد الذي يمكن إدراج النص تحته، وفهرسته ضمنه ومعاينة لغته ومستوياته الأخرى على وفقه[3].

وقد أغفل أكثر المحللين النصوص المحايثة خارجيا المتصلة بالتناص؛ أي النصوص التي يتعلق بها النص فأسهمت في وجوده. والمحايثة داخليا المتعلقة به كالعناوين والحواشي. أما المنهجية التي يقترحها حاتم الصقر فتخرج تحليل النص عن أطره التقليدية المذكورة التي لا تسمح بإظهار التباين والخصوصيات النصية، والحل الأمثل في رأيه هو" الانقياد لما تريده النصوص والتكيف مع معطياتها والبحث في آفاقها، لأن التحليل النصي ليس منهجا بل إجراء يترجم القناعات المنهجية إلى أدوات وخطوات ونتائج[4]. وقد أصبح تحليل النصوص بذلك فعالية تستخدم النص للتوثق من أسس المناهج المطبقة، أو ميدانا لتجربة الفرضيات المستعان بها باعتباره شبكة معطيات يبحث فيها كل فريق من المحللين عما يثبت نظرياتهم.

---

[1] المرجع السابق، ص16

[2] ينظر: حاتم الصقر: التحليل النصي مقترحات وإجراءات، ص16.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص16.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص17.

3. نماذج عن التحليل النصي للخطاب الشعري:

مثل الشعر ميدانا خصبا لتمثل التحاليل اللسانية المتنوعة المشارب باعتباره ميدانا لاختبار مصداقية المناهج وفرضياتها النظرية، ولم تشذ الدراسات النصية عن ذلك فتكاثرت الدراسات بمختلف أنواعها: بحوثا، وأطروحات، ومقالات، نذكر مثلا من بواكر هذا الباب ما قام به "د. سعد مصلوح" نحو أجرومية للنص الشعري: "دراسة في قصيدة جاهلية"، نشر أولا في مجلة فصول، العدد العاشر، سنة 1991، ثم أُعيد نشره في كتاب "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية: أفاق جديدة"، ويعد عملا تطبيقيا إجرائيا ممزوجا بلمحات تنظيرية، وقد خصص هذا البحث التطبيقي "لتحليل قصيدة المرقش الأصغر التي مطلعها:

لابنة عجلان في الجو رسوم لم يتعفين والعهد قديم

وهي القصيدة عدد أبياتها عشرون، تجاوز سعد مصلوح في دراستها الحديث المفصل فيها عن الأسس المنهجي المتبع والانتماء العلمي الصادر عنه، مكتفيا بإشارات مختصرة إلى ضرورة اقتحام النحو العربي لنحو النص والاعتماد عليه في دراسة النصوص الأدبية..، وهذا البحث يعد محاولة أولى لامتحان جانب من الفروض والإجراءات التي تصوغ ملامح فكرة أجرومية النص[1]. ولم يخف الأستاذ "سعد مصلوح" ما كان يساوره من مخاوف وهو يتصدى لهكذا مهمة، تتراكم فيها صعوبة إخضاع نص عربي لنحو أعجمي، ثم يكون هذا النص شعرا ثم يكون هذا الشعر جاهليا.

وقد وردت الدراسة في عشر مسائل تتفاوت طولا وقصرا، وهي: الشاعر والقصيدة، النص: فاتحة ومهاد، النص والنصية، تقسيم القصيدة، مفاتيح الدلالة ودلالات أخرى وسائل السبك، ثابت الوزن ومتغير الإيقاع، في حبك النص: المفاهيم والعلاقات، وأزمنة النص. "ويركز التحليل على ذكر المعايير النصية السبعة المعروفة: السبك والحبك والقصد والقبول والإعلام والمقامية والتناص وهو يعنى على وجه الخصوص على تطبيق معياري السبك والحبك على النص، وفي السبك يشار إلى أن قوام وسائله مفهوم الاعتماد النحوي على

[1] ينظر: عبد السلام االسيد حامد: نحو النص عند سعد مصلوح، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2015 م، ص535.

جميع المستويات: في الجملة وفي الفقرة، وفيما بين الفقرات، أو المقاطع وفي النص كله على وجه الإجمال"[1]. وقد انتهت الدراسة إلى الكشف عن مدى إحكام النسيج اللغوي لظاهر النص، وصلة ما بين ذلك وباطنه ومفاهيمه، كما تثمن الدراسة دور معياري الاتساق والانسجام في إحكام هذا النسيج مما يبرز دور المعايير النصية في النص الشعري.

ومن الدراسات المهمة التي استقطبها التحليل النصي، البحوث الجامعية المقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير والدكتوراه ومنها نذكر:

- تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، دراسة تطبيقية لقصيدتي المساء (إليا أبو ماضي) وقارئة الفنجان (نزار القباني)، بحث قدمه أحمد مداس لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير سنة 2003 /2004.
- البنية الإحالية في ديوان قصائد مغضوب عليها لنزار قباني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 2009/2008.
- الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، رسالة قدمتها الأستاذة ربيعة بن مخلوف لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير، 2009/2008.

ونذكر كذلك زمرة من المقالات التي اجتهد فيها الباحثون في تحليل نصوص شعرية متنوعة المصدر وفق المقاربة النصية نذكر منها:

- تحليل الخطاب الشعري، مقاربة نصية لقصيدة **آلام الاغتراب** "للبارودي"، مقالة للدكتور "قدور عمران"
- أنموذج في تحليل النص الشعري في ضوء نحو النص، "د. عبد الرحمن بودرع" مقالة من فضاء الأنترنت. حرص فيها الباحث على تحليل قصيدة من قصائد كتاب **الأمالي** لـ "أبي علي القالي"، وهي قطعة من شعر "معن بن أوس".

والمتتبع لهذه الأعمال يجدها تجتمع عند صفات أهمها:

[1] المرجع السابق، ص535.

- ✓ تحرر البحث من قيود الجملة، وتفتحه على أفاق النص، مع التنبيه على عدم كفاية نحو الجملة في تحليل الكلام والنصوص، وأن المباحث اللسانية الحديثة انتقلت اليوم من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، التي ترتكز على أن النص وحدة لغوية مؤلفة من أكثر من جملة، شريطة أن يكون بين الجمل والكلمات والعبارات وجميع وحدات النص: تماسك لغوي ونحوي وتركيبي، وانسجام دلالي فكري منطقي، ووظيفة تواصلية، فإن غاب التماسك والانسجام والوظيفة التواصلية أو المقاصد تفكك النص[1].
- ✓ الاعتماد على معيار من المعايير النصية الديبوجراندية السبعة التي تحقق نصية النص، "فلا يقوم النص إلا بوجودها، وتؤدي إلى حصول التماسك النحوي والانسجام المنطقي، وهذه المعايير الترابط النحوي، والانسجام المنطقي، وخضوع النص ولمقاصد المتكلم، وخضوعه لقبول المتلقي، وارتباطه بمقام الكلام أو السياق، والإفادة والتناص.
- ✓ التركيز على فكرة الترابط النصي، أو التماسك النصي المعتمدة على معياري الاتساق والانسجام على حساب المعايير الأخرى التي تشهد عزوفا عند اغلب الباحثين خاصة المبتدئين.
- ✓ الاهتمام بالنص الشعري الحديث؛ كقصائد "الشابي ودرويش ونزار...".
- ✓ الاعتماد على الطريقة الإحصائية في التحليل والاستعانة بالجداول والمصنفات.
- ✓ تنفتح هذه الدراسات على جوانب عدة من النص ذاتية، جمالية، ثقافية، اجتماعية.
- ✓ التحليلات النصية متمايزة وواعية بخصوصية كل نص، مما يستدعي أن يكون لكل نص ميكانزماته التحليلية التي تتطابق وخصوصياته الفنية.

[1] ينظر: عبد الرحمن بودرع: أنموذج في تحليل نص شعري في ضوء نحو النص، مقالة مأخوذة من فضاء الأنترنت.www.m-a-arabia.com

1.3. التحليل التداولي النصي للخطاب الشعري، " نعمان بوقرة[1]":

يعلن الباحث عن تبنيه لمقاربة لسانية نصية ذات منحى تداولي بدءا بالعنوان "التحليل النصي التداولي للخطاب الشعري" وصولا للتوطئة التي ورد فيها قوله: « يقوم هذا الفصل على محاولة مقاربة نموذجين شعريين من زاوية لسانية نصية، وفي ضوء وصف مقولتي الاتساق والانسجام في الخطاب الشعري، وآلية توازي الأنساق الدالة مع المقام العام الذي تكشف عنه المهيمنات النصية»[2].

انتقى الباحث عنصري الاتساق والانسجام لتطبيق مقاربته النصية، وهما معياران من المعايير النصية الديبوجراندية التي تلامس النص من حيث ترابطه وتماسك أجزائه.

1.1.3. ميكانيزمات التحليل النصي عند "بوقرة":

ميكانيزمات التحليل النصي عند "بوقرة" مستمدة في أغلبها من المعايير النصية الديبوجراندية، وهو في تحليله يراهن على كلية النص ويبحث عن الآليات التي تسهم في خلق ذلك الترابط. إن التحليل الذي يسعى إليه لا يتوقف عند حدود التوصيف، وإنما يتجاوزه إلى إبراز إبداعه البنيوي العام، والإمساك بإشعاعاته المضيئة المتفرقة.

استهلت الدراسة بتعريف بالنص وصاحبه، أما النص فموسوم بـ: فلسفة الثعبان المقدس، مأخوذ عن ديوانه أعاني الحياة للشاعر التونسي الشابي، الذي لمس الباحث جوانب من شخصيته التي لها تأثير في بناء قصيدة، كما كشف عن أبرز ما يميز شعره، ومذهبه

---

[1] الدكتور نعمان بوقرة من مواليد سوق أهراس بالجزائر الشرقية، خريج كلية الآداب بجامعة عنابة، متخصص في الدراسات اللسانية العربية، وتحليل الخطاب، له مشاركات علمية متعددة في المؤتمرات اللغوية العربية، وبحوث مختلفة في مجلات عربية محكمة، من مؤلفاته:

1- المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب.

2- النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي، اتحاد الكتاب العرب.

3- تفسير النصوص وحدود التأويل، قراءة في أعراف الفهم الظاهري للخطاب القرآني، أمانة عمان الكبرى.

4- تحليل الخطاب الإعلامي والأدبي، مشترك، مكتبة الآداب.

[2] نعمان بوقرة: التحليل التداولي النصي للخطاب الشعري، ص55.

الذي ينتمي إليه، وقد نبه الباحث إلى طبيعة الصراع في النص الذي يقوم على الصراع الأزلي بين الخير والشر.

معظم الدراسات في التحليل النصوص تخص بالتحليل الفضاءات الاستراتيجية الناتئة في البنية النصية متمثلة في العناوين والتركيبات المقطعية والتيمات الرئيسة والافتتاحية والخاتمة، آخذين بعين الاعتبار معطيات جزئية دقيقة في النص لبلوغ مرحلة يستطيع من خلالها أخذ فكرة كلية شاملة عن النص، والتحليل بذلك يخرج عن سيطرة الجملة ليتعداها على الفضاء النصي، وذلك بأن "يحدث حوارية نصية بين النص وعالمه"[1].

إن هذه النقلة لا تستوجب فقط الإيمان بكون النص أكبر وحدة قابلة للتحليل، وأنه يمثل في كليته وكتليته وبشموليته كيانا واحدا موحدا فقط، ولكن هذه النقلة تتطلب أيضا الإيمان بأن الانتقال من ضيق الجملة إلى سعة النص بحاجة إلى أدوات منتقاة إجرائية للتحليل، تفرضها السمة الدينامية للنصوص "تعطي لها السلطة المطلقة في فرض نموذج من المعايير التحليلية التي ينطلق منها المحلل في توصيفه، بعكس النحو الجملي الذي ينطلق من قواعد جاهزة معطاة سلفا لدراسة مكونات الكلام في أشكاله الجملية، ونأخذ الآن في الاقتراب من عالم القصيدة من خلال معرفة تكوينها المقطعي الذي يؤسس بنيتها الظاهرة"[2].

ولا يُغَيب الباحثُ الجانب التداولي في تحليل القصيد، ويرصد له من النص المؤشرات التي تثير تداوليته وتفعلها علما أن التحليل اللساني النصي يجمع بالضرورة بين القواعد التركيبية والدلالية والتداولية، فهو يتجاوز الوصف النحوي الجملي القائم على مبدأ التجزئة إلى المكونات المباشرة معتنيا بالجوانب الدلالية والسياقية التي تضبط مقاصد المتكلم وغايات الخطاب المنجز. وبذلك يمر التحليل النصي بمراحل ثلاث: آليات الترابط النحوي، آليات الترابط الدلالي، ثم تقفي مظاهر تداولية النص، وتفحص تصويره البلاغي، وقواعد حجاجه،

[1] المرجع السابق، ص56.

[2] المرجع نفسه، ص56.

علما أن كل مرحلة تحشد ترسانة من العناصر التي يتم الكشف عنها، والمخطط التالي يبين المنهجية المتبعة:

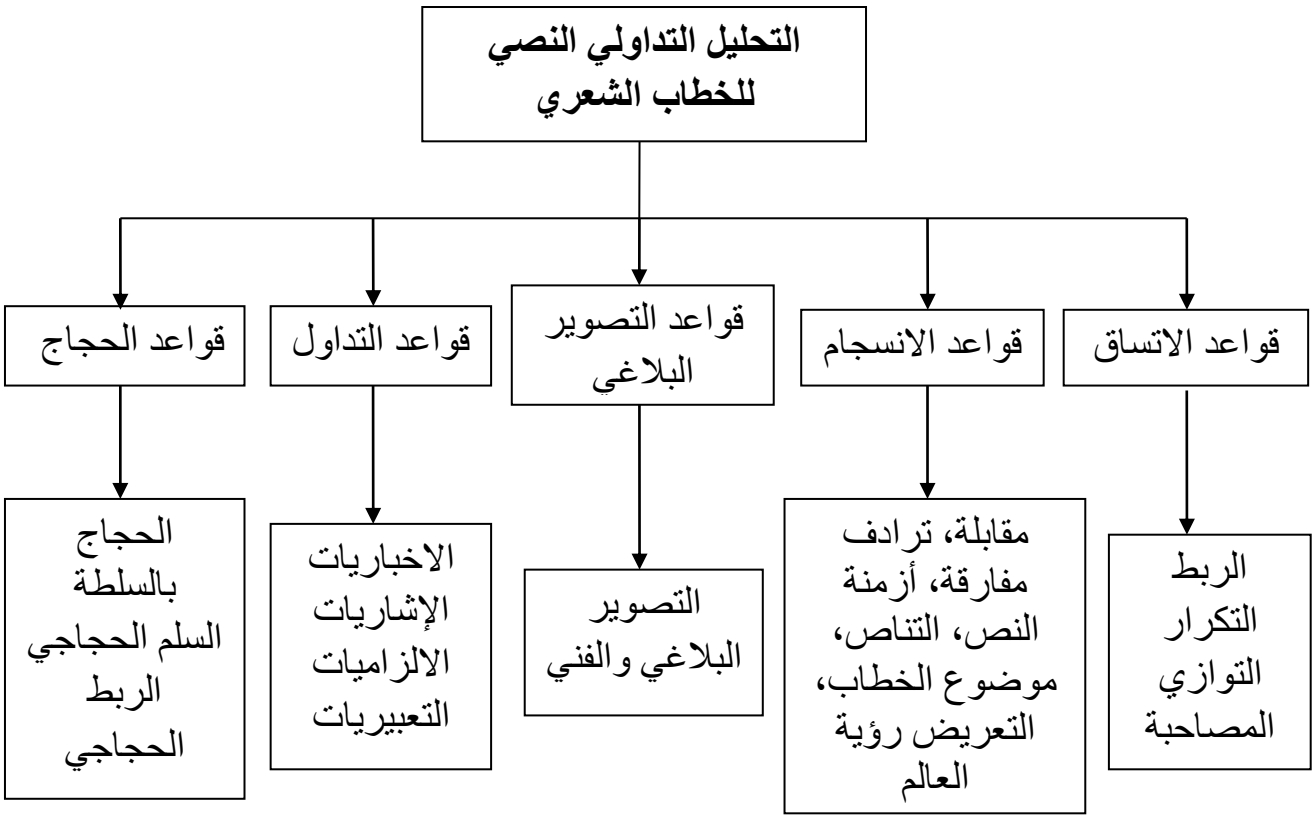

إن كتلية النصوص الحديثة لا تكشف عن تكوينها المقطعي في بنيتها الظاهرة، لكن الوقوف على آليات مثل تحول الضمير "تمثل مفتاحا سهل المنال للوقوف على تقطعات النفس الشعري"[1]، وذلك عبر رصد تحولات الضمير التي تكشف عن تحول في المقاطع، ومثله يعمل مفتاح التنميط وقد استغلهما الباحث للكشف عن مقاطع القصيد على النحو التالي:

* لقد تم تقسيم النص إلى خمس وحدات بالنظر إلى تحول الضمير أو مرجعه.

[1] المرجع السابق، ص56.

إن التأكيد على صفة النصية، ووحدته البنائية يتم عبر إثبات ترابطه سواء على المستوى النحوي أو الدلالي، لذلك قام التحليل النصي على إبراز آليات الاتساق والانسجام في النصوص المحللة أو ما يسميه بوقرة قواعد الاتساق والانسجام.

أولا/ الإتســـاق: وقد اهتم الباحث بأقسامه الثالثة التي اصطلح اللسانيون عليها:

الوحدة	الأبيات	الضمير/المرجع	الموضوع
1	1- 6	هو- الكون ، الشحرور	سعادة الشحرور من جمال الحياة
2	7 - 8	هو- الثعبان	ترهيب الثعبان الحقود
3	9 - 19	المتكلم- الشحرور	شكوى وتحسر
4	20 - 32	المتكلم- الثعبان	ترهيب وإغراء
5	33 - 36	المتكلم- الشحرور	إرادة الضعفاء

أ- الربط التعليلي.

ب- الربط الإشاري.

ج- الربط الاستنتاجي.

حرص الباحث على تعريف كل نوع من أنواع الربط، ثم تتبع كل واحد منها في كل بيت من أبيات القصيد، في عملية مسح تام لها، وقد فضل الباحث أن يتم ذلك في شكل جدول ليتسم العمل بالتنظيم، لينتهي هذا الجهد المبذول إلى جملة من الاستنتاجات تتمحور حول حسن اتساق القصيدة والأسباب المفضية إلى ذلك.

وبنفس الشاكلة تتبع الباحث بقية عناصر الاتساق: تعريفا، مسحا، تمثيلا، واستقراء ثم استنتاجا، وقد كان من تلك العناصر: التكرار الذي قسمه إلى تكرار جزئي وتكرار تام.

ثم انتقل على ظاهرة التوازي والذي ينقسم هو الآخر إلى توازي أفقي تام وتوازي أفقي جزئي ثم توافق عمودي، وأخيرا يختتم هذا العنصر بالمصاحبة المعجمية أو التضام.

ثانيا/ الإنسجـــام:

تعتمد دراسة انسجام النصوص على إجراء مجموعة من العمليات التأويلية التي تتحقق بين النص ومتلقيه، ويؤمن الباحث أن هذه السمة " ليست معطى سالفا في النص، وإنما يدرك عبره لذلك يفترض تنزله في ضوء علاقة النص بالمقام ومن مكونات المقام القارئ"[1]، ويتحقق الانسجام في الخطاب الشعري بفضل تداخل مجموعة من العلاقات الدلالية التي تعمل مجتمعة على حبك مضامين الخطاب وتحقيق التكامل والتناغم بينها. ينصب تركيز الباحث في هذا السياق على جملة من الظواهر الدلالية التي يرى أن لها أثرها في ربط أفكار النص والتأليف بين معانيه وهي: الترادف والتقابل (المقابلة) والإجمال والتفصيل، وانطلاقا من هذه العلاقات يعمد إلى وصف معجم القصيدة مستعينا بجدول على الشاكلة التالية:

الأبيات	الإجمال / التفصيل	المقابلة / المفارقة	الترادف / شبه الترادف

وتنتهي عملية المسح التي يقوم بها الباحث لعوامل الانسجام في النص إلى استنتاج مهم يبرز قيمة العلاقات المعنوية في النصوص عموما والنصوص الشعرية خصوصا إذ" ويبين الجدول أن هذه العلاقات الدلالية منتشرة على مساحة نصية مختلفة، يمارس بعضها

[1] 36.-Dominique Maingueneau, pragmatiqe pour le discours litteraire,Bourdas,Paris,1990,p29

وظيفة التماسك الدلالي في غياب العلاقة الأخرى أحيانا"[1]، ولولا الوقوف على هذا النوع من الترابط لبدا النص مشتتا متقطعا مبهما.

ثالثا/ التصوير البلاغي:

تعمل الصورة على ربط أجزاء النص فهي تشبه" خيطا في شكل عناقيد تمر عبر حقل النص كله، والصور تتحقق عندما لا يقتصر المعنى المنتج على المعنى الموجود في الترتيب اللفظي، والتصوير الفني عند الشابي وسيلة فنية لها حضورها القوي في التجربة الشعرية، وهو حضور يشف عن حرارة التجربة وعمقها وثراء الخيال مما يجعل من نص الشابي صورة بالغة التأثير مجسدة للحقيقة عن طريق التخيل"[2]، إن مثل الصورة في القصيدة مثل الكلمة في الجملة؛ فالكلمة يتحدد معناها مستقبلا عن علاقاتها بما ارتبطت به في جملتها، حيث تأخذ دلالاتها من الكلمات الأخريات في الجملة نفسها وتعطي كلا منها جزءا من دلالتها كذلك.

وهكذا تكون الصورة في القصيدة، كل منها يشكل دلالة الصورة الأخرى ويأخذ منها. ومن هنا فإن القصيدة لا تقرأ مرة واحدة، ولا يكتفي ببتر بعض أجزائها وتحليله مستقلا، لأن كل جزء منها لا يعمل منفردا، إن كل صورة تعمل من خلال الصورة كلها، والقصيدة بنية لها حياتها الخاصة بها، إن اليد لا تأخذ معنى كونها يدا إلا إذا كانت في الجسم الذي خلقت فيه تعمل وتتحرك وتتفاعل مع باقي الأعضاء[3].

[1] نعمان بوقرة: التحليل التداولي النصي للخطاب الشعري، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص79.

[3] ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف: التحليل النصي للقصيدة، نموذج من الشعر القديم، مجلة فصول، مج 15، ع12، 1996م، ص ص74-75.

رابعا/ قواعد التداول:

يدرك الباحثون أنه "من المستحيل تقريبا الإجابة عن كيفية إدراك الخاصية الأدبية في النص دون العودة إلى مقولات اللسانيات التداولية، والتي تقوم على نظرية الأفعال الكلامية التي أرسى مقولاتها كل من "**أوستين** و**سيريل** و**ألين برونـد**"، ويقوم توصيف الباحث لهذا المستوى على فحص الأفعال الكلامية التي ينجزها الخطاب الشعري من خلال فعل الإقناع، وقد استعان في بحثه هذا بتقسيم "**سيريل**"، والقائم على الأقسام الخمسة التالية: الإخباريات، التوجيهات، الالزاميات، التعبيريات، الإعلانيات.

خامسا/ قواعد الحجاج:

يمارس المرسل في خطابه المنجز وعبر رواية سردية واضحة تأثيرا فكريا وسلوكيا على المتلقي للرسالة، مستخدما التعليل والحجج المختلفة لاستمالته، وتتنوع آليات الحجاج في النص بين: الحجاج بالسلطة، السلم الحجاجي، الربط الحجاجي.

الخلاصـــــــة:

مرت دراسة الباحث بمراحل خمسة لمست جوانب فنية ولغوية في النص، فالباحث يؤمن أن" العمل الفني الحق هو الذي يجمع إلى جانب توافره على مواقف إنسانية نبيلة وأفكار رفيعة عناصر الاتساق والانسجام والإثارة والإحساس بالجمال، فيكون بذلك قادرا على التأثير والإقناع وهو يتجه بموضوعاته وشكله وأسلوبه إلى القارئ، إذ تتفجر لديه متعة القراءة ولذة هي أشبه ما تكون بالواقعة الغزلية الحية، وربما يكون الفن المؤثر محققا لغايته التداولية من خلال أسلوب العرض ونمط البناء والشكل العام الذي تصاغ ضمنه الأفكار أكثر من الموضوعات والرسالة نفسها"[1].

[1] المرجع السابق، ص 86.

وقد انتهج الباحث نهجا علميا دقيقا يقربه من المنحى اللساني الموضوعي، فوجدناه يستعين بالإحصائيات الدقيقة والجداول المنظمة والدقيقة والحرص على إجراء عمليات مسح دقيق للقصيد قبل استقراء النتائج، أنظر إليه مثلا وهو يحصي الروابط ونسبها قبل أن يستنتج خلفيات توظيفها أو حذفها:

تم الربط بين أغلب عناصر الجملة وبين الجمل المتتالية بالأداة "و" (40حالة) وبنسبة 61،33 %..، كما تم الربط بين عناصر نفس الجملة وبين الجمل المتتالية بضمير المخاطب "أنت" أو كاف الخطاب (18حالة) وبنسبة 15.12%.

تم الربط في حالات عدة بالعطف السّببي عن طريق الفاء (09حالات) وبنسبة 7.56%..، أما نسبة اعتماد الضمائر في الإحالة فمقدرة بـ: 19.32%.

وبالنسبة إلى الربط الإشاري أمكننا تسجيل 2 حالات فقط، وهو عدد قليل بالنسبة إلى سائر الأدوات، النسبة هي 1.68% [1] .

تلحق هذه العملية الإحصائية باستنتاجات تظهر إسهام حضور أو غياب أي عنصر من العناصر المدروسة في بناء وتوليد جماليات النص، وتكشف عن المعاني المختفية تحت ركامها.

إن مثل هذه المناهج التحليلية التي تراهن على الدقة والموضوعية، "يتم فيها التحليل النصي المقصود على هدي منهج في البحث والتعليل والاستنتاج، فيستند إلى طريقة فعالة في سبر النصوص وبلوغ كنوزها وأسرارها، وإلى مفاهيم محددة وناجعة خاصة بهذا المنهج وطريقته الاستدلالية منهج يتوصل إلى نتائج محكمة الدقة ، يستبعد إن لم يستحيل بلوغها بمفاهيم أخرى كتلك المستنبطة والمستعملة من قبله، هذا الدرس المنهجي للنصوص الشعرية

[1] المرجع السابق، ص65.

هو الذي يستحق وحده اسم الدرس أو البحث النصي، وهو وحده كذلك الذي يأتي بقراءة مناسبة[1].

وأكثر ما يميز هذا التحليل إدراكه لتمايز النصوص وتنوع توجهاتها، مما يستدعي تنوعا في التحليل يحترم الخصوصية التي يتمتع بها كل نص، مما يمنح كل تحليل ثوبا قشيبا يميزه عن غيره، ويبعد عنه الرتابة والتكرار، " بل إنه أول ما ينفيه في ذلك التشكل المختلف والمتنوع الذي تسعى فيه والذي يستدعيه تعاملها الخاص النص المتناول، إنها تعني التجديد والابتكار، بما أنها عملية واعية لسيرورتها بقدر ما هي متنبهة لخصوصيات موضوعاتها وخصوصية المسائل التي تطرحها عليها، كما أنها الواعية بتنوع النصوص وتنوع بنيتها الشعرية مما يفرض تنوعا في آليات المقاربة التي نُسائل بها النص الشعري في خصوصيته"[2]. فليس من الممكن المطالبة بنموذج واحد للتحليل النصي لأنه غير قابل للقولبة، بل إن أبرز سماته إيمانه بضرورة احترام خصوصية النصوص وتنوعها، وإنما تجتمع التحليلات النصية في كونها تؤمن بمبادئ عامة مثل كلية النص وشمولية التحليل وإبراز تماسكه وترابطه في عملية تحليلية جدلية، تقوم على الهدم تحليلا ثم إعادة التركيب بناءً وتكوينا.

النموذج الثاني: لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري:

مؤلف لصاحبه الدكتور أحمد مداس، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، مطبوعات عالم الكتب الحديث، لسنة 2009م. وكان صاحبه قد تقدم بهذا البحث مذكرةً لنيل شهادة الماجستير تخصص نقد أدبي عنوانه: تحليل الخطاب الشعري في منظور اللسانيات النصية دراسة تطبيقية لقصيدتي المساء لإليا أبي ماضي وقارئة الفنجان لنزار قباني، بإشراف الدكتور بشير ابرير، السنة الجامعية: 2004/2003م.

[1] ينظر: سامي سويدان: في النص الشعري العربي، دار الآداب، بيروت لبنان، ص11.

[2] قدور عمران: تحليل الخطاب الشعري، ص 185.

منهجية البحث:

يجمع هذا البحث بين مراجع السرد والايقاع وقوانين البناء وضوابط الشعرية، ويعمل على مقارنتها بمدخلات بناء الخطاب الشعري للجمع بين التنظير والتطبيق واللغة والسرد الايقاع، تتوحد كلها في البنية الشعرية للنصين المقترحين للدراسة والتطبيق المذكورين سابقا.

يؤسس البحث على أربعة فصول: الفعل التأسيسي، تحليل الفعل التواصلي، شعرية الرسالة في الخطابين، والرابع النصية، تتصدر هذه الفصول مقدمة وتليها خاتمة. يمثل الفصل الأول من البحث الجزء النظري فيما تمثل الفصول الثلاثة الباقية فصولا تطبيقية.

أما الفصل النظري فوسم بالفعل التأسيسي، يطرح فيه الباحث ثلاث ثنائيات: (النص والخطاب)،(الخطاب والعنوان)،(الخطاب والمنهج).

أما الجزء التطبيقي من الدراسة فيجمع بين العناصر التي تشترك في تحقيق عناصر التواصل من خلال البنية اللغوية، وذلك عبر تتبع شبكة من الضمائر والظروف، تليها الدراسة الصوتية فالمعجمية ثم التراكيب اللغوية. أما المرحلة الثانية من الجزء النظري فتبحث في البنية السردية عبر دائرتي القصص والسرد، ثم بعدهما الايقاع والنظر إلى ارتباطه بالدلالة الكلية للنص.

أما الفصل الثالث والأخير من الجزء التطبيقي، فيهتم بالتماسك والنصية في محاور ثلاث هي:

الانسجام واللعب اللغوي؛

التطور والبنية المقطعية؛

الترابط الفكري وعدم التعارض.

صلاحية المنهج اللساني لدراسة الخطاب الشعري: يهدف هذا البحث إلى إيجاد منهج لتحليل الخطاب الشعري، يتلاءم و خصوصية هذا الخطاب الي تميزه السعة والتنوع.

يشير الباحث إلى قصور الابحاث التطبيقية عن مجاراة مستجدات اللسانيات الحديثة، "إذ أن جل الدراسات التطبيقية الحديثة لم تصب منه إلا أجزاء لا تعبر بحال عن فحوى الخطاب، لذلك كان التفكير في كل ما هو مماثل للنص الابداعي من المناهج الحديثة أمرا أكثر من ضروري"[1]. ويؤمن الباحث بمنهج لساني تحليلي متكامل تتكاتف فيه جملة المناهج المعاصرة في بعض مناحيها، بما يسمح بانسجامها في تحليل الخطاب الشعري، وقد بُني هذا الطرح في التحليل على أساس أبحاث اللسانيين الغربيين وتقديراتهم ولذلك "يؤكد دي بوجراند نبوءة أن تصبح اللسانيات علما محوريا للخطاب والتواصل"[2]، ولعل ذلك راجع إلى إيمانه بقصور التفرد في إيفاء الظاهرة النصية حقها من التحليل.

ورغم رفض بعض النقاد والدارسين لاستعمال المنهج اللساني ذي الطابع العلمي لتفكيك طلامس الخطاب الأدبي بشكل عالم واللساني بشكل خاص وتوجيههم نقدا فلسفيا وعلميا لمعتمديه، إلا أن الباحث يخالفهم الرأي ويسير جنبا لجنب مع النخبة المؤيدة لصلاحية التحليل اللساني للخطاب الأدبي بشكل عام، ممن" لم يروا بأسا من المزاوجة والتكاتف اللساني، لما في ذلك من فضل في التحليل وكشف الدلالات المنتشرة في كلية الخطاب وكشف قوالبها، وتناسق بين المساعي اللسانية لتحيط بمضمون الخطاب"[3]. وهذا ما يؤكده جاكبسون حين يرد على من يفرق بين اللسانيات والشاعرية بقوله: كان هناك نقاد لايزالون يشككون في كفاءة اللسانيات على أن تشمل مجال الشعرية، فإني شخصيا أفكر أن عدم كفاءة اللسانيين ذوي الافق الضيق في مجال الشعرية لا يعني عدم كفاءة العلم اللساني ذاته[4]، وبذلك يفصل بين الميدان أو التخصص وبين أهل التخصص الذين يتفاوتون في مستوياتهم وقدراتهم .

[1] أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص هـ.

[2] ديبوجراند: النص الخطاب والإجراء، ص71.

[3] أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص70.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص61.

وبما أن مسألة الترابط و التماسك النصي تحتل مساحة كبيرة في التحليل اللساني النصي وتميز النص وتثبت نصيته، فقد نالت هذه المسألة اهتمام الباحث وأفرد لها مساحة واسعة في دراسته، بل واقترح الباحث آلية لترابط النص الشعري استقاها من الدراسات اللسانية السابقة فيقول: "غير أني أتصور-بناء على رؤى جيرار جينات ومحمد مفتاح وبشرى البستاني- إمكانية وجود بنية ثالثة تتمثل في السرد، فما وقفت عليه من خطابات شعرية تحمل قصة يجري الشاعر على قصها بشكل أدق تعبيرا وأكثر جاذبية ويحرص على إبراز أركان الفعل القصصي"[1]. ورغم اختلاف بعض الدارسيين مع هذا الطرح ورفضهم لسردية العمل الشعري باعتبار فصلهم بين البنية السردية والخطاب الشعري، إلا أن الباحث يؤكد "أن هذا المشروع يحمل في طياته ما يثبت وجودها فيه بناء على دراسات في القصة والرواية وبحثا في كل ما يقوم عليه النص الشعري، وأتصور أن تحمل كل قصيدة قصة مؤسسة على تقنيات الكتابة القصصية[2].

والبنية السردية في الخطاب الشعري تبدو من تواجد عناصر السرد والحكي فيه، فالشاعر في طرحه الانفعالي يقص قصة بشخصياتها وأحداثها، وما تعلق بها من زمن سردي ومكان وعقدة وانفراج، حاملة موضوعها المتنامي بحوافزه الأولية وتحفيزاته الشكلية برؤية سردية تمتد من التبئير إلى العوامل في علاقاتها الثلاث[3] ، ليكون بذلك "كل نص شعري هو حكاية أي رسالة تحكي صيرورة ذات"[4]، وهذا النمط السردي يعتبره الباحث عاملا من عوامل انسجام النص.

[1] أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، المقدمة ص هـ- و.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص و.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص30.

[4] المرجع نفسه، ص149.

أهمية العنونة في الخطاب الشعري:

يؤمن الباحث بالأهمية البالغة التي يحتلها العنوان في بناء الخطاب الشعري، لذلك أفرد لها الباحث مساحة هامة في بحثه، باعتبار أنه "حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي للنص"[1] ، فهو عادة "أكبر ما في القصيدة يبرز متميزا بشكله وحجمه، وهو أول لقاء بين القارء والنص، وكأنه نقطة الافتراق حيث صار هو آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ"[2]. وفي هذا القول إشارة إلى ميزات العنوان الشكلية وهي تصدره للنص، وتفرده بخط أكبر عادة من الخط الذي تكتب به سائر القصيدة، أما كونه آخر أعمال الكاتب فعلى قول النقاد بأن العنوان إنما ينتج بعد تمام القصيد، وأما كونه أول أعمال القارئ فإن العنوان هو أول ما يجذب القارئ وأول ما يطلع عليه منها، وهذا ما يؤكده رشيد يحياوي في تعريفه للعنوان، إذ يعتبره "رسالةً لغوية تعرف بتلك الهوية(هوية النص)، وتحدد مضمونها وتجذب القارئ إليها وتغريه بقراءتها، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه"[3]، وفي هذا التعريف إشارة إلى وظيفة مهمة منوطة بالعناوين عموما، وهي الوظيفة الغرائية التي تجذب القارئ وتغريه للاطلاع على النص وتعينه في نفس الوقت على الولوج إلى عالمه، مانحا إياه بعض الارهاصات التي قد تمكنه من صبر أغوار.

اختيار المدونة:

لم يكتف الباحث باختيار مدونة شعرية واحدة بل اختار مدونتين، قارئة الفنجان **لنزار قباني، المساء لإليا ابي ماضي** رغم أنه لا ينفي أن مدونة واحدة كان لتكون كافية، لولا أنه يبتغي من وراء اعتماده للمدونتين أمورا يلخصها في عشر نقاط هي*:

1-التواصل أحادي الطرف في قصيدة المساء، متعدد الاطراف في الثانية؛

[1] . محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، ص66.

[2] .أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ص49.

[3] رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت،1998م ، ص ص116-117.

2-إن الفهم يضيق ويقتصر على نبر الشاعر أو أحد طرفي التواصل، كما هو عند إليا وقد يتسع في تبادل الأدوار كما هو عند نزار؛

3-اشتراك الخطابين في موضوع واحد هو المرأة واختلافهما في مدار المعرفة؛

4-إن مضمون الخطابين موجه إلى الرجل والمرأة، ويبدأ بالتخمين أو التوقع، وينتهي بانكسار محقق عند نزار وبتفاؤل مأمول عند إليا أبي ماضي؛

5-الخطابان يتجاوزان الافق المتوقع عند العامة إلى أفق جديد، يتمثل في معالجة قضية الوجود معرفة كنه النفس البشرية؛

6-تميز الخطابين بالصورة الرامزة وأسلوب القناع؛ بساطة اللغة وعمق الدلالة.

7-الخطابان يجمعان بين القديم المتجدد أسلوبا بين الحديث الصرف، لذلك فهما يغطيان النموذج الشعري العربي كاملا، وهما يؤديان وظيفة انفعالية إنسانية، واخرى اجتماعية؛

8-الاشتراك في الفضاء الزمني، إذ الخطابين وقعا في زمن الانحسار النفسي بسبب المغيب عند إليا واكتشاف المجهول عند نزار، وفي نفس الوقت يختلفان زمن الحكي، فالأول يروي الماثل بين يديه في الحال والثاني يروي خارج زمن التجربة بحركة الاستعادة؛

9- والعاشر أن الاشتراك في نغمة الشجن والكآبة، ويتقاطعان تفاؤلا عند إليا، وتشاؤما عند نزار بما يغذي التناص بينهما.

نتائج البحث:

خصوصية الخطاب الشعري تصعب عملية البرهنة على تماسك ملفوظاته إلا بعد التأويل، فالخطاب المتماسك مرهون بالتأويل، وكذلك فإن تصور وسائل التماسك –هو

الآخر – مرهون به أيضا، وعلى المؤول أن يجد المخرج اللساني المناسب للبرهنة على صحة ما يذهب إليه[1]، ويقع التأويل على مستويين:

الأول: مستوى التناص، حيث يكتسب الخطاب تماسكه من تماسك الخطابات السابقة المهاجرة فيه. والثاني: مستوى التفاعل، حيث يعين الخطاب الدوافع النفسية والاجتماعية للانفعال بين المتخاطبين، كما يعين المنطلقات الفكرية لتؤدي الكفاءات غير اللسانية دورها في جميع أطراف التخاطب والقارئ..، فيتم الترابط الفكري وينتفي التعارض[2].

من النتائج المهمة التي توصل إليها البحث تأكيده صلاحية اللسانيات للتحليل، فهي منهج يمزج بين العلمية والشعرية، ويجعل النص/الخطاب محور البحث..، كما تؤكد جواز التركيب المنهجي في كل ذلك، فتنضوي البنيوية و السميائية والتفكيكية تحت لسانيات النص، وتقترن لمرونتها بنظرية القراءة وتحويلها، حتى يصير وصفها مجردة قراءة لسانية، لينطبق عليها ما ينطبق على غيرها من القراءات، لأنها تهدف إلى بيان التجانس النصي وما يقتضيه من تكامل بنائي وشمولية في الطرح[3].

[1] ينظر: المرجع السابق، ص314.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص315.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص316.

خاتمـــــة

هذه الدراسة نظرة على تلقي اللغويين العرب المحدثين للأعمال اللسانية النصية الغربية عبر أبعاد ثلاث هي: التلقي التبني ثم البناء، في سبيل تحصيل قراءة لكل مرحلة. وقد انتهى بحثنا إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

بينت الدراسة عدم كفاية النحو المعتمد على الجملة في توصيف الظواهر النصية، وضرورة مسايرة الجماعات اللغوية في تواصلها المعتمد على مجموعات جملية محكمة الترابط والتماسك تشكل النص.

إن التحليل في علم النص يرتكز على النص في حد ذاته: شكله، قواعده، بنيته، ووظائفه، وتأثيراته المتباينة. وتعتمد الدراسة النصية على النص بمختلف تمظهراته وتوظف آلية النصية للتمييز بين ما هو نص عن غيره من التراكيب، وتعتمد مبدأ الترابط أساسا لتشكل النصوص.

يعتمد التحليل النصي على منهجية لا تغفل النحو التقليدي، لكنها لا تتوقف عند حدوده لكشف أغوار النصوص، وتستنجد بالأدوات البحثية النصية الحديثة.

نمت النظرية النصية وتطورت في أحضان الفكر الغربي الحديث، انتقلت النظرية إلى العرب بعد أن كانت قد قطعت أشواطا في مسيرتها، فتعددت مشاربها وتنوعت مصطلحاتها، مما عرقل التلقي السلس لها. زد على ذلك عدم تجانس الجهود العربية بالشكل الذي يسمح بتوحيد المصطلح المترجم، أو الخروج بمعاجم لسانية متخصصة لتكون بمثابة طوق نجاة للباحثين، فنتج عن ذلك تيه مصطلحي واضطراب في تحديد الحدود التي تمثل مفاتيح العلوم وبها يقاس التحكم فيها.

انقسم اللغويون العرب بين متقبل للوافد الجديد مسارع إلى تطبيق نتائجه، وتجريب وسائله البحثية على مختلف النصوص العربية، بل إن من الباحثين من يؤكد أسبقية العرب إلى الأفكار الواردة في اللسانيات النصية، مستشهدين بما ورد في مؤلفات "الجرجاني وحازم

القرطـاجني" وغيرهمـا، مؤكـدين أن لا جديـد يـذكر فـي أعمـال اللغـويين الغـربيين إنمـا هـي بضاعتنا ردت إلينا في ثوب قشيب، فإذا ما أمعنت فيها النظر وجدت أفكار علمائنا العرب القدماء أُلبست ثوبا جديدا.

على أن تلك اللمحات المستوحاة من التراث العربي لم تؤسس لعمل نظري كامل ووقف معظمها عند حدود التلميحات والإرهاصات، ثم لا يمكننا أن نتجاهل أن المقارنة التي تُعقد إنما تُعقد بين عصرين مختلفين، وحضارتين مختلفتين، ولا يجب أيضا أن نتجاهل الظروف المؤثرة في صياغة النظريات، إذ لا يشكك عاقل في أن الدراسات اللغوية العربية إنما أُسست على ضفاف القران الكريم، ولم تكن اللغة هدفا في حد ذاتها، وإنما مثلت وسيلة لبلوغ غاية أكبر، بينما أقيمت الدراسات اللغوية الحديثة في قلب اللغة ذاتها.

وأما القسم الثاني فقد رفضه لأسباب متعددة، لعل أهمها كون اللسانيات بشكل عام واللسانيات النصية بشكل خاص، علم غربي أُقيم على مقياس لغة أجنبية ولا يتماشى وخصوصية اللغة العربية التي لها نحوها الخاص بها، والذي تعلق به أهلها من مئات السنين حتى رأوا فيه الكمال والاكتمال، حتى أنه أضحى عند بعض الباحثين مقدسا وكل محاولة لتعديله أو تطويره أو تغييره هي بمثابة تشويه للمقدسات.

لم يكن التنفير من اللسانيات النصية العائق الوحيد لانسياب النظرية إلى العرب، بل طفت على الواجهة أزمات لعل أهمها أزمة المصطلح الذي وقف مثقلا بدلالات حملها عبر التراث فقهًا وبلاغةً ونحوا وتفسيرا أمام توصيفات وتوظيفات يقدمها له البحث اللساني المعاصر، وزاد من أزمته تعدد الرؤى والمدارس اللسانية في واقع تشتت فيه الأعمال وتفرقت الجهود، فقلما نجد فرقا بحثية منتجة أو مجاميع لغوية ولسانية تعمل على توحيد الصفوف وتمحيص الأعمال، مما جعل أغلب الدراسات اللسانية النصية تتحاشى الولوج في متاهات التصنيفات والتعريفات وتلج عالم الممارسة التطبيقية مباشرة.

برزت في الساحة اللسانية مؤلفات ذات طابع تمهيدي عملت على نقل النظرية، ويعد عمل الخطابي من أوائل تلك المحاولات، ورغم الأهمية القصوى التي يحملها ذلك النمط من التأليف، باعتباره الناقل الشرعي للعلوم والأفكار من حضارة إلى أخرى، بأسلوبه العلمي التعليمي المبسط، إلا أننا نأخذ عليه امتداده لسنوات طويلة رغم أن الأصل فيها أن تكون جسرا ناقلا إلى ضفة أخرى، ينتقل فيها البحث إلى مستوى أعمق وأكثر تنوعا، يُؤسس على التنظير والنقد عملا على تأسيس لسانيات نصية عربية.

طبقت النظرية على نصوص شعرية ونثرية متنوعة ومثلت مجالا خصبا للبحوث الجامعية بمستوياتها المختلفة، أما النص القرآني فقد اختلفت الآراء حوله بين مرحب مسارع للتطبيق ورافض يرى أن القرآن الكريم ليس بحاجة إلى نظرية غربية تبرز تماسكه أو إعجازه.

عرفت النظرية أيضا طريقها للممارسة التعليمية التعلمية، فتحقق تكافل بين تعليمية اللغات وعلم النص، اعتبر فيه النص المنجز مرتكزا ورافدا رئيسا لبناء العملية التعلمية. وتمخضت عنها نتائج متعددة مستوحاة من النظرية النصية، أهمها التعليم باعتماد المقاربة بالكفاءات والمقاربة النصية، في حين لم تعرف النظرية طريقها لنماذج نصية عديدة مثل الإعلانات والسيناريوهات.

ومن الملاحظات التي حرصنا على تدوينها في هذا البحث، ما لاحظناه من إقبال بعض الباحثين العرب على تبني المنتج اللساني الغربي دونما غربلة أو تمحيص، حتى أن بعضها تُقحم على اللغة العربية إقحاما مع ندرة في مساحة الإبداع. وهذا واضح من تنوع المؤلفات التمهيدية في هذا المجال وضآلة المؤلفات ذات الطابع التنظيري والنقدي القادرة على التأسيس للسانيات نصية عربية، تخرجنا من دائرة الاستهلاك إلى الإنتاج فيساهم الباحث العربي في تحقيق إضافة نوعية في الساحة اللسانية المعاصرة.

لا يمكننا الحديث عن لسانيات نصية عربية في ظل كساد صناعة النقد، وغياب الرؤية التنظيرية المبشرة بنضج المفاهيم اللسانية، إلا بعد انعتاقنا من عملية اجترارنا المتواصلة للتراث. علما أن المشكلة ليست في التراث بقدر ما هي في قراءاتنا له، التي لونته بكل الألوان حتى كادت تفقده لونه الخاص. ثم انتقالنا من استيراد العلوم للسانية الغربية إلى عملية تمحيصها وتكييفها مع خصوصيات البحث اللغوي العربي، في محاولة لتهيئة تربة مناسبة لاستنباتها بالشكل الذي تتأقلم فيه مع خصوصيات اللغة العربية في عصرنا هذا.

المصادر والمراجع

القـــرآن الكريـــم برواية ورش

1- المصادر والمراجع:

أ- العربية:

1- إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص- بحوث وقراءات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2010م.

2- إبراهيم محمود خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمّان، ط2، 2009م.

3- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب ، تحقيق: مجموعة باحثين، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

4- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية- دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1، 2010م.

5- أحمد عزت أبو عوف: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم ، القاهرة، ط1، 2014م.

6- أحمد عفيفي: نحو النص- اتجاه جديد في الدرس النحوي، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.

7- أحمد محمد عبد الراضي: نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م.

8- أحمد مداس: لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري ، عالم الكتب الحديث، إربد، ط2، 2009م.

9- أشرف عبد البديع عبد الكريم: الدرس النحوي النصي قي كتب إعجاز القرآن الكريم ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م.

10-الأزهر الزنّاد: نسيج النص" بحث في ما يكون به الملفوظ نصا"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1993م.

11-إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1999م.

12-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م.

13-جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق: أحمد بن علي، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2004م.

14-جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1998م.

15-جميل عبد المجيد: بلاغة النص مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، دار غريب، القاهرة، 1999م.

16-حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2009م.

17-حافظ إسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1، 2009م.

18-حافظ إسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة– دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009م.

19-حسام أحمد فرج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009م.

20-حسام البهنساوي: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

21-حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2007م.

22-رشيد يحياوي: الشعر العربي الحديث في المنجز النصي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت،1998م.

23-سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م.

24-سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،، ط3، 2006م.

25-سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط– مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2005م.

26-صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.

27-صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، ط1، 1996م.

28-فاطمة بكوش: نشاة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللسانس العربي، القاهرة، ط1، 2014م.

29-عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

30-عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1985م.

31-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م .

32-عبد الوارث سعيد مبروك : في إصلاح النحو العربي، دار القلم، الكويت، ط1، 1985م.

33-عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.

34-عمر أبو خرمة: نحو النص– نقد النظرية وبناء أخرى ، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2004م.

35-محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2008م.

36-محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، جامعة منوبة– كلية الآداب والمؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001م.

37-محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1989م.

38-محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005م.

39-محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

40-محمد بوعزة: استراتيجية التأويل من النصية إلى التفكيكية ، ، منشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1، 2011م.

41-محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006م.

42-محمد خير البقاعي: دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1998م.

43-محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر– دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994م.

44-محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب– قراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.

45-محمد عبد الله علي سيف العبيدي: دلالة السياق في القصص القرآني ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.

46-محمد مصطفوي: إمكانيات التفسير وإشكالياته في البحث عن المعنى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي– سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت، ط1، 2012م.

47-محمد مفتاح: النص من القراءة إلى التنظير، المكتبة الأدبية، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

48-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م.

49-محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي– مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009م.

50-مشتاق عباس معن: تأصيل النص قراءة في إيديولوجيا التناص، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2003م.

51-مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية ، جامعة الحسن الثاني–عين الشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، 1998م.

52-نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2005م.

53-نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1993م.

54-نعمان بوقرة: الدراسات اللسانية في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تأصيلية في ضوء التلقي العربي للمناهج اللسانية الحديثة.عالم الكتب، اربد، الأردن،ط1، 2011م.

55-نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي، عمان،، ط2، 2010م.

56-هناء محمود إسماعيل: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012م.

57-ياسين بوراس: البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر ، منشورات مخبر اللغوية، الجزائر، 2015م.

58-يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2008م.

ب- المترجمة:

1- باتريك شارودو و دومنيك منغنو : معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.

2- تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 2001م.

3- ج. ب. براون و ج. يول: تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق: د.محمد لطفي الزليطي و د.منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.

4- جوليا كرستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997م.

5- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، 2008م.

6- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

7- زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 2010م.

8- فان دايك: النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص ، بحث ضمن: نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. محمد العمري، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005م.

9- فولفجانج هاينه مان و ديترفيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004م.

10-فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة: الدكتور فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، سلسلة اللغويات الجرمانية، الرياض، 1999م.

11-فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية– سوريا، ط1، 2007م.

12-كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2005م.

13-كلماير وآخرين : أساسيات علم لغة النص: مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2009م.

14-كيرستن آدمتسيك: لسانيات النص، عرض تأسيسي، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2009م.

15-مارغوت هاينمان وفولفغنغ هاينمان: أسس لسانيات النص، ترجمة: د. موفق محمد جواد المصلح، وزارة الثقافة، دار المأمون، بغداد، 2006م.

16-ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، ط1، 2012م.

17-مجموعة مؤلفين: إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2008م.

18-منذر عياشي: العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة :المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004م .

19-ميلكا أفيت: اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، د.ت.

2- الرســـائل والأطـاريح

1- إبراهيم الكعاك: الاتساق في اللغة العربية في ضوء اللسانيات العربية القديمة والأنحاء الوظيفية المعاصرة (بحث دبلوم عالي)، ، جامعة محمد الخامس– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1991م.

2- أحمد مداس: تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، دراسة تطبيقية لقصيدتي المساء(إيليا أبو ماضي)، قارئة الفنجان (قباني)، مخطوط رسالة ماجستير، 2003م/ 2004م.

3- بدر الدين بخولة: الإسهامات النصية في التراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللسانيات النصية تخصص معجميات، جامعة وهران،2016/2015.

4- جمعان العامدي: المداخلة واشكالتها النصية (أطروحة دكتوراه)، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، الرياض، 1427هـ /2006م.

5- خالد حميد صبري: اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2013م.
6- سمية ابرير: مفاهيم لسانيات النص وتحليل الخطاب في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دراسة في ضوء علم المصطلح، (مخطوط رسالة ماجستير)، ، جامعة باجي مختار عنابة، 2011/2010م.
7- شعيب محمودي: بنية النص في سورة الكهف، مقاربة نصية للاتساق،(مخطوط رسالة ماجستير)، جامعة منتوري قسنطينة، 2009/ 2010م.
8- لهاليداي ورقية حسن: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (cohesion in english)، (مخطوط رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر– كلية الآداب واللغات، 2006/2005م.
9- نوال لخلف: الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أنموذجا (أطروحة دكتوراه) ، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2007م.

3- **البحــوث والمقـــالات:**

1- أحمد حساني: أثر اللسانيات التقابلية والنصية في ترقية تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها، مقارنة بينية،www.kotobarabia.com
2- أحمد عفيفي: الإحالة في نحو النص ، www.kotobarabia.com
3- إياد عبد الله، عبد الرحمن عبيد، عصام الدين أحمد: فوضى المصطلحات في نظرية علم النص: من الحد إلى المخرجات، ، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية، مج1، ع3، 2015م.
4- بشار إبراهيم: مقدمة نظرية في تعليمية اللغة بالنصوص ، مجلة كلية الادب والعلوم الانسانية، ع 7، جوان 2010م.
5- بشرى حمدي، عبد الغني المختار: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، الأبحاث، كلية التربية الأساسية، مج:11،ع1، 2016.
6- بشير ابرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، ع412، 2004م.

7- تسفيتوميرا باشوفا– سالم: دور لسانيات النص في تطوير مناهج تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ضمن: أعمال المؤتمر الأول لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة دمشق– مركز اللغات، 2004م.

8- جمعان عبد الكريم: مقدمة في تجاوز عتبة الجملة– الاتجاه إلى النص في الدراسات اللغوية www.lissaniat.net.

9- جميل عبد المجيد حسين: علم النص" أسسه المعرفية وتجلياته النقدية"، مجلة عالم الفكر،ع 2، مج 32، أكتوبر – ديسمبر 2004م.

10-حافظ إسماعيلي علوي: عندما تسافر النظرية " لسانيات النص نموذجا" ، الدار العربية ناشرون ومكتبة عدنان، مجلة جسور عدد يناير 2012.

11-حاتم الصكر: التحليل النصي: مقترحات إجراءات، مجلة غيمان، ع 10، 2010م لدراسات اللغوية والأدبية، ع2، ديسمبر 2015.

12-حسن خميس الملخ: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة www.lissaniat.net

13-خالد محمود جمعة: نظرية النص بين التنظير والتطبيق، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج49، مج13، سبتمبر 2003م.

14-خليل الموسى: النص لغة واصطلاحا، جريدة الأسبوع الأدبي، ع 823، 2000م.

15-ربيعة العربي: الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات ، المغرب، ع33، 2007م. نعمان بوقرة: قراءة لسانية نصية في مجموعة تراتيل الغربة للشاعر علي عقلة عرسان، مجلة الموقف الأدبي.

16-رشيد عبد الرحمن العبيدي: الألسنية المعاصرة والعربية ، مجلة الذخائر، العدد الأول، السنة الأولى، شتاء 2000م.

17-رشيد عمران: نحو لسانيات نصية عربية، سلسلة فكر ونقد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009م.

18-سعد مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن: عبد السلام هارون معلما ومؤلفا وباحثا، جامعة الكويت– كلية الآداب، 1990م.

19-سعيد بنكراد: سياق الجملة وسياق النص "الفهم والتأويل"، علامات، مجلة تعنى بالسيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة، المغرب، ع33، 2007م.

20-فائز أحمد محمد الكومي: تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 25، أيلول 2011.

21-قدور عمران: تحليل الخطاب الشعري، مقاربة نصية، آلام الاغتراب البارودي، مجلة العربية، محبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة، 2011م.

22-عبد الله عنبر: المناهج النقدية والنظريات النصية ، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، مج37، ع 1، 2010م.

23-عثمان وجميل الكنج: تطبيقات معياري القصدية والمقبولية في النص في معهود الخطاب عند العرب ، مجلة الدراسات اللغوية، ع 2، ديسمبر 2015م.

24-عز الدين البوشيخي: لسانيات النص في ضوء نظرية النحو الوظيفي الخطابي ، www.voiceofarabic.net

25-مجيد مطشر عامر: نظرية النص في البحث اللساني الحديث (دراسة في إشكالية المفهوم والتعريف والمصطلح)، مجلة جامعة ذي قار، ع1، مج5، 2009م.

26-محمد خطابي، عبد الرحمن التمارة: اللسانيات والنقد الأدبي– لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، علامات، مجلة تعنى بالسيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة، المغرب، ع25، 2005م.

27-محمد وهابي:مفهوم التناص عند جوليا كرستيفا، ، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج54، مج14، ديسمبر 2004م.

28-محمد يحياتن: تحليل النص الادبي في التعليم الثانوي، ملاحظات أولية، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، ع1،ديسمبر1997م.

29-مصطفى بيومي عبد السلام: سلطة الأبوة "النص والعلاقات النصية عند العرب"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج70، مج18، أغسطس 2000م.

30-مصطفى غلفان:اللسانيات وتحليل الخطاب: أية علاقة؟ تساؤلات منهجية، مجلة فصول، ع77، شتاء – ربيع 2010م.

31-ميلود نزار: الإحالة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والمحدثين، ، مجلة علوم إنسانية،ع44، شتاء 2010م.

32-ميلود نزار: نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية: دراسة تأصيلية تداولية ، مجلة علوم إنسانية، ع42، صيف 2009م.

33-نعمان بوقرة: اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية، دراسة وصفية تحليلية ، المجلة الأردنية، المجلد9،ع1، 2013م.

34-نعمان بوقرة: قراءة لسانية نصية في مجموعة تراتيل الغربة للشاعر علي عقلة عرسان، مجلة الموقف الأدبي.....

35-نعمان بوقرة: نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية ، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج61، مج16، مايو 2007م.

4- المراجـــع الأجنبيـــة:

1- Carter .R et Mc Carthy .M 2006 grammar of english, cambridge univercity press . cambridge
2- Denis Vigier. Linguistique textuelle et enseignement du FLES. Le Français dans le monde. Recherches et applications, Paris : Français dans le monde, 2012
3- Griemas A. courtes J 1979 séméiotique dictionnaire raisonné de la théorie de langage 389.
4- Jean-Michel Adam La linguistique textuelle. Introduction à l'analyse textuelle des discoursParis : Armand Colin, collection "Cursus", 2005 .
5- Korcourek.R 2001 éssais de linguistique français et anglais. Edition Pieters Louvaine . paris
6- Rastier .F 2009 discours du texte www.revue.texto , rastier – discours. Html-

فهـرس

المحتويات

المقدمةالعـــــامة.....أ

المدخـــــــل.....7

الفصل الأول: المفاهيم التطور والمرتكزات

المبحث الأول: المفهوم ودواعــي التأسيس.....20

1. التعريف والمهام 24

2. المنــهج 29

3. التوجــهات 30

4. لسانيات النص واللسانيات الخطاب 32

خلاصـــة 41

المبحث الثاني: مرتكزات لسانيات النص 43

1. المرتكز الأول" النص " 43

1.1. إشكالية تعريف النص 43

2.1. تعريف النص بين المدارس اللسانية المختلفة 46

أولا/ تعريف النص من منظور تركيبي 48

ثانيا/ تعريف النص من منظور دلالي 50

ثالثا/ التوجه التداولي 51

3.1.بين النص والخطاب 53

2. المرتكز الثاني (النصية) 58

1.2. تعريف النصية 58

2.2. معـاييرالنصية 58

3. المرتكز الثالث (نحـو النص) 62

1.3. التسميــة 62

2.3. مهمة نحو النص 63

2.3. أهمية نحو النص 64

4. المرتكز الرابع (الترابــط)..... 67

1.4. أهمية الترابط في الدراسات النصية 66

2.4. الترابط عند علماء الغرب 69

1.2.4. الترابط عند "فان دايك" 70

2.2.4. الترابط من منظور "أوجين نايدا" 71

3.2.4. الترابط عند "براون ويول" 72

4.2. الترابط عند "هالداي ورقية حسن" 74

5.2.4الترابط من منظور دي بوجراند..... 77

الفصل الثاني: تلقي المجتمع اللساني العربي للنظرية النصية

المبحث الأول: موقف الباحث العربي من اللسانيات الحديثة والمعاصرة 85

1. روافد الفكر العربي اللساني الحديث والمعاصر 85

1.1التيار المنكروأداته..... 86

2.1. التيار المتبني للفكر اللساني الغربي ورده على الرافضين **91**

2. توجهات علماء لسانيات النص العرب المحدثين والمعاصرين 95

1.2لسانيات التراث 95
2.2. لسانيات التبني 100
المبحث الثاني: الكتابة اللسانيات النصية العربية 105
1. إنتقال النظرية 105
2.1.عوائق تلقي النظرية 107
1.2.1أزمة الموروث 108
2.2.1أزمة المنهج 111
3.2.1.أزمة الترجمة 113
4.2.1.إشكالية المصطلح.وأسباب التشتت المصطلحي 116
5.2.1.أزمة الأهداف والمنطلقات 131
2.لسانيات النص في الساحة اللغوية العربية 134
1.2.. الكتابة اللسانية النصية التمهيدية..... 138
2.2.قراءة في عتبات الكتابة اللسانية النصية التمهيدية..... 140
1.2.2.عناوين الكتب 142
2.2.2.المقدمة..... 143
النموذج الأول: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه "الاخضر الصبيحي" 145
النموذج الثاني: محاضرات في اللسانيات..... 149
3.خلاصة 154
الفصل الثالث: تطبيقات لسانيات النص على النصوص اللغوية العربية
المبحث الأول: تطبيقات لسانيات النص على النص القرآن..... 156
1. إشكالية تحليل النص القرآني 157

2.ملامح النصية في الدراسات التراثية 159
1.2.نماذج عن دراسات نصية للقدماء..... 162
3. التطبيقات التحليلية النصية للنص القرآني 166
1.3. النموذج الأول: في لسانيات النص وتحليل الخطاب 166
2.3. النموذج الثاني: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم،"أحمد عزت يونس" .. 172
المبحث الثاني: التكافل بين لسانيات النص والتعليم..... 177
1. بيان أهمية تفعيل الدرس اللساني في مجال التعليم..... 177
2. مواصفات النقلة من علم النص إلى العملية التعلمية التعليمية 183
3. خصائص المقاربة التعليمية الجديدة 186
1.3. تثمين دور المتعلم في العملية التعليمية 186
2.3. النص دعامة محورية في تعليم اللغة 186
3.3. التركيز على كلية النص 187
4.3. التركيز على السياقات الدلالية وترابطها 187
4. الجهود العربية في مسألة التكافل بين اللسانيات النصية والتعليم 192
1.4. النموذج الأول: مدخل إلى علم لغة النص 193
2.4.تعليم القراءة والكتابة بمدخلات نصية..... 196
3.4. ..الترجمـــة..... 196
4.4. تعليم اللغات الأجنبية 197
النموذج الثاني: مقدمة نظرية في تعليمية اللغة بالنصوص 198
1. أثر المعايير النصية في تعليمية النصوص 200
1.1. الاتســاق 200

2.1.الإنسجـام 200
3.1. التنــاص 201
4.1. القصديــة 202
5.1. المقبوليــة 202
6.1. الإعلاميــة 203
7.1. المقاميـــة 204
النموذج الثالث:
مدخل إلى علم لغة النص، ومجالات تطبيقه، "محمد الأخضر الصبيحي 205
1. الفوائد التعليمية العامة 205
2. علم نص و تعليم اللغة 206
3. الخلاصـــة 209
المبحث الثالث: تطبيقات لسانيات النص في الخطاب الشعري 210
1. خصوصية النص الشعري 210
2. التحليل النصي وموجهات قراءة النص الشعري 213
3. نموذج عن التحليل النصي للخطاب الشعري 216
1.3. التحليل التداولي النصي للخطاب الشعري، " نعمان بوقرة 219
1.1.3. ميكانيزمات التحليل النصي عند "بوقرة" 219
الخلاصـــة 225
النموذج2: لسانيات النص؛ نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري.....227
صلاحية المنهج اللساني لدراسة الخطاب الشعري.....229
أهمية العنونة في الخطاب الشعري.....231
الخـــــــاتمة 234

المصادر والمراجع..... 238

الفهرس..... 248

الملخص باللغة العربية..

الملخص باللغة الأجنبية

الملخـــــص

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة انتقال النظريات أو ما يسميه الدكتور إدوارد سعيد "بسفر النظريات"، من وسط حضاري وفكري إلى آخر، وما ينجر عن ذلك الحراك الفكري والثقافي من إشكالات علمية ومنهاجية، تستدعي ما تستدعيه من بحث وتحليل لملابسات هذا اللقاء والسياقات العامة الفاعلة في توجيهه، ثم نظر في خصائص المتلقي الفكرية والحضارية، إذ لا تحل النظريات الوافدة عندما تحل على وعاء فارغ، بل تضاف إلى مخزون فكري وثقافي سابق يرتبط به المتجمع ارتباطا روحيا قويا.

وقد اخترنا في بحثنا هذا رصد واقع اللقاء بين محيطين لغويين معاصرين، المحيط العربي والمحيط الغربي لحظة وفود النظرية النصية، وتكمن مهمة هذا البحث في توثيق اللحظة وما انجر عنها من ردود أفعال مختلفة والأعمال اللسانية الناتجة عن ذلك اللقاء. وكل ذلك من خلال إجراء عملية مسح لمدخلات النظرية في أوروبا، ثم مقارنته بمخرجات النظرية بعد تفريغها في النتاج اللساني العربي.

وقد سجل هذا البحث مستويات التباين الكبيرة التي عرفتها ردود فعل اللسانيين العرب بين رافض مستهجن لهذا الوافد، الذي يرى فيه غطاءً لاستعمار فكري وحضاري جديد يهدد قداسة اللغة العربية، ولا تستغرب هكذا تفكير إذا نظرت للسياقات التاريخية التي رافقت انتقال النظرية؛ إذ أغلب الشعوب العربية كانت ماتزال تنفض درن المستعمر، ومازالت صور وحشيته عالقة بأذهانها حتى باتت ترى في كل وافد من ناحيته خطرا مهددا.

وقد فضلت هذه الفئة التقوقع في صدفة التراث العربي الإسلامي، وعكفت على تدارسه وإبراز مواطن الجمال فيه من كل زواياها، ونصَبت نفسها مدافعة عنه ضد كل ما تسميه هجمات شرسة من الغرب تهدده، يقودها مستشرقون أو خونة من العرب.

وفي مقابل هذا الرفض نجد فئة أخرى انبهرت بهذا العلم، ورأت فيه ترياقا للعقم الذي أصاب فكرنا، وهبة علمية جديدة تفتح آفاقا جديدة للبحث اللساني، بتركيزه على قضايا

أوسع، وتؤمن هذه الفئة بضرورة الفصل بين اللغة ونحوها، فإذا ما كان للتقديس وجه فهو للغة لا لنحوها، ثم كيف نؤمن بلغة حية تتطور، ثم لا نؤمن بنحو حي يواكبها؟.

غير أنهم هم أيضا لم يجدوا الطريق ممهدة أمام شغفهم ونهمهم في امتلاك ناصية هذا العلم، الذي ما انفك يمتد وتترامى أطرافه أكثر فأكثر، نظرا للتغيرات والتطورات التي تعتريه في كل وقت وحين، في مقابل حراك لغوي بطيء وهزيل في الجانب العربي الذي مازال يتخبط في مشكلات الترجمة العشوائية، وغياب المرجعيات اللغوية الموحدة المتمثلة في المجامع اللغوية التي من شانها أن توحد الرؤى، وتجمع شتات الأفكار.

ومن نتائج ذلك أن تجدنا بعد ما يقارب نصف قرن من ظهور اللسانيات النصية نراوح أماكننا، فالمكتبة اللسانية النصية المترجمة ما تزال تعاني ضآلة في منتوجها، وتخبطا في مصطلحاتها، والسمة التمهيدية للكتب اللسانية النصية هي الغالبة في مؤلفات اللسانيين العرب، مع ندرة كبيرة للكتب التنظيرية والنقدية، مما يؤكد أن النظرية لم تنضج بعد عند العرب.

وبين هذا النافر المُنفر وذلك المبشر بالفتح اللساني الجديد، تقف مجموعة لا ترى في هذا الوافد إلا بضاعتنا وقد ردت إلينا مغلفة في ثوب أنيق، مؤكدين أن أسلافنا من اللغويين العرب قد سبقوا إلى طرق هذا الباب، وتناولوا أغلب ما فيه بالبحث والدراسة، وكثيرةٌ هي الاطروحات التي قدمت دفاعا عن هذا الرأي.

أيا كانت وجهات النظر الواقع اللغوي اللساني اليوم يظهر قوة تأثير لسانيات النص في جوانب حياتية متعددة، فقد مثل علم النص نقلة حقيقية وفتحا مبشرا بما أضافه للساحة اللسانية من إجراءات مكنتها من تجاوز العجز الذي عانت منه الدراسات اللغوية القائمة على الجملة بمحدوديتها، ومن ثم فهم الظواهر اللغوية وتفسيرها، بل وفهم وتنفيذ الإجراءات العلمية.

وقد نجح اللسانيون في استثمار هذه الثورة الفكرية في ميادين عدة لعل أهمها التعليم، كما استغلت لسانيات النص في عملية واسعة لإعادة قراءة التراث العربي بنثره وشعره قراءة نصية، غير أن أكثر هذه النصوص إثارة للجدل كان القرآن الكريم الذي مثلت قداسته حاجزا عند البعض يمنعها من تعريضه للمناهج اللغوية الغربية، فيما أغرى غيرهم بإعجازه ليكون النص المثالي المبرز لميكانزمات الترابط بكل أنواعها.

هذا وما يزال أمام العملية الاستثمارية لعلم النص في العالم العربي مجال واسع؛ حيث يمكنه أن يمد يد العون لمجالات حياتية كثيرة كتعليم اللغات للناطقين بها وبغيرها، والترجمة والحوسبة وتحليل النصوص الحديث منها والتراثي.

Résumé:

Ce travail de recherche aborde le phénomène du transfert des théories. Il est appelé par Edouard Saïd « le voyage des théories » d'un milieu civilisationnel et intellectuel vers un autre ainsi que les facteurs culturels, intellectuels et les différentes problématiques théoriques et méthodologiques qui en découlent. Ce domaine de recherche nécessite certaines analyses pour que la synergie des différents éléments qui la composent s'effectue. La prise en considération des représentations du destinataire ainsi que son environnement civilisationnel est indispensables car les nouvelles théories ne surgissent pas du néant mais ont comme point de départ une assise théorique préalablement présente à laquelle l'environnement est fortement attaché.

Dans notre travail de recherche, nous avons choisi de rendre compte de la réalité du croisement entre deux milieux linguistiques modernes. Le milieu linguistique arabe ainsi que le milieu linguistique occidental lors de l'apparition de la théorie textuelle. A travers ce modeste travail, nous avons pensé à mettre la lumière sur le croisement des deux milieux linguistiques précédemment cités, sur les différentes réactions qui en découlent ainsi que les divers travaux linguistiques qui en ont résulté. Notre intervention prend en compte les théories apparues en Europe en comparaison avec celles apparues dans le monde arabe.

Ce travail de recherche a permis d'observer des réactions différentes chez les linguistes arabes. Certains conservateurs ont rejeté l'implication des travaux européens et les considèrent comme étant intrusifs et par conséquent portent atteinte à la sacralité de la langue arabe. Ces réactions sont interprétées à travers le passé colonial qui unit le monde arabe au monde occidental. Ce passé justifie les réticences dont fait preuve le monde arabe vis-à-vis du monde occidental.

Cette catégorie de linguistes préfère se référer aux principes qui découlent de la tradition arabo-musulmane, refusant de la sorte de voir les points positifs qui pourraient découler de l'apport des travaux occidentaux. Cette même catégorie voit dans les travaux occidentaux un danger mené par des traitres occidentaux qui cherchent à nuire au monde arabe.

Cependant, il existe une autre catégorie de linguistes qui voit dans les travaux européens une opportunité d'évolution et de progrès dont le monde arabe pourrait tirer profit et rendre les théories linguistiques plus fécondes en élargissant son domaine de recherche. Cette même catégorie a pour principe de séparer la langue et la grammaire car s'il y a sacralité elle revient à la langue et non à la grammaire. L'évolution de la grammaire va de pair avec celle de la

langue. Malgré cet enthousiasme, cette catégorie de linguiste fait face à des difficultés à se saisir des principes des travaux occidentaux à cause des évolutions que les travaux connaissent au fil du temps, contrairement aux difficultés auxquelles fait face le monde arabe notamment dans le domaine de la traduction et le manque de références qui représente un repère et a pour principe d'unir les différents points de vues, évitant de la sorte l'éparpillement des théories.

Le monde arabe continue jusqu'à aujourd'hui à pâtir de nombreux problèmes concernant la l'approche textuelle. En effet, la bibliothèque linguistique textuelle ne cesse de se confronter aux problèmes terminologiques. La somme des œuvres linguistiques dans le monde arabe se résume à des œuvres d'introduction à la linguistique textuelle. L'absence d'œuvres critiques de cette même linguistique, démontre la stérilité des travaux dans le monde arabe.

Outre les deux catégories su-citées, beaucoup de spécialistes affirment que les nouveautés abordées par les Européens ont été préalablement abordées par les linguistes arabes.

Le terrain démontre que l'apport de la linguistique textuelle se ressent au quotidien, permettant de dépasser les problèmes posés par la linguistique phrastique. En outre, la linguistique textuelle ouvre de nouvelles perspectives à la recherche en linguistique.

L'apport de la linguistique textuelle s'observe, en outre dans le domaine de l'enseignement. De nombreux œuvres de littérature arabe ont été soumis à l'analyse à travers la linguistique textuelle, notamment le saint coran qui a été sujet à débat à cause de sa sacralité. Cependant, le saint coran est considéré aujourd'hui comme une œuvre exemplaire en termes de mécanisme de cohésion.

Le terrain linguistique offre de nombreuses opportunités au monde de la recherche. Il peut être exploité dans différents domaines de la vie, tels que le domaine de l'enseignement des langues, celui de la traduction et celui de l'analyse des textes modernes et anciens.